جمهورية السودان

التعليم الثانوي

القرآن الكريم وعلومه

الصف الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السودان

وزارة التربية والتعليم العام

المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

بخت الرضا

القرآن الكريم وعلومه

الصف الثاني ثانوي

الطبعة الثانية ٢٠٠٨م

إعداد : – لجنة بتكليف من المركز القومي للمناهج والبحث التربوي – من الأساتذة:

الأستاذ الدكتور : محمد عثمـــان صالح – مدير مركز أبحاث الإيمان
الأستاذ : عبد الباسط عبد الماجد بشير – خبير تربوي
الدكتور : عثمـــان ميرغني علي – جامعة أم درمان الإسلامية
الأستاذ : محمد عبد الرحيم باســـان – كلية التربية – جامعة أم درمان الإسلامية
الأستاذ : محمد كوكو عطـــــا الجيد – المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

الإخراج الفني والتصميم : الأستاذ/ إبراهيم الفاضل الطاهر
الجمع بالحاسوب : إبتهاج مصطفى علي

ISBN 978-99942-53-40-1 ردمك

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

قال الله تعالى : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ◊ قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجراً حسناً ﴾ [الكهف : ١ ، ٢] .

والصلاة والسلام على رسول الله الأمين الذي أرسله رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد

مواصلة للجهود التي بذلت في السنوات الماضية في بناء منهج القرآن الكريم ، نقدم لأبنائنا وبناتنا طلاب الصف الثاني الثانوي مقرر القرآن الكريم وعلومه . والذي يقوم على أسس جديدة آملين أنْ تمكن المسلمين من العودة إلى القرآن الكريم الذي لا ينكر أحد أنه هو السر الذي أودعه الله في حياة البشر ، لتحيى به القلوب ، وتنور به العقول ، ويهتدي به الناس إلى صراط مستقيم .

وقد احتوى هذا المقرر على معارف تساعد على تكوين قيم ومهارات مكملة لما سبق تناوله مما يهدف إلى بناء الحياة الإنسانية وتنظيمها في علاقة أفرادها بربهم ، أو ببعضهم البعض ، والتي أساسها العقيدة الصحيحة الموجهة للأخلاق السليمة .

وقد احتوى هذا المقرر على مقرر للحفظ ، يتكون من سورة الأنفال ، وبعض الآيات المختارة ، بجانب معارف أساسية عن الإنسان وما ينبغي أنْ يتحلى به من أخلاق كريمة تقوم على علم وإيمان جاءت به رسل الله الكرام .

وسيكون لهذا المقرر دور فعال في حياة الطلاب ، والطالبات ، بالعون الذي يقدمه الإخوة المعلمين لتلاميذهم في توضيح ما التبس ، أو تسهيل ما صعب . بجانب المساعدة التي يقدمونها لهم في النشاطات المختلفة التي يقوم بها الطلاب والطالبات في خارج المدرسة وداخلها ، بتجسيد المعارف في ممارسات حية .

والله ولي الذين آمنوا وكانوا يتقون .

المؤلفون

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ
الفصل الأول : تفسير سورة الأنفال	
مقدمة	١
تفسير سورة الأنفال	٢ – ٥٣
الفصل الثاني : الآيات المحتارة	
مقدمة	٥٤
١. استخلاف الإنسان في الأرض.	٥٨
٢. القصاص والوصية.	٦٤
٣. الدعوة للتصدق والإنفاق لوجه الله ومحاربة الربا .	٦٨
٤. أحكام الدين.	٧٨
٥. حب الناس للشهوات في الدنيا وثواب المتقين في الآخرة.	٨٤
٦. مواقف في غزوة أحد.	٩٠
٧. منزلة الشهداء وفضل الإستجابة لله والرسول.	٩٤
٨. الإحسان إلى الوالدين والجار والنهي عن البخل .	٩٩
٩. قبول التوبة والصدقات والدعوة إلى العمل الصالح وقصة مسجد الضرار .	١٠٦
١٠. قصة صاحب الجنتين وعقوبة الكفر والكبر .	١١٥
١١. بيان علم الله وقدرته ودعوة الناس للتقوى.	١٢١
١٢. بيان فضل الله تعالى على الناس.	١٢٨
١٣. الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وبر الوالدين.	١٣٢
١٤. توحيد الله في أسمائه وصفاته .	١٣٧

الموضوع	الصفحة
الفصل الثالث : صلة الإنسان باللّه والكون في القرآن الكريم	
مقدمة	١٤٣
١. الإنسان في القرآن الكريم.	١٤٤
٢. الأنبياء والرسل في القرآن الكريم.	١٥١
٣. القرآن الكريم والعلم .	١٦٣
٤. أخلاق المسلم وصفاته في القرآن الكريم.	١٧٠

الفصل الأول

تفسير سورة الأنفال

(سورة الأنفال مدنية كلها وآياتها خمس وسبعون آية)

مقدمة :

نزلت سورة الأنفال بمناسبة غزوة بدر ، ولذلك أطلق عليها بعض الصحابة " سورة بدر " الموقعة الفاصلة في تاريخ الإسلام والمسلمين . بل في تاريخ البشرية كلها إلى يوم الدين . المعركة التي قدر المسلمون أن تكون غايتها غنيمة أموال المشركين وقدر الله رب العالمين أن تكون فيصلاً بين الحق والباطل ، وأن تكون مفرق الطريق في تاريخ الإسلام ، وفي خط سير التاريخ الإنساني العام .

وقد تضمنت هذه السورة الكثير من دستور الحرب والسلم ، ودستور الغنائم والأسرى ، ودستور المعاهدات والمواثيق ، حيث أمرت بالمحافظة على العهود ، وبإعلان النبذ لها عند إرادة ذلك ، وتضمنت الكثير من دستور النصر والهزيمة ، بتضمنها لأسباب النصر والهزيمة ، وأمرت بتقوى الله ، وبطاعة القواد والرؤساء ، وحفظ أسرار الدولة والثبات في الحرب . وتضمنت واجبات المجاهدين في الإعداد والاستعداد ضماناً للسلم وإرهاباً للأعداء ، ثم ترك الأمر بعد ذلك لله تعالى ، وما النصر إلا من عند الله .

ثم تضمنت خلال ذلك مشاهد من الغزوة ، ومشاهد من حركات النفوس قبل المعركة وفي أثنائها وبعدها . وصوراً من حياة الرسول ﷺ وحياة أصحابه في مكة حين كانوا مستضعفين في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس ، ومكر الكفار بالرسول ﷺ ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه . وصوراً من حياة المشركين قبل هجرة الرسول ﷺ من بين ظهرانيهم ، وإيثارهم العناد والكفر على الإيمان والطاعة ، وأمثلة من مصائر الكافرين من قبل كدأب آل فرعون والذين من قبلهم ، لتقرير سنة الله التي لا تتخلف في نصر المؤمنين وهزيمة الكفار . وبينت أنَّ المؤمنين – مهاجرين وأنصاراً – بعضهم أولياء بعض . وأنَّ عليهم نصر الذين يستنصرونهم من المؤمنين الذين لم يهاجروا . وأنَّه لا ولاية بينهم وبين الكافرين فالكفار بعضهم أولياء بعض . والمؤمنون – ومن هاجر منهم ومن نصر – بعضهم أولياء بعض .

١ – حكم الغنائم ، وأسس نجاح الجماعة وصفات كاملي الإيمان :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ﴿٥﴾

المفردات :

الأنفال : جمع نفل والمراد به هنا الغنيمة ، وهي الأموال المأخوذة من الكفار قهراً بقتال. وسميت أنفالاً ؛ لأنها زيادة خص الله بها هذه الأمة إذ كانت محرمة على الأمم السابقة . روي في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

" أعطيت خمساً لم يُعْطهُنَّ أحد قبلي " إلى أن قال : " وأحِلتْ لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي " .

ذات بينكم : حقيقة ما بينكم . والبين من معانيه الاتصال . والمراد الوصلة الإسلامية . وإصلاحها يكون بالأمور التي تحفظها من مودة وإخاء وترك النزاع والجفاء .

وجلت : خافت وفزعت استعظاماً لجلال الله تعالى .

سبب النزول :

عن عبادة بن الصامت : نزلت فينا – معشر أصحاب بدر – حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله ﷺ فقسمه بين المسلمين على السواء ، وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله ، وإصلاح ذات البين .

وروى أبو داؤد والنسائي عن ابن عباس أنَّ النبي ﷺ قال : " من قتل قتيلاً فله كذا وكذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا " . فأمّا الشيوخ فثبتوا تحت الرايات وحول رسول الله ، وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم . فقال الشيوخ للشبان إنا كنا لكم درءاً ، ولو كان منكم شئ للجأتم إلينا فاختصموا إلى النبي ﷺ فنزلت ...

المعنى :

لقد وقع خلاف في غنائم بدر بين المسلمين ، فسألوا رسول الله ﷺ أهي للمهاجرين ؟ أم للأنصار ؟ أهي للشباب أم للشيوخ ؟ أم لهم جميعاً ؟ فقيل له : قل لهم : إنَّ حكمها لله خاصة ، ويقسمها الرسول على حسب أمر الله فلا رأي لأحد . . وفي هذه الآية إجمال بُين في آية ﴿ **واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسه ...** ﴾ الآية .

ويجوز للإمام أن ينفل من شاء من الجيش بما شاء تحريضاً على القتال، وإثارة للنفوس كما ورد : " من قتل قتيلاً فله سلبه " وهذا النفل زيادة عن سهمه في الغنيمة . .

وإذا كان حكم الأنفال لله وللرسول فاتقوا الله واجتنبوا ما أنتم فيه من شجار ونزاع فإن هذا يغضب الله لا سيما في حـــال الحرب ، واصلحوا ذات بينكم ، وراعوا أحوالاً تحقق اتصالكم ، حتى تتحقق الصلة الإسلامية ، فتكونوا في إلفة ومحبة ووفاق ، وفي ذلك تقوى الله وطاعـــة رسوله ، وإصلاح ذات البين . . وأطيعوا الله ورسوله في كل مـــا أمر به ، ففي طاعتهما الفلاح والرشاد ، أطيعوهما إن كنتم مؤمنين حقاً ، فهذه أمور ثلاثة لا بدّ منها لصلاح حال الجماعة :

تقوى الله ، وإصلاح ذات البين ، وطاعة الله ورسوله ، أي طاعة القيادة الرشيدة الحكيمة ...

أما صفات المؤمنين كاملي الإيمان التي تحقق لهم هذه الأمور الثلاثة فهي خمس صفات ، من تحققت فيه كان من المؤمنين الكاملين المخلصين في إيمانهم :

أولها : وجل القلوب عند ذكر الله تعالى ، فإذا ذكروا الله بقلوبهم ، واستشعروا عظمته وجلاله ، وتذكروا وعده ووعيده خافت قلوبهم واضطربت أرواحهم .

ثانيها : زيادة إيمانهم عند تلاوة آيات القرآن الكريم ، فإذا تليت عليهم آيات الله المنزلة على عبده محمد ﷺ ازداد إيمانهم وكمل يقينهم لتظاهر الأدلة وتمامها ، فكلما كثرت الأدلة وتعاضدت الآيات والحجج ، ازدادوا قوة في الإيمان ، ورسوخاً في العقيدة ونشاطاً في العمل ..

ثالثها : التوكل على الله ، فهم يعتمدون على الله تعالى وحده في كل أمورهم ، ويتوكلون عليه وحده ، ويلجأون إليه وحده ، كل ذلك بعد الأخذ بالأسباب ، والعمل حسب طاقة الإنسان .

رابعها : إقامة الصلاة ، فهم يؤدون الصلاة كاملة ، تامة الأركان والشروط ، كما بيَّنها الرسول ﷺ بفعله وبقوله : " صلوا كما رأيتموني أصلي " .

خامسها : الإنفاق مما رزقهم الله ، ويكون الإنفاق في وجوه البر والخير ويشمل الزكاة الفريضة ، والنافلة المطلقة . .

﴿ **أولئك هم المؤمنون حقاً** ﴾ أولئك المتصفون بهذه الصفات الجامعون للإيمان والعمل ، هم المؤمنون حق الإيمان . عن الحارث بن مالك الأنصاري

أنه مرّ برسول الله ﷺ فقال له : " كيف أصبحت يا حارث ؟ " قال : " أصبحت مؤمناً حقاً ". قال : " انظر ما تقول فإنَّ لكل شئ حقيقة . فما حقيقة إيمانك ؟ " فقال : " عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها ". قال : " يا حارث عرفت فالزم ثلاثاً " رواه الحافظ الطبراني .

﴿ **لهم درجات عند ربهم** ﴾ أي لهم درجات ومنازل على قدر أعمالهم عند ربهم ، ، ﴿ **ومغفرة ورزق كريم** ﴾ ولهم مغفرة وستر لذنوبهم ولهم رزق كريم وهو ما أعد لهم من نعيم الجنة . والعرب يصفون الشئ الذي لا قبح فيه ولا ضرر بأنه كريم . .

أسئلة :

- ما سبب نزول هذه الآيات ؟
- أمرت الآية الأولى بثلاثة أسس يعتمد عليها نجاح الجماعة المؤمنة فما هي ؟
- ما صفات المؤمنين كاملي الإيمان التي جاءت في هذه الآيات ؟
- سأل الرسول ﷺ الحارث قائلاً : " كيف أصبحت ؟ " فبم أجاب الحارث ؟
- ثم سأله ثانية : " ما حقيقة إيمانك ؟ " فماذا كانت إجابته ؟
- ما الذي تدل عليه هذه الإجابة ؟

٢ – ما حصل للنبي ﷺ حين خروجه لبدر الكبرى

يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي

قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾

المفردات :

ذات الشوكة : السلاح ، أو الشدة والقوة ، وذات الشوكة هي النفير .
دابر الكافرين : آخرهم الذي يكون في دبرهم من ورائهم .
ممدكم : معينكم وناصركم .
مردفين : متتابعين بعضهم في إثر بعض .
يغشيكم : يجعله غاشياً لكم كالغطاء من حيث اشتماله عليكم .
النعاس : فتور الأعصاب يعقبه النوم .
رجز الشيطان : الرجز والركس الشئ المستقذر والمراد وسوسته وتخويفه إياكم من العطش .
ليربط على قلوبكم : يشدَّ ويقوِّي باليقين والصبر قلوبكم .
الرعب : امتلاء القلب من الخوف .
فوق الأعناق : المراد الرؤوس .

بنان : أطراف الأصابع من اليدين والرجلين والمراد الأيدي والأرجل .

شاقوا : خالفوا وعادوا إذ هم أصبحوا في شق وناحية ، والرسول في شق وناحية .

يحسن الإلمام بقصة بدر قبل الإلمام بتفسير هذه الآيات :

لمّا هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة ، وترك المسلمون أموالهم وأرضهم وديارهم للمشركين . وسمع بأن تجارة لقريش فيها مال كثير آتية من الشام ، يقودها أبو سفيان ومعه أربعون نفراً من قريش – انتدب المسلمين إليهم قائلاً : " هذه عير قريش فيها أموالكم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها " فأعجبهم تلقي العير ، لكثرة المال وقلة الرجال .

ولكن قائد العير أبا سفيان كان يتجسس على النبي ﷺ وصحبه ، وعلم بإغراء محمد أصحابه لاعتراض العير ، فأرسل إلى قريش رسولاً يستنفرهم لحماية أموالهم ، ويخبرهم أنَّ محمداً قد تعرض لهم في أصحابه ، وسلك أبو سفيان بالقافلة طريقاً محاذياً للبحر فنجا بها . أما قريش فجمعوا جموعهم ، واستنفر أبو جهل الناس من فوق الكعبة قائلاً : " النجاء النجاء ... عيركم وأموالكم إن أصابها محمد فلن تفلحوا أبداً " . وخرج أبو جهل على رأس النفير، وبلغه أن العير نجت ، وقيل له ارجع بالناس إلى مكة ، فقال : " لا والله لا يكون ذلك أبداً حتى ننحر الجذور ، ونشرب الخمور ، وتعزف القينات ببدر ، فيتسامع جميع العرب بنا وبخروجنا ، وأنَّ محمداً لم يصب العير . . " .

أما محمد ﷺ وصحبه فلما علموا بنجاة العير ، وأنَّ قريشاً جمعت جموعها ليحموا العير ، استشار الرسول ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر وعمر فقالا وأحسنا ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : " يا رسول الله ، أمض كما أمرك الله ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك ما دامت عين منا تطرف ". فضحك رسول الله ﷺ ثم قال : " أشيروا عليّ أيها الناس " وكان يريد الأنصار فقال سعد بن معاذ : " قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أنَّ ما

جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض بنا يا رسول الله فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ... فسر على بركة الله " فسُرّ رسول الله ﷺ لقول سعد ..

ثم قال رسول الله : " سيروا على بركة الله وأبشروا فإنَّ الله وعدني إحدى الطائفتين العير أو النفير . والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم ".

فعلم من هذا أنَّ النبي ﷺ خرج من المدينة لأجل العير . وأنه استشار أصحابه في قتال النفير بعد هذا ..

المعنى :

﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإنَّ فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ حال أهل بدر في كراهة قسمة الغنيمة بالتسوية مثل حال بعضهم في كراهة الخروج لقتال قريش مع ما في هذه القسمة والقتال من الخير . .

وقد وقعت في هذه الغزوة كراهتان بحكم الطبيعة البشرية ، أعقبهما إذعان وتسليم ورضى من الصحابة رضوان الله عليهم :

الأولى : كراهة بعض أهل بدر قتال قريش ، بعد نجاة العير التي خرجوا لأجلها ، لخروجهم من غير استعداد للقتال لا بعَدَد ولا بعُدَد ، فكان في القتال الذي أمروا به عزة الإسلام وكسر شوكة الكفر والطغيان . وفي الآية تنويه بأنَّ الخير فيما قدّره الله لا فيما يظنون ..

الثانية : كراهة شبان أهل بدر قسمة الغنيمة بالسَّويَّة ، وكانوا يحبون الاستئثار بها ؛ لأنهم هم الذين باشروا القتال دون الشيوخ الذين كانوا معهم في الغزوة ، مع أنهم كانوا ردءاً لهم . فكان في الأمر بالقسمة بالسوية خير للمؤمنين ، إذ أصلح الله بينهم وردهم إلى حالة الرضا والصفاء .

﴿ يجادلونك في الحق بعدما تبين ﴾ : أي يجادلونك في أمر القتال بقولهم : ما كان خروجنا إلا للعير ، دون تأهب للقتال ، بعدما تبين الحق بإعلامك أنهم يُنصرون أينما توجهوا ، فقد أخبرهم الرسول ﷺ قبل نجاة العير بأنَّ الله وعده بالظفر بإحدى الطائفتين : العير أو النفير .

والعير : الإبل الحاملة لأموال قريش الآتية من الشام إلى مكة .

والنفير : المشركون الذين استنفرهم أبو سفيان للقتال دون العير .

﴿ **كأنما يساقون إلى الموت وهو ينظرون** ﴾ : لقد وعدهم الله تعالى إحدى الطائفتين على الإبهام ، فتعلقت آمالهم بالعير ، فلما نجت العير ولم يبق إلا مقابلة النفير صعب على بعضهم اللقاء ، وخافوا الحرب وأخذوا يعتذرون ، ولكن الحق تبين ولم يعد للجدال وجه إلا الجبن والخور والخوف من القتال ، كأنهم لشدة ما هم فيه من الرهبة يساقون إلى الموت المحقق وهو ينظرون إليه ، إذ الفرق بين القوتين شاسع ، ولكن الله وعدهم بالنصر قال تعالى : ﴿ **كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ .

﴿ **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم** ﴾ : واذكروا وقت أنْ وعدكم الله إحدى الطائفتين من العير أو النفير أنها لكم ، وتودون أنْ تظفروا بالعير ، فإنها قليلة العدد ، ولا شوكة معها مع كثرة المال . ويريد الله لكم غير هذا ، وهو ملاقاة النفير الذي له الشوكة والحول والطول ، وتكون الدائرة على المشركين . ويحق الله الحق بآياته المنزلة على رسوله في محاربة الكفار وبما أمر الملائكة من نزولهم لنصرة المسلمين ، وبما قضى لهم من أسر وقتل وطرح في القليب ، ويريد الله أن يقطع دابر الكافرين ويمحو أثرهم .

يريد الله ذلك ليحق الحق ويثبت دعائم الإسلام . ويبطل الباطل ويهدم الشرك والكفر والطغيان ولو كره المجرمون . وذلك لا يكون بأخذ العير أبداً وإنما يكون بهزيمة النفير ، وقتل صناديد الشرك وأسرهم وإذلالهم . ﴿ **إذ تستغيثون ربكم** ﴾ اذكر يا محمد وقت استغاثتكم ربكم ، وطلبكم منه الغوث والنصر على عدوكم ، وقد استغاث النبي ﷺ لما رأى ضعف المسلمين وقلة عددهم وتهيبهم للقتال – ليوفقه الله إلى سنن النصر ، ويؤيده فتقوى الروح المعنوية ، فيتحقق النصر ، وقد استغاث الصحابة قائلين : أي ربنا انصرنا على عدوك ، يا غياث المستغيثين أغثنا ﴿ **فاستجاب لكم** ﴾ دعاءكم بأنه مرسل إليكم مدداً ألفاً من الملائكة ﴿ **مردفين** ﴾ أي متتابعين بعضهم في إثر بعض – وقد قاتلت الملائكة في بدر على الصحيح . وإنما كانت تنزل لتكثير عدد المسلمين . ﴿ **وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ وما جعل الله ذلك المدد الإلهي ببعث الملائكة وإعلامكم بهم إلا بشرى بأن النصر لكم ، وأنَّ الله معكم ، ولتسكن قلوبكم ، ويهدأ روعكم ، فتلقون الأعداء ثابتين مطمئنين .. واعلموا أن النصر من عند الله لا من عند

غيره أبداً ، إنَّ الله عزيز لا يُغالب .. حكيم في كل صنع .. وهل قاتلت الملائكة بالفعل كما ورد في بعض الروايات ؟ أو هي قوة معنوية ، وتكثير للسواد ولم يحاربوا ، بل ثبتت قلوب المسلمين ، وقويت بهم روحهم المعنوية .. والله أعلم .

﴿ **إذ يغشيكم النعاس أمنة منه** ﴾ واذكروا إذا ألقى الله عليكم النعاس حتى غشيكم . كما روي عن علي كرم الله وجهه قال : " ما كان فارس إلا المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم ، إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة حتى أصبح " ولا شك أنَّ النعاس يزيل الخوف . ومن دلائل الأمن والطمأنينة والوثوق بالنصر .. ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ﴾ وقد نزل المسلمون في كثيب أعفر ، تسوخ فيه الأقدام ، وليس فيه ماء ، وقد احتلم بعضهم ليلاً ولما أصبحوا ظمئوا ، وصلوا مجنبين محدثين ، فوسوس لهم إبليس وقال : لو كنتم على حق وفيكم نبي لما صليتم بجنابة وبغير وضوء ، ولما كنتم عطاشاً وهم على الماء ، فأنزل الله مطراً كان على المشركين وبالاً شديداً ، وعلى المسلمين ظلاً خفيفاً ، طهرهم من الرجس والدنس والجنابة والحدث ، وقضى على وسوسة الشيطان . وأصبحوا يطأون الرمل بسهولة فثبتت أقدامهم ، وسكنت قلوبهم . وسبق المسلمون إلى الماء فنزلوا عليه . وبنوا الحياض ثم غوّروا ما عداها من الماء ، وبني لرسول الله ﷺ عريش على تل مشرف على المعركة .

﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أنِّي معكم فثبتوا الذين آمنوا** ﴾ اذكروا إذ يوحي ربك إلى الملائكة بالإلهام أني معكم بالنصر والتأييد ، فثبتوا قلوب المؤمنين ، وقووا عزائمهم ، وذكروهم وعد الله تعالى ورسوله بالنصر ، وأنَّه لا يخلف الميعاد. وكان الملائكة يسيرون بين الصفوف في صورة رجال ويقولون: ابشروا فإن الله ناصركم ﴿ **سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب** ﴾ وأنَّ الله تعالى سيلقي في قلوب الكفار الرعب ، فاضربوا رؤوسهم التي فوق الأعناق واقطعوها ، واقطعوا أيديهم التي طالما عصت الله تعالى ، وآذت المؤمنين . ذلك النصر المؤزر للنبي ﷺ وللمؤمنين ، وتلك الهزيمة للمشركين بسبب أنهم عادوا الله ورسوله ، فكانوا في شق وجانب ، والرسول والمؤمنون في شق وجانب ﴿ **ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب** ﴾ ومن يعاد الله ورسوله ويخالف أمرهما فإن له عذاباً شديداً عند الله تعالى ﴿ **ذلكم** ﴾ أيها الكفار

عقابكم في الدنيا ﴿ **فذوقوه وإنَّ للكافرين عذاب النار** ﴾ والمعنى : ذوقوا هذا العذاب العاجل في الدنيا مع الآجل الذي ينتظركم في الآخرة . .

أسئلة للمناقشة :

١) كيف نجت القافلة وأفلتت من المسلمين ؟
٢) ماذا قال الرسول ﷺ بعد أن سمع رأي الأنصار من زعيمهم ؟
٣) ما المشبه والمشبه به في الآية الأولى ؟
٤) وقعت في هذه الغزوة كراهتان بحكم الطبيعة البشرية أعقبهما رضى وتسليم من الصحابة . فما هما ؟
٥) ماذا كان يريد المسلمون من هذه الغزوة ؟ وماذا أراد الله تعالى ؟
٦) استغاث الرسول ﷺ والمسلمون ربهم أن ينصرهم فاستجاب لهم. فما مظهر تلك الاستجابة ؟
٧) كيف قاتلت الملائكة يوم بدر ؟
٨) قال تعالى ﴿ **إذ يغشيكم النعاس أمنة منه** ﴾ فما أثر النعاس على المقاتلين ؟ وعلام يدل ؟
٩) من نعم الله على المسلمين يوم بدر أنْ أنزل عليهم المطر .. وضح كيف كان المطر نعمة على المسلمين ؟

١٠) إلام يرجع اسم الإشارة في ﴿ **ذلكم فذوقوه** ﴾ ؟

٣ – توجيهات حربية وتحذير من مخالفة الدين

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا
تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا
لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ
وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ
﴿١٨﴾ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ
خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا
وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾
وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾

۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ

المفردات :

زحفاً : زحف إذا مشى على بطنه كالحية ، أو دبَّ على مقعده كالصبي، أو مشى بثقل في الحركة واتصال وتقارب خطو . والعسكر المنتظم في سيره كأنه جسم واحد إذا تحرك يبدو أنه زاحف.

الأدبار : جمع دبر وهو ما قابل القبل . ويطلق على الظهر ، والمراد الهزيمة .

متحرفاً : تحرّف وانحرف مال إلى حرف أي إلى جانب . .

متحيزاً منحازاً إلى جماعة أخرى أي منضماً إليها .

ليبلى المؤمنين : البلاء الاختبار بإعطاء النقم لاختبار الصبر ، والنعم لاختبار الشكر . والمراد هنا الابتلاء بالنعم .

تستفتحوا : تطلبوا الفتح والنصر في الحرب والفصل في الأمر

الصُّم : الصمم عدم السمع والأصم الأطرش .

البكم : البكم عدم الكلام والأبكم العاجز عن الكلام والنطق .

الدواب : جمع دابة وهي ما يدب على وجه الأرض ، والغالب استعمالها في الحشرات والدواب التي تحمل على ظهرها ، وإذا أريد بها الإنسان كان المقصود الاحتقار .

المعنى :

يأيّها المؤمنون إذا لقيتم أعداءكم الكفار مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون فلا تنهزموا وتفروا أمامهم مهما كثر عددهم ، بل اثبتوا وقاتلوا فالله معكم . ومن يوليهم يوم اللقاء ظهره منهزماً فقد باء ورجع بغضب وسخط عظيم من الله

تعالى ، ومأواه ومقره نار جهنم يعذب فيها ، وبئس المصير والمرجع . فالفرار من الزحف إذا التقى الجيشان كبيرة من الكبائر كما جاء في حديث الرسول ﷺ " اجتنبوا السبع الموبقات " وذكر منها ﴿ ... **والتولي يوم الزحف** ﴾ . ويكون التولي مباحاً في حالتين : رجل منحرف من مكان إلى مكان رآه أصلح في ضرب العدو ، أو أراد أن يوهم العدو أنه يفر حتى يستدرجه بعيداً عن صحبه ثم يكر عليه فيقتله ، أو رجل منتقل من جماعة إلى جماعة أخرى رأى أنها في حاجة إليه ، فيشد أزرهم ويقوي عزمهم .

ثم يقول الله تعالى : ﴿ **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم** ﴾ لم تقتلوهم ذلك القتل الذي كسر شوكتهم في الواقع بمحض قوتكم واستعدادكم المـــادي ، ولكن الله قتلهم بأيديكم بما كان من تثبيت قلوبكم وإلقاء الرعب في قلوب أعدائكم ، فهذه الآية بمعنى قوله تعالى ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم** ﴾ ..

﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ : روي أنَّه لما طلعت قريش قال ﷺ : " هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك ، اللهم إنِّي أسألك ما وعدتني " فأتاه جبريل فقال : خذ قبضة من تراب فارمهم بها ، فرمى بها وقال : " شاهت الوجوه " فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه . . والمعنى : وما رميت أنت في الحقيقة أعين القوم بقبضة من تراب ولكن الله رمى بإيصال التراب إلى عيونهم مع كثرتهم وبعد المسافة ، فصورة الرمي للرسول ﷺ وأثر الرمي وما حدث منه لله تعالى . . ﴿ **وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً** ﴾ أي ليحسن إلى المؤمنين وينعم عليهم بالنصر والغنيمة وحسن السمعة ورد الإعتبار ﴿ **إن الله سميع عليم** ﴾ لكل قول والتجـــاء إليه ﴿ **عليم** ﴾ بكل نيـــة وعمل .. ﴿ **ذلك وأنَّ الله موهن كيد الكافرين** ﴾ ذلك الذي حدث من قتل الكافرين ونصر المؤمنين حق ، والغرض منه توهين وإضعاف كيد المشركين حتى لا تقوم لهم قائمة . .

﴿ **إنْ تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** ﴾ : هذه الآية خطاب لكفار قريش ، فقد روي أنَّ أبا جهل قال يوم بدر : اللهم أينا كان أقطع للرحم ، وآتى بما لا يعرف فأمته الغداة ، فكان ذلك منه استفتاحاً . .. والمعنى : إن تستفتحوا أيها الكفار فقد جاءكـــم الفتح ، وهذا منتهى التهكم بهم ، إذ جـــاءهم الهلاك والذلـــة

﴿ **وإن تنتهوا فهو خير لكم** ﴾ أي إنْ تكفوا عن الكفر بالله ورسوله ومحاربة النبي ﷺ فهو خير لكم في دنياكم وآخرتكم . ﴿ **وإنْ تعودوا نَعُدْ** ﴾ وإن تعودوا إلى حرب الرسول ﷺ نعد إلى نصره وهزيمتكم ﴿ **ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت** ﴾ أي لن تدفع عنكم جماعتكم شيئاً من عذاب الدنيا مهما كثر الأعوان ﴿ **وأنَّ الله مع المؤمنين** ﴾ بالنصر والتأييد . .

﴿ **يأيّها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله** ﴾ يا من اتصفتم بالإيمان أطيعوا الله ورسوله فيما أمرا به ، ونهيا عنه ﴿ **ولا تولوا عنه** ﴾ أي لا تعرضوا عنه بمخالفة أمره ﴿ **وأنتم تسمعون** ﴾ والحال أنكم تسمعون المواعظ والزواجر في القرآن والحديث . . ﴿ **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون** ﴾ فإياكم أنْ تكونوا مثل الكفار الذين قالوا سمعنا بآذاننا ، وهم لا يسمعون بقلوبهم . فسماعهم بآذانهم دون قلوبهم كلا سماع . . ﴿ **إنّ شر الدواب عند الله الصم البكم** ﴾ إنَّ شر الخلق عند الله من لا يصغي بسمعه إلى الحق فيتبعه ، ويعتبر بالموعظة الحسنة فيعمل بها ، فإنَّ من لا يستخدم جهاز السمع فيما خلق له ، صار كأنه فاقد له ، فهو أصم عن الحق والخير والهدى . . وكذلك شر الخلق عند الله البكم الذين لا يقولون الحق ، فصاروا كالذين فقدوا القدرة على الكلام ﴿ **الذين لا يعقلون** ﴾ أي الذين فقدوا العقل الذي يميز به المرء بين الحق والباطل ، والنور والظلام ، والإسلام والكفر . وفي الآية غاية الذم للكفار بأنهم أشر من الكلب والخنزير والحمير ، لأنهم لم يستفيدوا من خواصهم فصاروا أخسّ من كل خسيس ﴿ **ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم** ﴾ أي لو علم الله في نفوسهم الميل إلى الخير ، والاستعداد للإيمان والهدى لأسمعهم بتوفيقه سماع تدبر وتفهم لكلامه وكلام رسوله ﴿ **ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون** ﴾ أي لو فرض أنّ الله أسمعهم لتولوا ، والحال أنهم معرضون عناداً ، فهم لا خير فيهم .

أسئلة للمناقشة :

١) بم توعد الله تعالى الفارين من قتال أعدائهم ؟

٢) استثنى النص صنفان من العقاب الذي أعد للفارين من أعدائهم . فمن هذان الصنفان ؟

٣) قال تعالى : ﴿ **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم** ﴾ وضح معنى هذه الجملة من الآية الكريمة . وقال تعالى : ﴿ **وما رميت إذ رميت** ﴾ نفى الله تعالى الرمي عن النبي ﷺ ثم ثبته له . ما الرمي المنفي ؟ وما الرمي المثبت ؟

٤) ما المراد بقوله تعالى ﴿ .. **وليبلي المؤمنين** .. ﴾ ؟

٥) لمن يوجه الخطاب في قوله تعالى ﴿ **إن تستفتحوا** ﴾ ؟ وما الفتح الذي جاءهم ؟ وهل هو فتح حقيقة ؟

٦) ﴿ **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون** ﴾ من هم الذين نهى المؤمنون أن يكونوا مثلهم ؟ وكيف قالوا سمعنا . . ونفي عنهم السمع ؟ فما السمع المثبت ؟ وما السمع المنفي ؟

٧) ما المراد بشر الدواب ؟

ما الذي نستفيده من هذه الآية ونحن نسمع آيات القرآن الكريم ؟

٤ – الاستجابة لله وعدم خيانته وأثر التقوى

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا
يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ
خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ
أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ
ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ
أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ
فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

المفردات :

يتخطفكم : الخطف الأخذ بسرعة .

لا تخونوا : الخيانة والخون يدلان على النقص ، وإخلاف ما كان يرجى . ومن قيل : خانه الحظ وخانته رجلاه ، ثم استعمل الخون والخيانة في ضد الأمانة والوفاء .

الأمانة : تدل على التمام ، وهي حق مـــاديّ ، أو معنوي يجب عليك أداؤه .

فتنة : هي الإبتلاء والإختبار أو المراد بها الإثم والعذاب .

إن تتقوا الله : التقوى من الوقاية وهي امتثال الأمر واجتناب النهي ؛ لأنَّ هذا يكون وقاية للعبد من النار . .

المعنى :

﴿ **يأيّها الذين آمنوا** ﴾ ناداهم الله تعالى بوصف الإيمان الذي يوجب الإمتثال والإستجابة ، ثم قال : ﴿ **استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** ﴾ أمرهم بأن يجيبوا دعاء الرسول ﷺ إلى الإيمان الذي به تحيا النفوس ، وإلى طاعة الله تعالى وامتثال أوامره جميعها لينالوا سعادة الدنيا والآخرة . وقد دعانا رسول الله ﷺ إلى الإيمان والقرآن والهدى والجهاد ، ومن حرم ذلك فهو ميت لا حياة فيه ، قال تعالى : ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها** ﴾ .

﴿ **واعلموا أنَّ الله يحول بين المرء وقلبه** ﴾ ويفصل بينهما ، فالله تعالى هو المتصرف في جميع الأشياء ، يصرف القلوب كيف يشاء مما لا يقدر عليه صاحب القلب ، فيغير مقاصد الإنسان ، ويفسخ ما عزم عليه ، ويلهمه رشده ، أو يزيغ قلبه عن الصراط المستقيم ، ولذا كان من دعاء الرسول ﷺ " يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " . ﴿ **وأنه إليه تحشرون** ﴾ واعلموا أنكم تحشرون إلى الله ، فسارعوا إلى العمل ، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وأعدوا العدة ليوم الحشر .. ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ بل تعمهم وغيرهم . والمعنى احذروا بطش الله وانتقامه وإن عصيتم أمره ، واحذروا فتنة

إن نزلت بكم لا تقتصر على الظالمين وحدهم بل تعم الجميع ، الصالح والفاسد ، لأنَّ الظالم يهلك بظلمه ومعصيته ، أما غيره فيهلك لأنه لم يمنع الظالم من الظلم، وقد قال رسول الله ﷺ : " إنَّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه – أوشك أنْ يعمهم الله بعذاب من عنده " رواه البخاري . ﴿ **واعلموا أنّ الله شديد العقاب** ﴾ على من خالف أمره ، فهو معاقبه في الدنيا والآخرة ، وهذا وعيد شديد للظالمين والساكتين عنهم . ﴿ **واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض** ﴾ الخطاب للمهاجرين وقيل لجميع المؤمنين في عصر التنزيل ، واذكروا وقت أن كنتم قلة مستضعفين في مكة ، والمشركون يؤذونكم ويفتنونكم عن دينكم ويذيقونكم سوء العذاب ، وأنتم تخافون أن يأخذوكم بسرعة خاطفة ، كما كان يتخطف بعضهم بعضاً خارج الحرم . قال تعالى : ﴿ أو لم يروا أنَّا جعلنا حرماً آمناً ويُتخطف الناس من حولهم ﴾ ؟ ﴿ **فآواكم** ﴾ جعل لكم مأوى تتحصنون به من عدوكم وهو المدينة المنورة وأهلها الأنصار ﴿ وأيدكم بنصره ﴾ يوم بدر ، وبما أرسل لكم من الملائكة ، وبما ألقى في قلوب أعدائكم من الرعب والخوف ﴿ **ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون** ﴾ أي ومنحكم غنائمهم يوم بدر ، رزقاً حسناً ، رجاء أن تقوموا بالشكر على هذه النعم العظيمة . .

﴿ **يأيّها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول . . .** ﴾ : روي أنها نزلت في أبي لبابة ، وكان حليفاً لبني قريظة من اليهود ، فلما خرج إليهم النبي ﷺ بعد إجلاء بني النضير ، وحاصرهم (إحدى وعشرين ليلة) طلبوا من النبي ﷺ أن يرسل إليهم أبا لبابة وكان مناصحاً لهم ، لأنَّ أمواله وعياله فيهم ، فبعثه إليهم فقالوا : ما ترى ؟ هل ننزل على حكم سعد بن معاذ ؟ فأشار إلى حلقه . أي ان حكم سعد الذبح . فقال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله . فنزلت الآية . وقد شدَّ نفسه على سارية المسجد وأبى الطعام والشراب حتى الموت أو يتوب الله عليه . ومكث سبعة أيام ، وبعدها تاب الله عليه ، وفك النبي ﷺ وثاقه . .

يامن اتصفتم بالإيمان ، وتصديق الرحمن ، والاهتداء بالقرآن لا تخونوا الله والرسول فتعطلوا فرائضه ، أو تنقضوا شيئاً من أحكامه التي بينها لكم في

كتابه ، أو تطلعوا المشركين على أسرار المؤمنين ، فذلك خيانة تتنافى مع الإيمان ، ولا تخونوا الرسول فيمـــا أمركم به أو نهاكم عنه ﴿ **ولا تخونوا أماناتكم** ﴾ ولا تخونوا ما ائتمنتم عليه من التكاليف الشرعية ، ولا تخونوا الأمانة التي في أيديكم لغيركم سواء كانت في معاملات مالية أو شؤون أدبية و سياسية أو سراً من الأسرار ، وعهداً من العهود ﴿ **وأنتم تعلمون** ﴾ والحال أنكم تعلمون سوء عاقبة الخيانة في الدنيا والآخرة . .

﴿ **واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ أي امتحان من الله ليختبركم كيف تحافظون معها على حدوده . وإنما كانت الأموال والأولاد فتنة ؛ لأنها تشغل القلب بالدنيا ، وتصير حجاباً يمنع العبد عن القيام بطاعة الله تعالى . والواجب أن يتقي المؤمن الله تعالى في المال فيكسبه من طريق الحلال ، وينفقه في سبيل الله ، ويخالف نفسه وهواه في ذلك ، ويتقي الله في الولد ، فلا يكون حبه من دواعي ارتكابه الإثم والعدوان ، ويراقب الله فيه فينشئه تنشئة صالحة تقوم على تعاليم الدين وآدابه ، واعلموا ﴿ **أنَّ الله عنده أجر عظيم** ﴾ أي ثوابه وعطاؤه خير لكم من الأموال والأولاد فاحرصوا على طاعة الله ، ولا تخونوا الله ورسوله ...

﴿ **يأيّها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً** ... ﴾ يا من اتصفتم بالإيمان إن تتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يجعل لكم هداية ونوراً في قلوبكم ، تفرقون به بن الحق والباطل ، وفي الآية دليل على أنَّ التقوى تنور القلب ، وتشرح الصدر ، وتزيد في العلم والمعرفة ﴿ **ويكفر عنكم سيئاتكم** ﴾ أي يمحو ما سلف من ذنوبكم ﴿ **ويغفر لكم** ﴾ أي يسترها عليكم فلا يؤاخذكم بها ﴿ **والله ذو الفضل العظيم** ﴾ فهو سبحانه واسع الفضل عظيم العطاء . .

أسئلة للمناقشة :

١) أمرت الآية المؤمنين بالإستجابة إذا دعاهم الله تعالى ورسوله لما يحييهم . فما المقصود بما يحييهم ؟

٢) ما الذي تدل عليه الآية ﴿ **واعلموا أنَّ الله يحول بين المرء وقلبه** ﴾ ؟

٣) بم تأمرنا هذه الآية : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ ؟

٤) ﴿ **واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض ...** ﴾ الآية . لمن الخطاب في هذه الآية ؟

٥) ما سبب نزول الآية الكريمة : ﴿ **يأيّها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم** ﴾ ؟

٦) ﴿ **واعلموا أنّما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ كيف تكون الأموال والأولاد امتحاناً ؟ وما السبيل للنجاح في هذا الامتحان ؟

٧) (التقوى تنور القلب فيفرق بين الحق والباطل) أي الآيات أشارت إلى ذلك ؟ وما التقوى ؟

٥ – تآمر الكفار بالرسول ﷺ وحماقتهم وإنفاقهم للصد عن الإسلام

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ

لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٣٧ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠

المفردات :

يمكر : المكر التدبير الخفي المفضي بالممكور به إلى ما لا يحتسب .

ليثبتوك : ليحبسوك ويوثقوك إذ كل من شدَّ شيئاً وأوثقه فقد أثبته حتى لا يقدر على الحركة .

أساطير : جمع أسطورة وهي القصص المتخيلة التي سطرت في الكتب بدون تمحيص ولا نظام .

مكاءً : صفيراً ...
تصدية : تصفيقاً
حسرة : ندامة وألماً

تمهيد :

﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ..** ﴾ هذه نعمة من نعم الله على النبي ﷺ خاصة ؛ ذكرت بعد أنْ منّ الله على المسلمين بقوله : ﴿ **واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض** ﴾ . وهذه قصة تمثل جانباً من رواية الهجرة الشريفة يحسن الوقوف عليها . .

لما شاع خبر محمد ﷺ وأصبح أتباعه يزيدون يوماً بعد يوم ، اجتمع أشراف قريش في دار الندوة للتشاور في الخطر الداهم ، وتمثل لهم إبليس في زي شيخ نجدي وحضر اجتماعهم ، فقال أبو البختري : " الرأي أنْ تحبسوه في بيته ، وتشدوا وثاقه ، وتسدوا عليه بابه ، وتتربصوا به ريب المنون " . فقال الشيخ النجدي : " ما هذا بالرأي ، فإن أهله وأتباعه يقاتلونكم ويفكون أسره " . ثم قال هشام بن عمر : " الرأي أن تخرجوه من ديارنا وتستريحوا منه ولا يضركم ما يفعل " . فقـــال النجدي : " ما هذا برأي ، أرأيتم إلى طلاقـــة لسانه ، وحلو حديثه ، وقوة تأثيره ، فلا تأمنوا أن يجتمع عليه العرب ، ويغزوكم في عقر دياركم " . ثم قال أبو جهل : " لي رأي ، أن نجمع من كل قبيلة فتى جلداً قوياً ومع كل فتى سيف بتار ، فيضربوه ضربة رجل واحد ، فيضيع دمه بين القبائل ، وماذا يفعل بنو هاشم في هذا ؟ " قال إبليس : " نعم هذا الرأي. " ولكن الله أطلع الرسول على كل ذلك ، وأحبط تلك المؤامرة ، وردهم خائبين . . وخرج النبي ﷺ وأبو بكر مهاجرين إلى المدينة . قال تعالى : ﴿ **ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** ﴾ . .

المعنى :

واذكر يا محمد وقت اجتماع كفار قريش في دار الندوة ليمكروا بك ، ويدبروا أمر القضاء عليك وعلى دعوتك ، وعاونهم في ذلك إبليس لعنه الله ، فإن في ذلك القصص ذكرى وعبرة لك ولأمتك وفيه دليل صدقك وتأييد الله لك .

إنهم دبروا لك إحدى ثلاث : إما الحبس والمنع من لقاء الناس ، وإما القتل الجماعي ، وإما الإخراج من الوطن . . فهم يمكرون بك وبأصحابك ويدبرون لك الأذى ، ولكن الله يرد مكرهم ويحبط مؤامراتهم ويحفظك منهم فقد أخرجك من مكة إلى المدينة مهاجراً ، ثم عدت إلى مكة غازياً فاتحاً ، ﴿ **والله خير الماكرين** ﴾ لأن مكره إعزاز للحق وأهله ، ونصر للإسلام وخذلان للباطل . . . هذا كيدهم للنبي ﷺ وأصحابه ، أما كيدهم للقرآن الكريم فهو قوله تعالى ﴿ **وإذا تتلى عليه آياتنا** ﴾ البينات الواضحات ﴿ **قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا** ﴾ قالوا مكابرة وعناداً : قد سمعنا هذا الكلام، لو أردنا لقلنا مثل القرآن، فنفوا بمشئيتهم الإتيان بمثله ﴿ **إن هذا إلا أساطير الأولين** ﴾ ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا إلا أكاذيب وأباطيل وحكايات الأمم السابقة سطروها وليس كلام الله تعالى . . ثم يذكر القرآن صورة من حماقة العرب فيقول : ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ...** ﴾

روي أن الذي قال ذلك هو النضر بن الحارث من بني عبد الدار ، قاله استهزاءً وإمعاناً في الجحود . . . إن كان هذا القرآن حقاً منزلاً من عندك ﴿ **فأمطر علينا حجارة من السماء** ﴾ أي فعاقبنا على الكفر بحجارة من سجيل كما عاقبت أصحاب الفيل ﴿ **أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ مؤلم يهلكنا ... وكان الأولى لهم أن يقولوا : اللهم إنْ كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ووفقنا لاتباعه ، ولكنهم استعجلوا العقوبة والعذاب لسفههم ..

﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم** ﴾ ، وهذا بيان لموجب تأخير العذاب، والمعنى : وما كان من مقتضى سنة الله ورحمته وحكمته أن يعذبهم بعذاب الاستئصال وأنت مقيم بين أظهرهم بمكة . وقد جرت سنة الله ألا يهلك أمة مكذبة وفيها نبيها والمؤمنون به ، حتى يخرجهم منها ، ثم يعذب الكافرين ﴿ **وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ . أي وما كان الله معذب هؤلاء

الكافرين وبين أظهرهم بمكة من المؤمنين المستضعفين من يستغفر الله ، وهم الذين لم يستطيعوا الهجرة حين هاجر الرسول ﷺ .

﴿ **ومالهم ألا يعذبهم الله** ﴾ ؟ وأي شئ ثابت لهم حتى لا ينتفي عنهم العذاب ؟ فهم معذبون لا محالة بعد خروجك وخروج المستضعفين من بين أظهرهم . وكيف لا يعذبون ؟ وهم يصدون الناس عن المسجد الحرام ؟ كما صدوا رسول الله ﷺ عنه عـــام الحديبية . ﴿ **وما كانوا أولياءه** ﴾ وما كانوا أهلاً لولاية المسجد الحرام مع شركهم وعداوتهم للنبي ﷺ ﴿ **إن أولياءه إلا المتقون** ﴾ ما أولياءه إلا المؤمنون المتقون من المسلمين فقط ﴿ **ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ ذلك لجهلهم وسفاهتهم .

﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية** ﴾ هذا من أفعالهم القبيحة ، أي ما كانت عبادتهم وصلاتهم عند البيت الحرام إلا تصفيراً وتصفيقاً ، وكانوا يطوفون بالبيت عراة رجالاً ونساءً يصفرون ويصفقون .

﴿ **فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ فذوقوا عذاب القتل والأسر بسبب كفركم وأفعالكم القبيحة ، وهذا إشارة لما حصل لهم يوم بدر على أيدي المؤمنين فأما العذاب الذي طلبوه فهو مؤجل رحمة بهم ، ولعلهم يستغفرون . .

روى ابن اسحق عن الزهري أنَّه لما أصيبت قريش يوم بدر ورجع جلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة من قريش ، فقالوا : " يا معشر قريش إنَّ محمداً قد وتركم، وقتل خياركم فأعينوننا بهذا المال على حربه ، لعلنا أن ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا " ، ففعلوا . فقال ففيهم أنزل الله عز وجل : ﴿ **إنَّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ..** ﴾ ولكن مدلول الآية عام وهو يتحقق على مدار التاريخ في شتى العصور . وإنَّ الله تعالى ينذر الكفار فيقول ﴿ **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله** ﴾ أي يصرفون أموالهم ويبذلونها لمنع الناس من الدخول في الإسلام ، ولحرب محمد ﷺ ﴿ **فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة** ﴾ فسينفقون هذه الأموال في الصد عن سبيل الله ثم تصير في النهاية ندامة عليهم ، لأن أموالهم تضيع في سبيل الشيطان ، ولن يصلوا إلى ما يريدون من إطفاء

نور الله . ﴿ **ثم يغلبون** ﴾ أي تكون نهايتهم الهزيمة والاندحار ، لأنَّ الله تعالى قدّر ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي** ﴾ هذا عذابهم في الدنيا : ضياع المال والهزيمة النكراء ، وأما في الآخرة فهو ﴿ **والذين كفروا إلى جهنم يحشرون** ﴾ أي والذين ماتوا على الكفر يساقون إلى جهنم ، فمـــا أعظم حسرتهم . . . . ﴿ **ليميز الله الخبيث من الطيب** ﴾ ليفرق الله بين المؤمنين الأخيار والكفرة الأشرار، ﴿ **ويجعل الخبيث بعضه على بعض** ﴾ ويجعل الكفار بعضهم فوق بعض ﴿ **فيركمه جميعاً** ﴾ فيجعلهم كالركام متراكماً بعضهم فوق بعض لشدة الازدحام ﴿ **فيجعله في جهنم** ﴾ فيقذف بهم في النار ﴿ **أولئك هم الخاسرون** ﴾ الذين خسروا أنفسهم وأموالهم . .

ثم يفتح الله لهم باب الرحمة فيدعوهم إلى التوبة والإنابة ، ويحذرهم من الإصرار على الكفر فيقول ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **للذين كفروا** ﴾ من قومك ﴿ **إنْ ينتهوا** ﴾ عن الكفر ويؤمنوا بالله ، ﴿ **يُغفر لهم ما قد سلف** ﴾ يغفر لهم الله ما قد سلف من الذنوب ؛ لأنَّ الإسلام يجب ما قبله ، ويفتح للمسلم صفحة جديدة تسطر فيها أعماله ويجازى عليها ﴿ **وإن يعودوا** ﴾ أي إلى قتالك وتكذيبك ﴿ **فقد مضت سنة الأولين** ﴾ فقد جرت سنة الله في الأمم السابقة المكذبة للرسل أنْ يدمرهم ويهلكهم ، وكذلك سنفعل بهـــم . . . وهذا وعيد شديد لهؤلاء الكافرين ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** ﴾ وهذا أمر من الله للمؤمنين بقتال المشركين حتى لا يكون شرك ، ولا يعبد إلا الله تعالى . والفتنة : الشرك .. أي حتى لا يبقى مشرك وحتى لا يُفتن مسلم في الأرض عن دينه ﴿ **ويكون الدين كله لله** ﴾ وتمحى الأديان الباطلة ، ولا يبقى إلا دين الإسلام . ومحوها إما بهلاك أهلها جميعاً أو برجوعهم عنها ﴿ **فإن انتهوا** ﴾ فإن تركوا الكفر وأسلموا ﴿ **فإنَّ الله بما يعملون بصير** ﴾ أي مطلع على قلوبهم وسيجازيهم على إسلامهم ﴿ **وإن تولوا** ﴾ إي أعرضوا عن الإسلام ﴿ **فاعلموا** ﴾ أيهـــا المسلمون ﴿ **أنَّ الله مولاكم** ﴾ أي ناصركم ومعينكم ، فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم ﴿ **نعم المولى ونعم النصير** ﴾ من نعم الله أنْ يكون مولاكم ، فإنه لا يضيع من تولاه ، ونعم النصير لكم ، فإنَّه لا يُغلب من نصره الله .. سبحانه وتعالى . . .

أسئلة المناقشة :

١) ما الذي تشير إليه الآية الكريمة ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ...** ﴾ الآية ؟ متى كان ذلك المكر ؟ وما الذي اتفقوا عليه ؟ وكيف كان مكر الله تعالى بهم ؟

٢) ماذا كان الكفار يقولون عندما تتلى عليهم آيات القرآن الكريم ؟

٣) ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ..** ﴾ من القائل ؟

٤) ما المقصود بقوله تعالى ﴿ **ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام** ﴾ ؟

٥) بم وصف القرآن الكريم صلاة المشركين حول البيت الحرام ؟

٦) ﴿ **فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ ما المراد بالعذاب المذكور في هذه الآية ؟

٧) ما سبب نزول قوله تعالى ﴿ **إنَّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله** ﴾ ؟

وهل ينحصر معنى الآية في هذا السبب أم هو عام ؟

٨) لم أمر الله بقتـــال الكفار في قوله تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنـــة ...**﴾ ؟

٩) ما الذي تدل عليه الآية الأخيرة في هذه المجموعة من الآيات الكريمة ؟ وما أثرها على روح المؤمنين ؟

٦ - كيف تقسم الغنائم

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۗ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾

المفردات :

غنمتم : من الغنيمة وأصلها إصابة الغنم ، والمراد : ماأخذ من أموال الكفار قهراً أما ما أخذ بلا حرب فهو فيء .

يوم الفرقان : هو يوم بدر ، لأنه فرق بين الحق والباطل ، وظهر في الوجود لمحمد المهاجر من بلده قوة غلبت كفار قريش المغرورين .

العدوة الدنيا : جانب الوادي القريب من المدينة . الدنيا مؤنث الأدنى .

القصوى : مؤنث الأقصى ، أي البعيدة عن المدينة .

ريحكم : المراد القوة والغلبة والدولة .

بطراً : البطر والأشر هما الفخر بالنعمة ومقابلتهـــا بالتكبر والخيلاء ، وجعلها وسيلة إلى ما لا يرضي الله تعالى .

رئاء الناس : أصله رياء الناس .

المعنى :

لما أمر الله تعالى بقتال الكفار ، وكان لا بد بعد القتال من أنْ يغنم المجاهدون الغنائم ، على طريق القهر والظفر ، ذكر سبحانه هنا حكم الغنائم وقسمتها . وقد سبق السؤال عنها في أول السورة وجاء الجواب : ﴿ **قل الأنفال لله والرسول** ﴾ . وهذا بيان لحكمها بالتفصيل ﴿ **واعلموا إنَّما غنمتم من شئ . .** ﴾ واعلموا أيها المؤمنون أنَّ الذي غنمتموه من الكفار في الحرب أيّاً كان قليلاً أو كثيراً ﴿ **فإنَّ لله خمسه وللرسول . .** ﴾ أي فحق ثابت واجب . أن لله خمسه وللرسول ، ولذي القربى ، إلى آخر من ذكرتهم الآية ... فالغنيمة تقسم خمسة أقسام ، خمسها لهؤلاء الخمسة ، وأربعة أخماسها الباقية للجيش . والخمس يوزع إلى خمسة أسهم ، هي :

سهم الله ورسوله ، وهو سهم للرسول ﷺ يصرفه في مصالح المسلمين، وإنما ذكر اسم الله على جهة التبرك والتعظيم ، وسهم لذي القربى وهم قرابته ﷺ والمراد بهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، وسهم لليتامى الذين مات آباؤهم ، وسهم للمساكين ، وسهم لابن السبيل وهو المنقطع في سفر من المسلمين . ﴿ **إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان** ﴾ إنْ كنتم آمنتم بالله وبما أنزل على عبده محمد ﷺ يوم بدر فاعلموا أن الخمس ليس لكم ولكنه لله ولرسوله ، وللأصناف المذكورة ، فاحذروا أن تتعدوا الحدود في وقت من الأوقات .

ثم يذكرنا الله تعالى بالنعم العظيمة التي حبانا بها ، وكان لها الأثر الفعال في الانتصار على قريش ، وهذا يوجب علينا شكر هذه النعم وامتثال أمر الله في قسمة الغنائم ، فيقول تعالى ﴿ **إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم** ﴾ اذكروا يوم بدر إذ أنتم بالعدوة القريبة من المدينة وكانت أرضاً رملية تسوخ فيها الأقدام ، ولا يسهل السير عليها ، والكفار في العدوة البعيدة ، وكانت أرضاً صالحة للوقوف قريباً من الماء وكان الركب الذي يحمل تجارة قريش مع أبي سفيان أسفل منكم مما يلي ساحل البحر الأحمر ﴿ **ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد** ﴾ أي لو تواعدتم أنتم والمشركون على القتال لاختلفتم في الميعاد لقلتكم وكثرتهم ﴿ **ولكن ليقضي الله أمراً كان**

مفعولاً ﴾ ولكن الله جمع بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد ليقضي الله أمراً كان مقدوراً وهو أن ينصركم على أعدائكم ، ويعز الإسلام وأهله ، ويذل الشرك وأهله ولتعلموا أنه ما كان هذا النصر إلا صنعاً من الله عز وجل خارقاً للعادات، فتزدادوا إيماناً وشكراً لله تعالى ﴿ **ليهلك من هلك عن بينة** ﴾ أي فعل الله تعالى ذلك ليكفر من كفر عن وضوح وبيان ، فإن وقعة بدر من الآيات الباهرات على نصر الله لأوليائه ، وخذلانه لأعدائه ﴿ **وإنَّ الله لسميع عليم** ﴾ سميع لكل دعاء، عليم بكل قصد وعمل .

﴿ **إذ يريكهم الله في منامك قليلاً** ﴾ اذكر يا محمد إذ يريك الله تعالى الكفار في منامك قليلاً في عددهم ، وهم كثير ، ولكنهم قليل في قوتهم وأثرهم ، فأخبرت أصحابك بذلك فثبتت قلوبهم ﴿ **ولو أراكهم كثيراً لفشلتم** ﴾ ولو أراكهم ربك كثيراً على حسب الواقع لجبن أصحابك ولم يقدروا على حربهم ﴿ **ولتنازعتم في الأمر** ﴾ ولاختلفتم في أمر قتالهم ﴿ **ولكن الله سلم** ﴾ من الفشل والنزاع حيث أخرجكم للعير ثم وعدكم الله إحدى الطائفتين ، وقد نجت العير فلم يبق إلا القتال وقد منّ عليكم بنعمه حتى انتصرتم ﴿ **إنه عليم بذات الصدور** ﴾ وهو أعلم بخلقه " ألا يعلم من خلق " ... وحين التقى الجمعان تكررت الرؤيا النبوية الصادقة في صورة رؤية عيانية من الجانبين ﴿ **وإذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم** ﴾ واذكروا يا معشر المؤمنين حين التقيتم في المعركة فقلل الله عدوكم في أعينكم لتزداد جرأتكم عليهم ، وقللكم في أعينهم حتى يغتروا ولا يستعدوا ويتأهبوا لكم ﴿ **وليقضي الله أمراً كان مفعولاً** ﴾ لتنفذ مشيئة الله فيلتحم القتال ، وينصر الله جنده المؤمنين ، ويهزم الباطل وحزبه الكافرين . ﴿ **وإلى الله ترجع الأمور** ﴾ أي مصير الأمور كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه . .

﴿ **يأيّها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا** ﴾ يا من آمنتم بالله ورسوله إذا حاربتم جماعة من الكفار ، والتقيتم بهم في ميدان الحرب ، فالواجب عليكم أن تثبتوا في قتالهم ، وتصمدوا للقائهم ، وإياكم والفرار من الزحف فالثبات عند لقاء العدو من عوامل النصر . ﴿ **واذكروا الله كثيراً** ﴾ والواجب عليكم الإكثار من ذكر الله تعالى وطاعته وطاعة رسوله ﷺ في السراء والضراء وحين البأس، فبذكره تطمئن القلوب ، وبدعائه تنفرج الكروب ﴿ **لعلكم تفلحون** ﴾

رجاء أن تفوزوا بالنصر على الأعداء ، وبالأجر والثواب عند الله تعالى . . . ﴿ **وأطيعوا الله ورسوله** ﴾ في كل أمر ونهي ولا تخالفوا أمرهما في أي شئ ﴿ **ولا تنازعوا فتفشلوا** ﴾ ولا تختلفوا فيما بينكم ، فإن الاختلاف مدعاة للفرقة وأساس للهزيمة ﴿ **وتذهب ريحكم** ﴾ أي تذهب قوتكم وبأسكم ، ويدخلكم الوهن والخور ﴿ **واصبروا إن الله مع الصابرين** ﴾ وعليكم بالصبر في كل معركة فهو سلاح المؤمن الذي لا يفل ، وكفى بالصبر شرفاً أنَّ الله مع الصابرين بالمعونة والتاييد .

﴿ **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس** ﴾ وإياكم أن تكونوا مثل أولئك الكفار القرشيين حين خرجوا إلى بدر من ديارهم حالة كونهم بطرين طاغين بالنعمة . طلباً للفخر والثناء . إذ قيل لهم إن العير نجت فارجعوا فقال أبو جهل : لا ، حتى نقدم بدراً ونشرب الخمور ، وتضرب القيان علينا بالدفوف وتسمع بنا العرب ... وكان مآلهم أن شربوا كأس المنايا ، وناحت عليهم النوائح مكان القيان . ﴿ **ويصدون عن سبيل الله** ﴾ أي يمنعون الناس من الدخول في الإسلام ﴿ والله بما يعملون محيط ﴾ وسيجازيهم على أعمالهم .

هذه هي النصائح التي تكفل الخير للمسلم :

١. الثبات عند اللقاء .
٢. ذكر الله والالتجاء إليه .
٣. طاعة الله وطاعة رسوله وكذا قائد الجيش ورئيس الدولة ما دام يأمر بما يرضي الله ورسوله .
٤. عدم النزاع والشقاق
٥. الصبر عند الشدائد .
٦. عدم البطر والرياء والكبر والخيلاء .

أسئلة للمناقشة :

١) ما الغنيمة ؟ وما الفيء .
٢) كيف توزع الغنائم ؟

٣) في هذه الآيات يذكرنا الله تعالى بنعمه التي كان لها الأثر الفعال في الانتصار على قريش مما يوجب شكرها ففي أي آية جاء هذا التذكير ؟

٤) ما العدوة الدنيا ؟ وما العدوة القصوى ؟ وما المقصود بالركب ؟ ولم وصف بأنه أسفل منكم ؟

٥) لم تكن واقعة بدر نتيجة تواعد بين المسلمين والقرشيين ، وقد قال الله تعالى ﴿ **ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد** ﴾ فلماذا جمع الله بين الفريقين ؟

٦) أرى الله تعالى النبي ﷺ في المنام أعداءه من قريش قليلين مع أنهم في الواقع كثيرون فما الحكمة في ذلك ؟

٧) لم نهت الآية المؤمنين عن التنازع ؟ وما معنى ﴿ **وتذهب ريحكم** ﴾ ؟

٨) ﴿ **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ...** ﴾ الآية . من هم الذين نهت الآية المؤمنين أن يكونوا مثلهم ؟

٧ – الخلاص من الشيطان ، وعاقبة الكفر ، ونقض العهد

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ
مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ
عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ
ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ
ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ
﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ
﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا
بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ

وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾

المفردات :

زيَّن : حبب إليهم أعمالهم ووسوس لهم بها .

نكص : رجع هارباً ، والمراد : أحجم . والعقب : مؤخر القدم .

المنافق : الذي يظهر خلاف ما يبطن .

أدبارهم : جمع دبر أي مؤخرهم ، والمراد ظهورهم .

كدأب : الدأب مصدر دأب يدأب إذا كدح وتعب نفسه وداوم علـــى فعله ، ثم سميت به العادة لأن الإنسان يداوم عليها ويواظب .

الدواب : جمع دابة ، وهي ما تدب على وجه الأرض ، والمراد الناس .
تثقفنهم : تثقفت الرجل في الحرب أدركته ، وثقفته ظفرت به .
فشرد بهم : التشريد تفريق مع إزعاج واضطراب .
انبذ : اطرح وارم .
سبقوا : أفلتوا وفاتوا .

المعنى :

واذكر يا محمد ﴿ **إذ زين لهم الشيطان أعمالهم** ﴾ حين زين الشيطان للكفار أعمالهم التي عملوها ضد الدين ووسوس لهم بها ، وحببهم فيها حتى فهموا أنهم لا يغلبون أبداً ، وأوهمهم أن خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم ﴿ **وقال لا غالب لكم اليوم من الناس** ﴾ أي لن يغلبكم محمد ﷺ وأصحابه ﴿ **وإني جار لكم** ﴾ مجير ومعين لكم ﴿ **فلما تراءت الفئتان** ﴾ أي التقى الفريقان في الميدان . ﴿ **نكص على عقبيه** ﴾ رجع هارباً موليا الأدبار ﴿ **وقال إني بريء منكم** ﴾ أي برئ من عهدكم وجواركم ﴿ **إني أرى ما لا ترون** ﴾ من جند الله النازلين لنصرة المؤمنين والمراد : أنه بطل عمله ، وذهب كيده أدراج الرياح ﴿ **إني أخاف الله** ﴾ أن يعذبني ﴿ **والله شديد العقاب** ﴾ .

وفي المأثور : إن إبليس تمثل في صورة سراقة بن مالك الشاعر الكناني وتحدث معهم بالفعل ، وأنَّ يده كانت في يد الحارث بن هشام ، فلما نكص وتركهم ، وقد حمي الوطيس قال له الحارث : " إلى أين ؟ أتخذلنا في هذه الحال ؟ " فقال : " إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله " . وكذب عدو الله فإنه علم أنه لا قوة له ولا منعة وذلك حين رأى الملائكة . ﴿ **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض** ﴾ واذكر وقت أن يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض الشك والحسد وداء الحقد : غرّ هؤلاء المسلمين دينهم حتى يخرج ثلاثمائة لقتال ألف من زعماء قريش . فكان الجواب من الله تعالى ﴿ **ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم** ﴾ ومن يعتمد على الله ويثق به فإن الله ناصره ومؤيده لأن الله عزيز يعز أولياءه ويذل أعداءه حكيم في أفعاله وصنعه .

﴿ **ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة** ﴾ ولو رأيت يا من تتأتى منك الرؤية حين تقبض الملائكة أرواح الكفار ، وجواب (لو) محذوف تقديره : لرأيت أمراً فظيعاً لا يكاد يوصف فهم ﴿ **يضربون وجوههم وأدبارهم** ﴾ فالملائكة تضربهم على وجوههم وظهورهم أي من أمامهم ومن خلفهم بمقامع من حديد ﴿ **وذوقوا عذاب الحريق** ﴾ ويقولون لهم : ذوقوا يا معشر الفجرة ذوقوا عذاب النار المحرق ، وهذا بشارة لهم بعذاب الآخرة .

﴿ **ذلك بما قدمت أيديكم** ﴾ ذلك العذاب بسبب أعمالكم من الكفر والمعاصي ﴿ **وأن الله ليس بظلام للعبيد** ﴾ أي أن الله تعالى عادل ليس بظالم أحداً من العباد حتى يعذبه بغير ذنب . بل يعطي كل ذي حق حقه .

﴿ **كدأب آل فرعون والذين من قبلهم** ﴾ والمعنى : عمل هؤلاء الكفار الذي مرنوا عليه وتعودوه كعمل آل فرعون ومن تقدمهم من الأمم من قوم عاد وثمود في التكذيب والكفر والإجرام ﴿ **كفروا بآيات الله** ﴾ وكذبوا رسله وجحدوا ما جاءهم به من عند الله ﴿ **فأخذهم الله بذنوبهم** ﴾ أي أهلكهم ﴿ **إنَّ الله قوي شديد العقاب** ﴾ قوي البطش شديد العذاب ، لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب . . وسينالون عقابهم كأولئك أما في هذه الدنيا وأما في الآخرة . ﴿ **ذلك بأنَّ الله لم يكن مغيراً نعمة أنعمها على قوم** ﴾ أي ذلك العذاب الذي يأتي مسبَّباً عن العمل بسبب أنَّ الله تعالى عادل في حكمه لا يغير نعمة أنعمها على قوم إلا بسبب ذنب ارتكبوه ، وأنه لا يبدل النعمة بالنقمة ﴿ **حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ أي يبدلوا نعمة الله بالكفر والعصيان ، وهؤلاء الكفار كانوا في نعمة الأمن ، أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف وبعث إليهم النبي ﷺ من بينهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل البعثة كفرة عبدة أصنام . فلما بعث إليهم النبي ﷺ غيروا حالهم السيئة إلى أسوأ منها ، حيث كذبوا النبي وعادوه ، وحاولوا قتله وعذبوا أصحابه ، وتحزبوا عليه . فغير الله تعالى ما أنعم به عليهم من نعمة الإمهال وعاجلهم بالعذاب والنكال .

﴿ **وإنَّ الله سميع عليم** ﴾ وذلك بسبب أن الله يسمع كل صوت ويعلم كل قصد وعمل . . ﴿ **كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم** ﴾ كرره لزيادة التشنيع والتوبيخ على إجرامهم ، والمعنى حال هؤلاء الكفار كحال المكذبين السابقين : فرعون وقومه المكذبين قبلهم جميعهم كذبوا بآيات ربهم

﴿ **فأهلكناهم بذنوبهم** ﴾ أي بسبب ذنوبهم ، بعضهم بالخسف ، وبعضهم بالحجارة ، وبعضهم بالغرق . ولذا قال سبحانه ﴿ **وأغرقنا آل فرعون** ﴾ أي أغرقنا فرعون وقومه ﴿ **وكل كانوا ظالمين** ﴾ لأنفسهم بالكفر والمعاصي .

﴿ **إنَّ شر الدواب عند الله** ﴾ أي شر من يدبّ على الأرض في علم الله وحكمه ﴿ **الذين كفروا فهم لا يؤمنون** ﴾ الذين أصروا على الكفر وصدوا عن سبيل الله . روي أنها نزلت في بني قريظة من اليهود ، كان رسول الله ﷺ عاهدهم ألا يحاربوه وألا يعاونوا أحداً عليه ، فنقضوا عهدهم وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله ، ثم قالوا : نسينا . فعاهدهم ثانية فنقضوا وحالفوا الكفار يوم الخندق ، وركب كعب بن الأشرف زعيمهم إلى مكة ، فحالفهم على محاربة رسول الله . . ﴿ **الذين عاهدت منهم** ﴾ أي عاهدتهم على ألا يعينوا المشركين ﴿ **ثم ينقضون عهدهم في كل مرة** ﴾ أي يستمرون على النقض مرة بعد مرة ﴿ **وهم لا يتقون** ﴾ أي لا يتقون الله في نقض العهد . ﴿ **فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم** ﴾ فإن تظفر بهم في الحرب فاقتلهم ونكل بهم تنكيلاً شديداً يكون عبرة لغيرهم من الكفار ﴿ **لعلهم يذكرون** ﴾ افعل بهم ذلك لعل الذين خلفهم يتعظون بهم . والمعنى : اجعلهم عبرة لغيرهم حتى لا تبقى لهم قوة على محاربتك . .

أما من بدرت منه بوادر تؤذن بأنه سينقض عهده ، فإليك حكمة : ﴿ **وأما تخافن من قوم خيانة** ﴾ أي إن أحسست من قوم معاهدين خيانة للعهد ولاحت دلائل الغدر والمراد بالخوف العلم ، ﴿ **فانبذ إليهم على سواء** ﴾ فاطرح لهم عهدهم على بينة ووضوح من الأمر بأن تقول لهم : قد نبذت إليكم عهدكم وأنا مقاتلكم ، ليعلموا ذلك ويكونوا معك في العلم سواء ، ولا تقاتلنهم وبينك وبينهم عهد وهم يثقون بك ، فيكون ذلك خيانة وغدراً . . ﴿ **إنَّ الله لا يحب الخائنين** ﴾ وهذا كالتعليل للأمر بنبذ العهد .

﴿ **ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا** ﴾ ولا يظنن الكفار الذين أفلتوا من القتل والأسر يوم بدر انهم بهذا السبق يعجزون الله من الانتقام منهم ، بل هم في قبضته ولن يفلتوا أبداً ﴿ **إنهم لا يعجزون** ﴾ كلام مستأنف أنهم لا يعجزون الله ، بل هو قادر على الانتقام منهم في كل لحظة . . .

أسئلة للمناقشة :

١) فيم تمثل تزيين الشيطان للكفار أعمالهم ؟ وما المراد بالناس في الآية ؟
٢) ماذا فعل الشيطان حين التقى جيش المؤمنين بجيش الكفار ؟ وماذا قال ؟
٣) من الذين قالوا عن المؤمنين : " غرّ هؤلاء دينهم " ؟ بمَ أجاب الله تعالى على قولهم ؟
٤) ما الذي تفعله الملائكة بالكفار حين تقبض أرواحهم ؟
٥) بم شبه الله عمل هؤلاء الكفار ؟ وما المصير الذي ينتظرهم ؟
٦) ﴿ **ذلك بأنَّ الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ ما معنى هذه الآية ؟ وما النعمة التي أنعمها على قريش فغيروا حالهم فسلبهم الله تلك النعمة ؟
٧) من هم شر الدواب . . فيمن نزلت هذه الآية ﴿ **إنَّ شر الدواب عند الله الذين كفروا** ﴾ ما صفاتهم التي استوجبت هذا الوصف لهم ؟
٨) بم أمر الرسول ﷺ إذا ظفر بهم في الحرب ؟ ما الذي يتوقع أنْ يحدثه تنفيذ هذا الأمر ؟
٩) ماذا يجب على المؤمنين إذا بدر من أعدائهم المخالفين لهم خيانة ونقض للعهود ؟
١٠) ما الذي تدل عليه الآية الأخيرة من هذه الآيات ؟

٨ – الإعداد الحربي مع الميل إلى السلام وتقوية روح الجيش المعنوية

وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ
تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا
تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ
يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ
فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١ وَإِن
يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ
بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا
فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ
بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ
ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن

يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾

المفردات :

رباط الخيل : الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله .

ترهبون : تخيفون .

جنحوا : مالوا. السلم بفتح السين وكسرها : الاستسلام والصلح والمهادنة.

حسبك : كافيك .

المعنى :

﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ...** ﴾ الجيش هو عدة الوطن وسلاحه، ودرعه وسياجه ووجه الأمة التي تقاتل به العدو ، ويدها التي تبطش بها ، وقلبها النابض ، وعينها الساهرة ، ولذا كانت عناية القرآن به في كثير من الآيات ، ورعاية النبي ﷺ له وإعطاؤه القسط الوافر المناسب لزمنه أمر ظاهر واضح . .

والإعداد والتكوين أمر شاق على النفوس ، عسير على الناس المؤمنين بالله المتوكلين عليه أصحاب النفوس العزيزة والهمم العالية .

والآية الكريمة على اختصارها جمعت أنواع الإعداد للجيوش التي تتلاءم مع كل عصر وزمن ﴿ **ما استطعتم من قوة** ﴾ .

فالإعداد الأدبي ، والمادي ، والإداري ، والفني ، والمالي ، مع الحث على ذلك كله بالثواب الجزيل والعطاء الكثير ، كل ذلك في الآية الشريفة . ولقد فرض القرآن علينا الإعداد بأنواعه ﴿ **وأعدوا** ﴾ وأنْ نبذل فيه أكثر جهودنا وأنْ نقدم النفس والنفيس ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً . وخص (رباط الخيل) لأنه الأداة التي كانت بارزة عند من يخاطبهم أول مرة ، ومع ذلك فما يزال رباط الخيل ضرورياً في كثير من المواقع التي يعسر الوصول إليها بوسائل الحرب الحديثة . . ﴿ **ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** ﴾ .

ولقد ذكرت الآية سبب الإعداد وهو إرهاب عدو المسلمين الظاهر وعدوهم الخفي ، وكم للإسلام من أعداء لا يعرفهم المسلمون ولا يظهرون إلا في ساعات ضعفه ، هؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد إليهم . . ﴿ **وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾ ولم يكن هناك إعداد ونصر إلا بالمال ، ولا سبيل إليه إلا بالإنفاق المطلق ، كل على قدر طاقته وإيمانه ﴿ **في سبيل الله** ﴾ لا في سبيل المجد والجاه ، ولا في سبيل الظهور والاستعلاء ، ولا في سبيل الحمية والمعصية ﴿ **يوف إليكم** ﴾ تعطون جزاءه وافياً كاملاً يوم القيامة ﴿ **وأنتم لا تظلمون** ﴾ وأنتم لا تنقصون من ذلك الأجر شيئاً . .

بعدما أمر الله بالإعداد الكامل للحرب لإرهاب الأعداء ، أمرنا بالسلم بشرط العزة والكرامة متى وجد السبيل إليه ، لأنّ الحرب ضرورة اقتضتها ظروف الحياة لرد العدوان وحرية الأديان ، وتطهير الأرض من الظلم فقال تعالى : ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها** ﴾ إن مال الأعداء للصلح والمهادنة ، فمل إليه وأجبهم إلى ما طلبوا إذا كان فيه مصلحة وخير بين للإسلام وأهله ، ولذلك قبل الرسول ﷺ الصلح مع المشركين عام الحديبية على وضع الحرب عشر سنين ﴿ **وتوكل على الله** ﴾ أي اعتمد عليه وفوض الأمر إليه ليكون عوناً لك على السلامة ﴿ **إنه هو السميع العليم** ﴾ السميع لأقوالهم العليم بنياتهم .

﴿ **وإنْ يريدوا أنْ يخدعوك** ﴾ أي بطلبهم الصلـــح حتى يستعدوا للحرب ﴿ فإنَّ حسبك الله ﴾ فالله يكفيك شرهم ، ثم ذكّره بنعمته عليه فقال : ﴿ **هو الذي أيدك بنصره** ﴾ أول مرة " وما النصر إلا من عند الله " ﴿ **وبالمؤمنين** ﴾ وأيدك بالمؤمنين الذين صدقوا الإيمان من الأنصار والمهاجرين ، الذين دافعوا عنك دفاع الأبطال ﴿ **وألف بين قلوبهم** ﴾ أي جمع بين قلوبهم على ما كان بينهم من العداوة والبغضاء ، فأبدلهم بالعداوة حباً ، وبالتباعد قرباً . ﴿ **لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم** ﴾ أي لو أنفقت في إصلاح ذات بينهم ما في الأرض من الأموال ما قدرت على تأليف قلوبهم ، واجتماعها على محبة بعضها بعضاً ﴿ **ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم** ﴾ ولكنه سبحانه بقدرته البالغة جمع بينهم ووفق فإنه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء إنه عزيز غالب على أمره ولا يفعل شيئاً إلا عن حكمة . .

﴿ **يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين** ﴾ يا أيها النبي كافيك الله في جميع أمورك أنت والمؤمنين بك ، فالله كافيك ، وكافي أتباعك ، فلا تحتاجون معه إلى أحد ، فكونوا أقوياء العزم ، ثابتي الجنان فإنَّ الله معكم بالنصر والمعونة ، وهذا لا يمنع من اخذ بالأسباب ، ولذا قال تعالى ﴿ **يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال** ﴾ أي حض المؤمنين ورغبهم بكل جهدك ، وذلك ببيان فضيلة الجهاد ، وأنهم ينتظرون في الجهاد إحدى الحسنيين : إما الشهادة وإما الغنيمة والنصر . . ﴿ **وإنْ يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين** ﴾ والمعنى : إن يوجد منكم يا معشر المؤمنين عشرون صابرون على شدائد الحرب يغلبوا مائتين من عدوهم بعون الله وتأييده ﴿ **وإنْ يكن منكم مائة يغلبوا ألفـــاً من الذين كفروا** ﴾ بشرط الصبر عند اللقـــاء ﴿ **بأنهم قوم لا يفقهون** ﴾ الباء سببية ، أي بسبب أنَّ الكفار قوم جهلة لا يفقهون حكمة الله ، ولا يعرفون طريق النصر وسببه . قـــال ابن عباس : كان ثبـــات الواحد للعشرة فرضاً ، ثم لمّـــا شق ذلك عليهم نسخ وأصبح ثبـــات الواحد للاثنين فرضاً .

﴿ **والآن خفف الله عنكم** ﴾ أي رفع عنكم ما فيه مشقة عليكم ﴿ **وعلم أنَّ فيكم ضعفاً** ﴾ أي على ضعفكم فرحمكم في أمر القتال ﴿ **فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين** ﴾ إن يوجد منكم مائة صابرون على الشدائد يتغلبوا على

مائتين من الكفار ﴿ **وإنْ يكن منكم ألف يغلبوا ألفين** ﴾ وإنْ يوجد منكم ألف صابرون في ساحة القتال يغلبوا ألفين من الكفار ﴿ **بإذن الله** ﴾ بتيسيره وتسهيله ﴿ **والله مع الصابرين** ﴾ وهذا ترغيب في الثبات وتبشير بالنصر ، ومن كان الله معه فهو الغالب . . .

أسئلة المناقشة :

١) ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ هذه الآية الكريمة جمعت أنواع الإعداد للجيوش التي تلائم كل عصر .
   أ . وضح أنواع هذا الإعداد .
   ب. علام يدل الأمر في ﴿ **أعدوا** ﴾ ؟
   ج. لم خصّ رباط الخيل بالذكر ؟
   د. ما السبب الذي ذكرته الآية الكريمة للإعداد ؟ اذكر الجهات التي يرهبها هذا الإعداد .

٢) الإعداد يحتاج للمال . فكيف خاطبت الآية المؤمنين لبذل المال ؟

٣) إذا طلب الأعداء المحاربون الصلح وإيقاف الحرب وجب الاستجابة لطلبهم. اذكر الآية التي دلت على ذلك ؟

٤) وهل نجيبهم إلى طلبهم السلام ولو كانوا يريدون خداعنا ليستعدوا للحرب ؟ اذكر الآية الدالة على ذلك ؟

٥) ما النعم التي عددها الله في هذه الآية وهي تدل على رعايتة تعالى لرسوله وللمؤمنين ؟

٦) ما معنى ﴿ **حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين** ﴾ ؟

٧) أمر الله نبيه ﷺ بتحريض المؤمنين على القتال . فبم يكون التحريض ؟

٨) ما العدد الذي حددته الآية وأوجبت على المسلمين أنْ يثبتوا أمامه ؟

٩) خفف الله عن المؤمنين في وجوب الثبات أمام أعدائهم بالضعف مع شرط ذكرته الآية . المطلوب اذكر الآية الدالة على هذا التخفيف .. وشرطه .

٩ – القرآن ينزل موافقاً لرأي عمر ورباط الإسلام أقوى الروابط :

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا

تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥

المفردات :

الأسرى : جمع أسير وهو عدد من الكفار وقع في أيدي المسلمين .

يثخن : يقال : أثخنه المرض والجرح إذا أثقله وجعله لا يتحرك. والمراد يكثر القتل ويبالغ فيه .

هاجروا : تركوا دار الكفر وذهبوا إلى دار الإسلام .

آووا : أنزلوا وسكنوا ، يقال : آواه ، أنزله داراً وأسكنه إياها.

ولايتهم : الولاية مصدر وليه يليه : ملك أمره وقام به .

تكن فتنة في الأرض : تحصل فتنة عظيمة ، والمراد ضعف الإيمان وظهور الكفر .

سبب النزول :

روي أنَّ النبي ﷺ استشار أصحابه فيما يعمله في أسرى بدر ، فأشار أبو بكر باستبقائهم رجاء توبتهم ، وأخذ فدية منهم تكون قوة للمسلمين ، وأشار عمر وآخرون بقتلهم إعزازاً للإسلام ، فمال ﷺ إلى الرأي الأول ، وكان فداء كل أسير أربعين أوقية من الذهب ، إلا العباس ففداؤه ثمانون . فنزلت الآية عتاباً على الإقدام على قبول الفداء قبل الإثخان اللازم له ، قوة للإسلام وعزته .

المعنى :

﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض** ﴾ هذا عتاب للنبي ﷺ وأصحابه على أخذ الفداء . والمعنى ما ينبغي لنبي من الأنبياء أن يأخذ الفداء من الأسرى إلا بعد أنْ يكثر القتل في الأعداء ويبالغ فيه ، وفي هذا إعزاز للمسلمين ، وإضعاف للكفار وكسر لشوكتهم ﴿ **تريدون عرض الدنيا** ﴾ أي أتريدون بقبول الفداء والإبقاء عليهم عرضاً من أعراض الدنيا وحطامها الفاني ﴿ **والله يريد الآخرة** ﴾ والله يريد لكم ثواب الآخرة بإعزاز دينه والقضاء على أعدائه ﴿ **والله عزيز** ﴾ يعز أولياءه " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين " ﴿ **حكيم** ﴾ في أفعاله فامتثلوا أمره فهو يهديكم إلى سبيل الرشاد . .

﴿ **لولا كتاب من الله سبق** ﴾ لولا حكم من الله سبق في كتابه ألا يعذب قوماً قبل تقديم البيان إليهم ، أو ألا يعذب المخطئ في الاجتهاد ، لأصابكم بسبب ما أخذتم من الفداء قبل أن تؤمروا به ﴿ **عذاب عظيم** ﴾ وفي هذا تهويل لخطر ما فعلوا . .

﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً** ﴾ ، لما نزلت الآية السابقة كف أصحابه عمّا أخذوا من الفداء ، فنزلت هذه الآية بياناً لحل أخذه إذ هو من الغنيمة ، وقد أحل الله لكم الغنيمة وكانت محرمة في الديانات السابقة للإسلام ، لكن مع استشعار التقوى ومع رقابة الله ﴿ **واتقوا الله إنَّ الله غفور رحيم** ﴾ يغفر للمتقين ويرحم المخطئين ما اتصلت قلوبهم بالله بهذا الوجدان الحساس ، واستقامت على الطريق .

روي أنَّه كان بين الأسرى العباس بن عبد المطلب وقد كلفه رسول الله ﷺ أنْ يفدي ابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال : يا محمد تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت . فقال له النبي ﷺ : " فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة ؟ وكان هذا إخباراً بالغيب حيث لم يكن يعلم بهذا إلا الله . فقال العباس : والله لقد كان عندي ريب قبل هذا ، ولكن الآن لا ريب . وفي رواية قال العباس : فأبدلني الله خيراً ممّا أخذ مني . . .

والمعنى : ﴿ **يأيّها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً** ﴾ أي إيماناً وإخلاصاً وحسن نية ﴿ **يؤتكم خيراً مما أخذ منكم** ﴾ في الفداء ﴿ **ويغفر لكم** ﴾ ما سلف من الذنوب ﴿ **والله غفور** ﴾ ستار للذنوب ﴿ **رحيم** ﴾ لمن تاب وأناب . وقيل المراد من الآية أن يعرض النبي على الأسرى الإسلام ويمنهم بالخير والمغفرة . .

﴿ **وإنْ يريدوا خيانتك** ﴾ أي نقض ما بايعوك عليه من الإسلام بالردة أو منع ما ضمنوه من الفداء ﴿ **فقد خانوا الله من قبل** ﴾ وذلك بكفرهم ونقضهم ميثاق الفطرة المأخوذ على الناس جميعاً بقوله تعالى ﴿ **ألست بربكم ؟ قالوا بلى** ﴾ . وإذا كان ذلك فلا يهمنك أمرهم ﴿ **فأمكن منهم** ﴾ فالله أمكنك منهم وأظفرك بهم وسلطك عليهم فهزمتهم . وسيمكنك منهم إن عادوا للخيانة ﴿ **والله عليم** ﴾ بكل النيات ﴿ **حكيم** ﴾ في جميع أفعاله .

ثم يتكلم القرآن على رابطة الإسلام فيقول الله تعالى ﴿ **إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله** ﴾ أي الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ إيماناً صادقاً كاملاً ، وهاجروا في سبيله ، وهجروا أوطانهم الحبيبة إلى نفوسهم ، وتركوا مالهم كل ذلك لله ، وجاهدوا في سبيله وبذلوا النفس والنفيس ، أولئك هم المهاجرون الذين هجروا مكة وتركوا عزهم وشرفهم ونسبهم قبل عام الحديبية إلى (يثرب) المدينة التي يقطنها الرسول ﷺ ، إنَّ هؤلاء الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله ، ﴿ **والذين آووا ونصروا** ﴾ وهم الأنصار الذين آووا المهاجرين وأنزلوهم في ديارهم ، وشاركوهم في أموالهم ، ونصروا رسول الله ﷺ ومنعوه مما يمنعون به أزواجهم وأولادهم ﴿ **أولئك** ﴾ المهاجرون والأنصار ﴿ **بعضهم أولياء بعض** ﴾ يتولون بعضهم بالرعاية

والعناية ، والسهر على المصالح ، ، فرابطة الإسلام بينهم أقوى رابطة ، ولذا يقول الله فيهم ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ . وقيل المراد بالولاية هنا ولاية النصرة والميراث وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ آخى بين هؤلاء المهاجرين والأنصار ، فكان المهاجريّ يرثه أخوه الأنصاري إذا لم يكن له بالمدينة وليّ مهاجري ، وبالعكس واستمر ذلك إلى فتح مكة ثم نسخت الآية بآية المواريث . فتوارثوا بالنسب . ﴿ **والذين آمنوا** ﴾ بالله ورسوله ﴿ **ولم يهاجروا** ﴾ بأن اعترضتهم عقبات ولم يستطيعوا التغلب عليها ﴿ **ما لكم من ولايتكم من شئ** ﴾ أي ليس بينهم وبين المؤمنين المهاجرين والأنصار ولاية الإرث إذا كان بينهم قرابة لانقطاع حكمها بسبب عدم الهجرة ﴿ **حتى يهاجروا** ﴾ . ﴿ **وإنْ استنصروكم في الدين** ﴾ وطلبوا إليكم أن تمدوا لهم يد المساعدة على أعدائهم بقدر الطاقة ﴿ **فعليكم النصر** ﴾ فيلزمكم أنْ تنصروهم ﴿ **إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق** ﴾ أي معاهدة فيجب عليكم الوفاء لهم بما عاهدتموهم ﴿ **والله بما تعملون بصير** ﴾ لا تخفى عليه أعمالكم وسيجازيكم عليها ، فاحذروه .

﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض** ﴾ أي في التناصر والاتحاد ضد المسلمين ، فلا يجوز لكم أن توالوهم ، وتتخذوهم أصدقاء مهما كانوا من القرابة والصلة ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ إنْ لم تلتزموا بأوامر الله وتنفذوها وتتناصروا فيما بينكم ضد الكفار تحصل فتنة في الأرض وفساد كبير ، وذلك بضعف الإسلام وكسر شوكته ، وظهور الكفر ورفع رايته .

﴿ **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً** ﴾ فهؤلاء المؤمنون من المهاجرين المجاهدين والأنصار هم المؤمنون الإيمان الحق ، وهذا ثناء عظيم من الله تعالى عليهم ، فالهجرة والنصرة دليل على صدق الإيمان وكمال الإسلام ولذلك وعدهم الله بالمغفرة التامة وبالرزق الكريم فقال : ﴿ **لهم مغفرة ورزق كريم** ﴾ لهم مغفرة من الله ورضوان ولهم رزق في الدنيا والآخرة كريم أي حسن وواسع .

﴿ **والذين آمنوا من بعد** ﴾ أي من بعد صلح الحديبية وقبل الفتح ﴿ **وهاجروا وجاهدوا معكم** ﴾ في سبيل الله ﴿ **فأولئك منكم** ﴾ أي مثلكم في النصرة والموالاة ، وإنْ كانوا أنزل درجة من السابقين الأولين في الهجرة

﴿ **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله** ﴾ وذوو القرابات في الإسلام بعضهم أولى ببعض ، فقد جمعوا بين الأخوة في الله والأخوة في النسب، هذا الحكم في كتاب الله . وقيل المراد : أولو الأرحام أولى ببعض في الميراث فنسخ بهذه الآية ما كان بين المهاجرين والأنصار من التوارث بالهجرة والمؤاخاة ، ﴿ **إنَّ الله بكل شئ عليم** ﴾ أنه تعالى واسع العلم عظيم الإحاطة بكل شئون المؤمنين والكفار . وهكذا قسّم الله تعالى الناس إلى أربعة أقسام : قسم آمنوا وهاجروا ، وقسم آمنوا ونصروا ، وقسم آمنوا ولم يهاجروا ، وقسم كفروا ولم ينصروا ...

أسئلة المناقشة :

١) ما سبب نزول قوله تعالى ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرى ...** ﴾ الآية ؟
   - في هذه الآية عتاب للنبي ﷺ وأصحابه . وضح ذلك .
٢) ﴿ **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** ﴾ ما هو الكتاب الذي سبق ؟ ما الذي يدل عليه أسلوب الآية الكريمة ؟
٣) ما الذي أحلته الآية ﴿ **فكلوا مما غنمتم** ﴾ وكان محرماً ؟ وعلى من كان محرماً ؟
٤) ﴿ **يأيّها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى . . .** ﴾ فما المقصود منها ؟
٥) ﴿ **وإن يريدوا خيانتك** ﴾ ما المعنى المراد من خيانتك ؟ بماذا أمرت الآية الكريمة النبي ﷺ إذا أراد هؤلاء المشركون خيانته ؟
٦) تحدثت الآية عن المؤمنين المهاجرين والأنصار الذين آووهم فجعلتهم أولياء بعض . بين معنى الولاية ، والمراد منها في هذه الآية كما فهمت من التفسير .
   - وبم أمرتهم أن يتعاملوا مع الذين لم يهاجروا من المؤمنين ؟

- وما الحكم إذا طلب هؤلاء الذين لم يهاجروا المناصرة من المهاجرين على أعدائهم ؟
- استثنت الآية فئة من أن يعاونوا عليهم . فمن هم ولماذا ؟
- بم وصفت الآية علاقة الكفار مع بعضهم ؟

٧) ما معنى ﴿ **إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** ﴾ ؟

٨) بم وصف الله المؤمنين من المهاجرين والأنصار ؟ وبماذا وعدهم ؟

٩) ﴿ **والذين آمنوا من بعد** ﴾ ما المقصود بهم ؟ ومـــا معنى ﴿ **فأولئـــك منكم** ﴾ ؟

١٠) للعلماء رأيان في فهم قوله تعالى ﴿ **وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله** ﴾ فما هما ؟

الفصل الثاني

الآيات المختارة

مقدمة :

هذا القسم من الكتاب اشتمل على ثلاث عشرة مجموعة من الآيات أخذت من تسع سور من القرآن الكريم إذ ليس من الميسور دراسة هذه السور كلها في الفترة المحددة للمقرر فكان لا بد من الاختيار . وكل مجموعة تعالج موضوعاً أو أكثر من المواضيع ذات الأهمية للطالب بل للمسلم .

وكان الدافع لاختيارها الحرص على أن يقف الطالب على فهم هذه الموضوعات والقضايا من المصدر الأساسي ، القرآن الكريم ليكون ذلك توثيقاً وتعزيزاً لما جاء في المقرر من مواضيع وقضايا مختلفة ، حتى ينطلق في فهمه على بصيرة من أمر دينه ، وحتى يكون علمه بدينه موثقاً في كل المجالات .

وقد تحدثت الآيات عن توحيد الله تعالى في أسمائه وصفاته . وعن الدعوة إلى الإيمان به (جل وعلا) وبيان سعة علمه المحيط بكل شئ وقدرته على كل شئ ، وسوق الآيات الكونية الدالة على ذلك وبيان استئثار الخالق سبحانه بعلم الغيب ، والدعوة للتقوى (سور لقمان والحديد والأحقاف) . وتحدثت عن خلق الإنسان ، واستخلافه في الأرض وتكريمه وتفضيله على الملائكة وما أنعم الله به عليه من النعم ، وفي مقدمتها نعمة العلم أساس تفضيله على الملائكة ونعمة الإيمان (سورة البقرة والحديد) .

وتحدثت عن فضل الله تعالى على الناس ووصية الله تعالى للإنسان أن يفرد الله الخالق بالعبادة ولا يشرك به شيئاً وأن يلجأ إليه بالدعاء ، ويعلق به الرجاء ، مخلصاً له الدين ، لأنه صاحب الفضل الذي لا حدود له على النـــاس (سورة غافر) . وأن يحسن لوالديه ، لأنهما سبب وجوده ، وتذكيره بما قاما به من جهود عظيمة من أجل أن يعداه للحياة ، وما لقيا في ذلك من عناء ، وخاصة الأم التي تحملت كثيراً من الشدائد ﴿ **حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً** ﴾ مما يستوجب العناية بها أكثر ، وأنْ يحسن لأقاربه وجيرانه وأنْ يحسن للضعفاء من اليتامى والمساكين ، وأنْ يبذل المال إنْ كان راغباً في حب الله تعالى ﴿ **إنَّ الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً** ﴾ (سورة الأحقاف والنساء) .

وتحدثت الآيات عن الإنفاق في سبيل الله ، وفي سبيل تحقيق التكافل ورغبت فيه ترغيباً يدفع المؤمن للبذل في كل الأحوال ، ثقة في وعد الله بمضاعفة الثواب أضعافاً كثيرة ﴿ **كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** ﴾ . ورغبت في العناية بتفقد أصحاب الحاجة الذين لا يسألون حفظاً لكرامتهم ، ومراعاة لعفتهم استعصاماً بإيمانهم واستعلاءً به ﴿ **يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً** ﴾ (سورة البقرة) .

وتتحدث الآيات عن الربا، وتنهى عنه تنفيراً شديداً ، وتصور المتعاملين به كأنَّ بهم مساً من الجن ، وتتوعد المصرين على التعامل به بحرب من الله ورسوله لا تبقي ولا تذر ﴿ **فإنْ لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله** ﴾ (سورة البقرة) .

وتتحدث الآيات عن زينة الحياة الدنيا وشهواتها ، وأنَّ المتقين لا تستهويهم تلك الشهوات ولا تسيطر على نفوسهم ، فهم لا يأخذون منها إلا بمقدار ما يعينهم على القيام برسالتهم ، لأنهم يتطلعون إلى ما عند الله تعالى ، وتكشف عن صفاتهم من القنوت له ، والصبر على التكاليف في طريق الحق والإستغفار في أوقات السحر حيث الناس نيام ومع ذلك فهم المنفقون مما رزقهم الله لإيمانهم بأنَّ ما تحت أيديهم من مال ، إنما هو مال الله الذي آتاهم ، فهم به أسْخياء غير بخلاء (سورة آل عمران) وتقارن بين المنفقين في أوقات الشدة والضائقة ، وبين المنفقين وقت اليسر والسعة ففضل الأولين ، ووعدهم بالأجر العظيم (سورة الحديد) .

وتتناول الآيات أحكام الدَيْن في أطول آية من كتاب الله تعالى ، فتفصل أحكامه من كتابته ومن يقوم بالكتابة ، ومن يملي على الكاتب ، وبيان مقداره وأجله والإشهاد عليه ، وغير ذلك من وسائل التوثيق للأموال وحفظها حتى يطمئن الناس على أموالهم فلا يأكلونها فيما بينهم بالباطل فتفسد علاقاتهم – وتطالب الموسرين بمراعاة أحوال المعسرين ، وهم يطالبونهم بسداد ما عليهم من ديون وترغبهم في التنازل عن تلك الديون ما داموا لا يستطيعون الوفاء بها رغبة فيما عند الله من الثواب . (سورة البقرة)

وتجئ آيات أخرى تربط المؤمنين بدينهم وتؤكد لهم أنَّ الدين المقبول عند الله تعالى هو الإسلام إذ لا يقبل الله ديناً غيره ، وهذا يستلزم من المؤمنين

الاستمساك بتعاليم الإسلام (فهماً لها وعملاً بها ونشراً لها) فذلك هو الطريق الوحيد لمرضاة الله تعالى (سورة آل عمران) .

وتقارن الآيات بين المؤمن والكافر وأثناء ذلك تظهر الكافر ، بالاعتزاز والفخر على صاحبه بكثرة المال والأهل والعشيرة ، ناسياً فضل الله عليه ونعمه وشكره على هذه النعم بينما المؤمن راض بما قسم الله له ، واثق من رحمة الله مؤمن بيوم الجزاء ، وأنَّ الله تعالى سيعطيه الثواب العظيم في الدنيا والآخرة ، فلا تخلع قلبه ولا تزيغ بصره النعم التي أنعمها على صاحبه الكافر (سورة الكهف) .

وتتحدث الآيات عن الجهاد في سبيل الله ، والترغيب في الشهادة ، وتكشف عن أنَّ الشهداء أحياء يتمتعون بما يتمتع به الأحياء من أنهم يرزقون ، وأنهم يفرحون ويستبشرون بمن خلفوهم وراءهم حاملين راية الحق يدافعون عنها في ساحات الجهاد ، ليحققوا النصر ، أو ينالوا الشهادة ، فيلحقون بهم في نعيم الجنان (سورة آل عمران) .

وتبين الآيات أنَّ الله تعالى يتقبل الصدقات من المتصدقين ، ويقبل توبة التائبين لأنه هو التواب الرحيم ، وتأمر المؤمنين بالعمل والإخلاص فيه ليكون محلاً للقبول ، وتتحدث عن فئات من المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك بأعذار واهية وغير حقيقية ، وعن فئة منهم بنوا مسجد الضرار لتفريق المؤمنين وليكون مكاناً تدار منه المؤامرات ضد المسلمين مدعين أنهم بنوه من أجل أصحاب الأعْذار لمن لا يستطيعون الذهاب للصلاة في مسجد قباء ؛ ولكن الله تعالى فضحهم وأخبر رسوله بهدفهم فأمر الرسول ﷺ بتحريقه ، وعن المؤمنين الذين تخلفوا عن الغزوة المذكورة ، وشعروا بالذنب وربطوا أنفسهم في سواري المسجد النبوي ندماً على ما حصل منهم من تخلف عن رسول الله ﷺ، وأقسموا لا يفكون أنفسهم حتى يفكهم رسول الله ﷺ ، وعن فريق آخر لم يكن لهم عذر في التخلف ولم يعتذروا كما اعتذر المنافقون بل أقروا بأنه لم يكن لهم عذر وكانوا ثلاثة ، فأمر الرسول ﷺ بمقاطعتهم وقد استمر حالهم كذلك نحو خمسين يوماً حتى نزل القرآن بقبول توبتهم ﴿ **وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إنَّ الله هو التواب الرحيم** ﴾ . (سورة التوبة)

لذلك ولكثير من الأفكار التي تتضمنها هذه المجموعات من الآيات المختارة نرجو من أبنائنا الطلاب أن يقبلوا عليها بالدراسة والفهم والنقاش حتى يفهموها فهماً عميقاً ليكتشفوا عظمة هذا الكتاب العزيز ، وما يعطيه لمتدبره من الحقائق ومن المعاني والأفكار واليقظة الروحية مما لا يمكن أن يجده في أي كتاب . . إنه كتاب ربنا خالق الكون وما فيه ، ومدبره والمنسق بين أجزائه ومخلوقاته ﴿ **الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى** ﴾ [الأعلى : ٢ ، ٣] وهذا ما دعانا إليه ربنا حين قال : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب** ﴾ [ص : ٢٩] وآخر دعوانا أنَّ الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . .

سورة البقرة
الآيات : (٣٠-٣٨)
استخلاف الإنسان في الأرض

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ
فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ
لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ
عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم
بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾
وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا

ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨

المفردات :

الملائكة : جند من خلق الله . الله أعلم بهم . وقيل : هم أجسام نورانية لا يأكلون ولا يشربون دأبهم الطاعة ليلاً ونهاراً .

خليفة : الخليفة من يخلفك ويقوم مقامك وسمي خليفة لأنه مستخلف من الله تعالى في إجراء الأحكام .

يسفك الدماء : من السفك : الصب والإهراق ولا يستعمل إلا في الدم .

نقدس لك : نعظمك . والتقديس : التطهير ومنه الأرض المقدسة .

السجود : الخضوع والانقياد مع انخفاض بانحناء وغيره .

إبليس : واحد من الجن وقيل أبوهم وهو اسم للشيطان .

رغداً : واسعاً طيباً هنيئاً .

مستقر : مكان استقرار .

المتاع : اسم لما يستمتع به من أكل وشرب ولبس وأنس وغير ذلك .

المعنى :

القصة لون من ألوان الأدب العالي ، وهي في القرآن لمعان سامية . قال تعالى : ﴿ **لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى** ﴾ [يوسف : ١١١] وفي هذه القصة تكريم الله تعالى لآدم وبنيه باختياره خليفة ، وتعليمه ما لا تعلمه الملائكة . . ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ واذكر يا محمد لقومك قصة خلق أبيهم آدم حيث قال الله للملائكة إني خالق في الأرض خليفة لي ، يقوم بعمارتها وسكناها ، ويقوم بعضهم بالزعامة والتوجيه ، وتنفيذ الأحكام حتى يعمر الكون ، والمراد به آدم عليه السلام ، وقيل آدم وذريته لأنه يخلف بعضهم بعضاً في عمارة الأرض . ﴿ **قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها** ﴾ قال الملائكة على سبيل التعجب والإستعلام – هذا الخليفة وبنوه تصدر أفعالهم عن إرادتهم ومصلحتهم ، وهم لا يعلمون المصلحة الحقيقية لأنَّ علمهم محدود ، وقد خلقوا من طين ، ومن كان كذلك فهو إلى الخطأ أقرب ، فهو يفسد في الأرض . . وأنت يا رب تريد عمارتها ، فكيف تجعل فيها من يفسد فيها أي يخرج عن الإعتدال والإستقامة . وقال بعض المفسرين إنَّ الملائكة عرفوا ذلك من الإنسان بإخبار من الله تعالى أو إلهام ﴿ **ويسفك الدماء** ﴾ أي يريق الدماء والمراد حصول التقاتل بين أفراد بني الإنسان ظلماً وعدواناً ﴿ **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ﴾ ونحن ننزهك عما لا يليق بعظمتك ، تنزيهاً متلبساً بحمدك والثناء عليك ، ونطهر ذكرك عما لا يليق بك ، تعظيماً لك وتمجيداً فأجابهم المولى : ﴿ **قال إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ إني أعلم كيف تصلح الأرض وكيف تعمر ، ومن أصلح لعمارتها .

﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ ألهمه معرفة ذوات الأشياء التي خلقها الله تعالى لتعمر بها الدنيا وتصلح إلى الأبد ، ومعرفة أسمائها ومنافعها ﴿ **ثم عرضهم على الملائكة** ﴾ ثم عرض هذه المسميات على الملائكة فسألهم على سبيل التعجيز ﴿ **فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء** ﴾ أخبروني بأسماء هذه المخلوقات التي ترونها ﴿ **إنْ كنتم صادقين** ﴾ في دعوى أنكم أحق بالخلافة من غيركم ، فوقفوا عاجزين ، واعترفوا بالعجز والقصور ﴿ **قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا** ﴾ تنزيهاً لك عن أن يكون فعلك لغير حكمة ، ونحن لا علم لنا إلا ما

علمتنا إياه ﴿ **إنك أنت العليم** ﴾ بكل شئ ﴿ **الحكيم** ﴾ الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة .

﴿ **قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم** ﴾ قال الله تعالى : يا آدم أخبرهم بأسماء المخلوقات التي عجزوا عن معرفتها ﴿ **فلما أنبأهم بأسمائهم** ﴾ أدركوا السر في خلافة آدم وبنيه ، وأنهم لا يصلحون لعدم استعدادهم للإشتغال بالماديات ، والدنيا لا تقوم إلا بها ، إذ هم خلقوا من النور ، وآدم خلق من الطين ، فالمادة جزء منه .

﴿ **قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض** ﴾ قال الله تعالى للملائكة ألم أقل لكم إني أعلم ما غاب عنكم في السماوات والأرض وما حصر فيها ؟ ﴿ **وأعلم ما تبدون** ﴾ أي ما تظهرون ﴿ **وما كنتم تكتمون** ﴾ أي تسرون من دعواكم أن الله لا يخلق خلقاً أفضل منكم .

ثم يذكر الله قصة ثانية تبين تكريم الله تعالى للإنسان حيث أمر الملائكة بالسجود له ، وفي هذا تعظيم وأي تعظيم . ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** ﴾ واذكر يا محمد لقومك وقت أنْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة وتأليه ، كما يفعل الكفار مع أصنامهم ﴿ **فسجدوا إلا إبليس** ﴾ فسجد الملائكة كلهم أجمعون امتثالاً لأمر الله تعالى إلا إبليس أبو الجن ﴿ **أبى واستكبر** ﴾ امتنع عن السجود وتكبر عنه ﴿ **وكان من الكافرين** ﴾ وصار بإبائه واستكباره من الكافرين حيث استقبح أمر الله بالسجود لآدم وقال : أأسجد له وأنا خير منه ؟ خلقتني من نار وخلقته من طين . . منعه حسده وغروره وتكبره من امتثال أمر ربه ، فاستحق اللعنة والطرد من رحمة الله .

﴿ **وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة** ﴾ تقول العرب للمرأة : زوج ولا تكاد تقول زوجة . ﴿ **والجنة** ﴾ يقول جمهور أهل السنة : إنها جنة المأوى، وهي دار الثواب والخلود للمؤمنين في الآخرة . اسكن أنت وزوجك حواء في جنة الخلد ﴿ **وكلا منها رغداً** ﴾ كلا من ثمار الجنة أكلاً رغداً واسعاً ﴿ **حيث شئتما** ﴾ **من أي مكان في الجنة أردتما الأكل فيه** ﴿ **ولا تقربا هذه الشجرة** ﴾ ولا تأكلا من هذه الشجرة أبداً ، ولم يعين القرآن الشجرة ، ولم يقم على تعيينها دليل من السنة ﴿ **فتكونا من الظالمين** ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله . وإنما أكل منها ناسياً أو متأولاً أنّ النهي نهي إرشاد فقط. ﴿ **فأزلهما الشيطان عنها** ﴾

أذهبهما وأبعدهما عن الجنـــة بكذبه عليهما ، وقسمه أنه لهمـــا من الناصحين ﴿ **فأخرجهما مما كانا فيه** ﴾ أي من نعيم الجنة ﴿ **وقلنا اهبطوا** ﴾ والهبوط النزول من أعلى إلى أسفل ضد الصعود والخطاب لآدم وزوجه كما قال تعالى في سورة طه ﴿ **قال اهبطا منها جميعاً** ﴾ أي اهبطوا من الجنـــة إلى الأرض . ﴿ **بعضكم لبعض عدو** ﴾ أي الشيطان لكم عدو ، فكونوا أعداء لـــه كقوله تعالى ﴿ **إنَّ الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً** ﴾ [فاطر : ٦] . ﴿ **ولكم في الأرض مستقر** ﴾ ولكم في الدنيا موضع استقرار ﴿ **ومتاع إلى حين** ﴾ وتمتع بنعيمها إلى وقت انتهاء آجالكم . . ﴿ **فتلقى آدم من ربه كلمات** ﴾ استقبل آدم من ربه كلمات عن طريق الإلهام فدعا الله بها وفسرت هذه الكلمات في سورة الأعراف وهي : ﴿ **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنـــا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ [الأعراف : ٢٣] ﴿ **فتاب عليه** ﴾ فقبل توبته ﴿ **إنه هو التواب** ﴾ الرجاع على عباده بقبول توبتهم ، أو بإعانتهم وتوفيقهم إليها . ويقال للعبد : تواب ، بمعنى كثير التوبة والاستغفار من الذنوب . ﴿ **الرحيم** ﴾ واسع الرحمة للعباد .

﴿ **قلنا اهبطوا منها جميعاً** ﴾ كرر الأمر بالهبوط للتأكيد ، ولبيان إنَّ إقامة آدم وذريته في الأرض لا في الجنة ﴿ **فإما يأتينكم مني هدى** ﴾ أي برسول أبعثه لكم ، وكتاب أنزله عليكم ﴿ **فمن تبع هداي** ﴾ أي آمن بي وعمل بطاعتي وفق ما بلغ رسولي ﴿ **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ أي لا يصيبهم خوف ولا حزن في الدنيا ولا في الآخرة . كما قال تعالى : ﴿ **فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ◊ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ [طه : ١٢٣ ، ١٢٤] والعياذ بالله .

أسئلة الاستيعاب :

١. لماذا جعل الله آدم خليفة ؟
٢. ماذا قالت الملائكة عندما أخبرهـــم المولى سبحانه أنه جاعل في الأرض خليفة ؟
٣. ومن أين عرفوا ذلك ؟
٤. ماذا يعني الرد بقوله تعالى ﴿ **إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ ؟
٥. علم الله تعالى آدم أسماء المخلوقات التي تعمر الأرض ، وعرض هذه المخلوقات على الملائكة طالباً منهم ذكر أسمائها . فماذا كانت إجابتهم ؟ وما الحكمة من هذا السؤال ؟
٦. ثم قال الله تعالى ﴿ **يا آدم أنبئهم بأسمائهم** ﴾ فبم أجاب عليه السلام ؟
٧. أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم . فما المراد بسجودهم له ؟ وما الفرق بينه وبين سجود العباد لله تعالى ؟
٨. لم امتنع ابليس من السجود لآدم . وهل كان ابليس من الملائكة ؟
٩. ما العلاقة بين آدم وذريته بإبليس ؟

سورة البقرة
الآيات : (١٧٨-١٨٢)
القصاص والوصية

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ
وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ
فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ
وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمۡ فِي
ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ
إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ
وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا
سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٨١﴾
فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ
إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨٢﴾

المفردات :

القصاص والقود : أن يفعل بالجاني مثل ما فعله بالمجني عليه .
في القتلى : بسبب القتلى .
فمن عفى له من
أخيه شئ : فمن عفى له من جهة أخيه، وهو ولي الدم، شئ من العفو.
فاتباع بالمعروف : فليكن اتباع الجاني بالمعروف من غير شطط .
وأداء إليه بإحسان : وتأدية من جهة الجاني إلى ولي المجني عليه من غير تعب ولا مماطلة .
الوصية : أن يوصي من أوشك على الموت ببعض ماله لأقاربه .
جنفاً : ميلاً عن الحق والعدل .
خيراً : المراد المال الكثير .

المعنى :

سبب النزول :

كان بين حيين من العرب اقتتلوا في الجاهلية – قبل الإسلام بقليل – نزاع وقتال ، فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا ، وكان أحدهما يتطاول على الآخر ، فحلف ليقتلن الحر بالعبد ، والذكر بالأنثى ، واحتكموا إلى النبي ﷺ ، فنزلت الآية . .

﴿ **يأيّها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى** ﴾ يا من آمنتم بالله ورسوله فرض عليكم القصاص للمقتول من قاتله عمداً بالمساواة دون بغي أو عدوان مع ملاحظة الأوصاف ، فيقتل ﴿ **الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى** ﴾ أي اقتصوا من الجاني فقط فإذا قتل الحرُّ الحرَّ فاقتلوه به ، وإذا قتل العبدُ العبدَ فاقتلوه به ، وإذا قتلت الأنثى الأنثى فاقتلوها بها ، مثلاً بمثل ، ولا تعتدوا فتقتلوا غير الجاني ، فإن قتل غير الجاني ليس بقصاص بل هو ظلم واعتداء .

﴿ **فمن عفي له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان** ﴾ أي فالقاتل عمداً إذا عفي له عن جنايته من جهة أخيه ولي الدم ، بأن صفح عنه من القصاص الواجب عليه ، ورضي منه بالدية بدل الدم ، فالواجب اتباع ولي

الدم له بالمعروف بألا يأخذ منه أكثر من حقه ولا يرهقه ، ويجب على القاتل أو وليه أداء الدية إلى العافي – ولي المقتول – أداءً حسناً من غيرمماطلة ولا تسويف ﴿ **ذلك تخفيف من ربكم ورحمة** ﴾ أي ما شرعه الله لكم من العفو تسهيل على القاتل ، وفي شرع الدية نفع لأولياء المقتول . ولم يكن هذا التشريع مباحاً لبني اسرائيل في التوراة ، إنما شرع للأمة المسلمة استبقاء للأرواح عند التراضي والصفاء ، توسعة عليهم وتيسيراً وتفضيلاً لهم على غيرهم .

﴿ **ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب** ﴾ ولكم في القصاص في القتل العمد حياة عظيمة للجماعة تشيع فيها الطمأنينة والهدى والسكينة ، فإنَّ من همَّ بالقتل إذا علم أنه إذا قتل غيره اقتص منه ، ارتدع وانكف عن القتل ، فسلم هو وسلم صاحبه من القتل . ومن قتل إنساناً واقتص منه ، ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل ، فسلم الناس من عدوانه . وهذا القصاص يمنع انتشار الفوضى والظلم في القتل ، وهو يقضي على الجرائم والحزازات ، ويكف الشر، ويسل السخائم ، ولولا هذا التشريع الحكيم العادل لفشا القتل بين الناس ، ولهان أمر الدماء عليهم* ﴿ **لعلكم تتقون** ﴾ أي لعلكم تنزجرون وتتقون محارم الله تعالى .

ثم تتحدث الآيات عن الوصية : ﴿ **كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إنْ ترك خيراً الوصية** ﴾ فرض الله عليكم فيما فرض إذا أشرف أحدكم على الموت ، وقد ترك مالاً يُعدّ كثيراً في العرف أنْ يوصي ﴿ **للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين** ﴾ أي بالعدل بأن لا يزيد عن الثلث ، وألا يوصي للأغنياء ويترك الفقراء ، وألا يميز إلا لضرورة كعجز عن الكسب أو اشتغال بالعلم ، لأن عدم العدل يسبب البغضاء ، حقاً لازماً على المتقين لله تعالى . وقد كانت الوصية واجبة ثم نسخت بآيات المواريث ، وبحديث " لا وصية لوارث " وهو مذهب جمهور الأئمة . وذهب ابن عباس إلى أنّ المنسوخ وجوب الوصية للوارثين منهم . وبقي الوجوب في حق من لا يرث منهم ﴿ **فمن بدله بعدما**

---

* يقول صاحب الظلال : " وفي القصاص حياة على معناها الأشمل الأعم . فالاعتداء على حياة فرد اعتداء على الحياة كلها ، واعتداء على كل إنسان حيّ ، يشترك مع القتيل في سمة الحياة . فإذا كف القصاص الجاني عن إزهاق حياة واحدة ، فقد كفه عن الاعتداء على الحياة كلها . وكان في هذا الكف حياة ، حياة مطلقة ، لا حياة فرد ، ولا حياة أسرة ، ولا حياة جماعة . . بل حياة " . .

سمعه ﴾ فمن غيّر الوصية بعدما سمعها وشهد عليها ﴿ **فإنما إثمه على الذين يبدلونه** ﴾ فإنما ذنب هذا التغيير على الذين بدلوه لأنهم خانوا وخالفوا حكم الشرع ﴿ **إنَّ الله سميع** ﴾ لكل قول ﴿ **عليم** ﴾ بكل فعل . فاحذروا عقابه وارجوا ثوابه .

﴿ **فمن خاف من موص جنفاً** ﴾ أي فمن علم أو ظن من موص ميلاً عن الحق خطأ ﴿ **أو اثماً** ﴾ أي ميلاً عن الحق عمداً ﴿ **فأصلح بينهم** ﴾ أي أصلح بين الموصي والموصى لـــه ﴿ **فلا إثم عليه** ﴾ أي فلا ذنب عليـــه بهذا التبديل ﴿ **إنّ الله غفور رحيم** ﴾ أي واسع المغفرة والرحمة لمن قصد بعمله الإصلاح .

أسئلة الاستيعاب :

١. ما سبب نزول قوله تعالى ﴿ **يأيّها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى** ﴾ ؟
٢. ما معنى " كتب " ؟ وهل جاءت بهذا المعنى في غير هذه الآية ؟
٣. ما القصاص ؟
٤. ما الذي يدل عليه قوله تعـــالى ﴿ **الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى** ﴾ ؟
٥. ما الواجب على القاتل عمداً إذا عفـــا ولي الدم عن القصاص منه وقبل الدية ؟
٦. وماذا يجب على ولي المقتول في هذه الحالة ؟
٧. وضح معنى قوله تعالى : ﴿ **ذلك تخفيف من ربكم ورحمة** ﴾ .
٨. وضح كيف تكون في القصاص حياة .
٩. أمر الله تعالى من أشرف على الموت وله مال أنْ يوصي لأقاربه المحتاجين بالمعروف . فما هو المعروف ؟
١٠. ما حكم الوصية ؟ وهل تكون للورثة ؟ وكم نسبتها في تركة المتوفي ؟
١١. ما حكم من بدل الوصية بعدما سمعها ؟
١٢. إذا كان الموصي ظالماً في وصيته فقام سامع الوصية بالتوفيق بين الموصي والورثة فهل يعتبر آثماً ؟
١٣. ما الذي تدل عليه خاتمة الآية : ﴿ **إن الله غفور رحيم** ﴾ ؟

سورة البقرة
الآيات : (٢٧١-٢٨١)
الدعوة للتصدق والإنفاق لوجه الله ومحاربة الربا

إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ
وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ
ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾
لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا
فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم
بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ
وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا
كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ
إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ
مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ

فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟
وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن
تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾
وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ
تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

المفردات :

الصدقة : ما يخرجه الإنسان من ماله على جهة القربى ، وتشمل القرض والتطوع .

فنعما هي : الأصل : فنعم ما هي بمعنى فنعم شيئاً إبداؤها .

هداهم : هدايتهم للإسلام .

أحصروا : أي حبسوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله .

ضرباً في الأرض : سيراً فيها .

التعفف : العفة والمراد التعفف عن السؤال .
بسيماهم : السيما : العلامة التي يعرف بها الشئ .
إلحافاً : بالإلحاح في السؤال .
يأكلون : يأخذون . وعبر بالأكل عن الأخذ لأنه الغرض الأساسي منه ، واللباس والانتفاع والنفقة على العيال داخله فيه ، وللإشارة إلى أنَّ ما يؤخذ لا يرجع أصلاً .
الربا : الزيادة يقال ربا الشئ إذا زاد وكثر . . وشرعاً : زيادة على أصل المال يأخذها الدائن من المدين مقابل الأجل .
يتخبطه : الخبط السير على غير هدى وبصيرة . وأصله : الضرب على غير استواء واتساق ، كخبط البعير الأرض بيديه .
المسّ : الجنون والصرع . وأصله من المس باليد كأنَّ الشيطان يمس الإنسان فيحصل له الجنون .
يمحق : المحق النقصان وذهاب البركة .
أثيم : مصر على الإثم ومبالغ فيه .
فأذنوا : فاعلموا ، من أذن بالشئ علم به .
فنظرة : فانتظار وإمهال .

المعنى :

هذه الآيات تتحدث عن الإنفاق في وجوه البر والخير ، وأعلاها الجهاد في سبيل الله والإنفاق لإعلاء كلمته ، وترغب في إخفاء الصدقات ؛ لأنها أبعد عن الرياء ثم تتحدث عن الربا وهو الكسب الخبيث ذو الوجه الكالح فتحرمه ، وتعلن الحرب على المتعاملين به . .

﴿ **إنْ تبدوا الصدقات فنعماً هي** ﴾ إن تظهروا صدقاتكم المفروضة ويعلم الناس بها ، فنعم هذا الشئ الذي تفعلونه ﴿ **وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم** ﴾ وإنْ تخفوا صدقاتكم الطوعية وتكتموها وتعطوها للفقراء فهو أفضل لكم ؛ لأنَّ ذلك أبعد عن الرياء ﴿ **ويكفر عنكم من سيئاتكم** ﴾ ويزيل بأعمالكم الحسنة سيئاتكم وآثامكم ﴿ **والله بما تعملون خبير** ﴾ والله مطلع على أعمالكم فهو سبحانه يعلم السر وما أخفى .

والخلاصة : أنَّ إظهار الصدقة الواجبة خير بلا شك من إخفائها وخاصة في هذا الزمان ؛ فالناس يحتاجون إلى مرشدين عمليين يتقدمون الصفوف ويعملون الخير قدوة للناس ، وأما الصدقة المندوبة فإخفاؤها وإعطاؤها الفقراء خير ، لأنَّ ذلك أدعى لعدم الرياء ، وأحفظ لكرامة الفقير . . ثم تتحدث الآيات عمن تعطى لهم الصدقة فيقول الله تعالى : ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء** ﴾ الخطاب للرسول ﷺ . والمراد هو وأمته . وقد كان لبعض الأنصار قرابة من اليهود فلما أسلموا كرهوا أن يتصدقوا عليهم ، وراودوهم أن يسلموا ، فنزلت الآية . . أي ليس عليك هدى هؤلاء الكافرين فتمنعهم الصدقة ، ولا تعطيهم منها ليدخلوا في الإسلام ، ولكن الله تعالى هو الذي يهدي من يشاء إلى الإسلام فيوفقه له ، فتصدق لوجه الله تعالى . والمراد صدقة التطوع للإجماع على أنه لا يجوز صرف الزكاة لغير المسلم . . ﴿ **وما تنفقوا من خير فلأنفسكم** ﴾ أي شئ تنفقونه من المال فثوابه لأنفسكم ، ونفعه عائد إليكم في الدنيا ، إذ لا ينكر أحد ما للإنفاق من أثر بين في جذب القلوب ، ونشر الأمن والطمأنينة ، ومنع السرقة ، وإماتة الأفكار السامة والمبادئ الهدامة ، وأما في الآخرة فالجزاء واف ، ﴿ **وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله** ﴾ ولا يجوز أن يكون الإنفاق إلا في الخير ابتغاء وجه الله ، لا لوجه الدنيا والشيطان ، فلا منّ ولا أذى ﴿ **وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾ وما تنفقوا من مال قلّ أو كثر تعطوا أجره وافياً في الآخرة ، وأنتم لا تظلمون ولا تنقصون شيئاً من حسناتكم كما قال الله تعالى : ﴿ **فلا تظلم نفس شيئاً وإنْ كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾ .

مما سبق علمنا أنَّ الإنفاق يكون للفقراء عامة مسلمين وغير مسلمين ثم بين الله تعالى هنا أنَّ أشد الناس حاجة إلى الصدقة هم الفقراء من المهاجرين أصحاب الصفة . وكانوا يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والجهاد ، ويخرجون مع كل سريّة يبعثها الرسول ﷺ فقال : ﴿ **للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله** ﴾ أي أجعلوا ما تنفقون للفقراء الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله . . وقد نزلت الآية في أهل الصفة وهم فقراء المهاجرين الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ وتركوا أموالهم ، وكان عددهم حوالي أربعمائة رجل . ولم يكن لهم مأوى

فكانوا يأكلون عند النبي ﷺ وعند غيره ، ثم يبيتون في المسجد تحت جزء مسقوف يقال له : الصُّفة ، وكان عملهم الجهاد ، وحفظ القرآن الكريم ، والخروج مع السرايا التي يرسلها النبي ﷺ . . وهكذا من يشاكلهم ممن حبس نفسه على الجهاد في سبيل الله ، فالجنود وطلبة العلم بشرط ألا يمكنهم الكسب ممن يدخل تحت هذا . . ﴿ **لا يستطيعون ضرباً في الأرض** ﴾ لا يستطيعون سفراً ولا سيراً في الأرض للتجارة والكسب ، وذلك لاشتغالهم بالجهاد والتعلم أو لعجز أو كبر أو ضرورة . ﴿ **يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف** ﴾ يظنهم الذي لا يعرف حالهم أغنيـــاء موسرين من شدة تعففهم عن السؤال ، ﴿ **تعرفهم بسيماهم** ﴾ تعرف فقرهم بما يُرى عليهم من الضعف والرثاثة . تعرفهم بما يبدو عليهم من الهيبة والوقار . ﴿ **لا يسألون الناس إلحافاً** ﴾ وهم لا يسألون الناس شيئاً أصلاً تعففاً منهم ، أو لا يسألون الناس ملحين وملحفين . عن النبي ﷺ " : ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان إنما المسكين الذي يتعفف اقرأوا إنْ شئتم قوله تعالى : ﴿ **لا يسألون الناس إلحافاً** ﴾ " . والسؤال محرم في الإسلام إلا لضرورة ، عن النبي ﷺ : " المسألة لا تحل إلا لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو لذي دم موجع " .

﴿ **وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم** ﴾ وما تنفقوا من خير قلّ أو كثر فإن الله عليم به ، ومجاز عليه أحسن الجزاء . ﴿ **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية** ﴾ الذين يتصدقون بأموالهم ليلاً أو نهاراً ، سراً وعلانية ابتغاء مرضات الله ﴿ **فلهم أجرهم عند ربهم** ﴾ هؤلاء لهم الأجر الكامل عند ربهم الذي تعهدهم بالتربية في بطون الأرحام ﴿ **ولا خوف عليهم** ﴾ يوم القيامة ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾ أبداً على ما فاتهم في الدنيا .

ثم تتحدث الايات الكريمة عن الربا ، فتعرضه عرضاً منفراً ، يكشف عما في عملية الربا من شناعة وقبح . ولم يبلغ من تفظيعه لأمر أراد الإسلام إبطاله من أمور الجاهلية ما بلغ من تفظيع الربا . وما بلغ من التهديد في اللفظ والمعنى ما بلغ التهديد في أمر الربا.. فيقول سبحانه ﴿ **الذين يأكلون الربا . .** ﴾ أي الذين يتعاملون بالربا أخذاً وإعطاءً ، ويستحلونه من غير وجه شرعيّ ، ويمتصون دماء الناس ، ويأكلون أموالهم بالباطل ، قد أذلتهم الدنيا ، واستعبدهم

حب المال ، ﴿ **لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ فتراهم في حركاتهم وسكناتهم ، وقيامهم وقعودهم يتخبطون خبط عشواء ، كالصرعى الذين مسهم الجن . وإنما خص القيام في قوله ﴿ **لا يقومون إلا كما يقوم . .** ﴾ لأنَّ القيام أبرز مظاهر النشاط في العمل . .

ولقد جاء النص القرآني ﴿ **يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ موافقاً لاعتقادهم . وإنهم كانوا يؤمنون بالجن وتأثيره على الإنسان . وكان العرب قديماً ينسبون كل ما استعصى عليهم فهمه وإدراك سره إلى الجن . فجاء القرآن الكريم موافقاً لفهمهم ، لأنَّ المقصود تصوير أكل الربا بأبشع صورة ، وأقبح منظر . .

وقد درج جمهور المفسرين على أنَّ المراد أنَّ آكل الربا المستحل له لا يقوم يوم القيامة إلا كقيام المصروع الذي تخبله الشيطان وصرعه . واختار الفخر : أنَّ المراد بمس الشيطان دعاؤه إلى طلب الملذات والشهوات والاشتغال بغير الله ، ومن استجاب له كان متخبطاً في أمر الدنيا ، فتارة يجره الشيطان إلى الهوى ، وتارة يجره الملك إلى الهدى . وأكل الربا مفرط في حب الدنيا ، فإذا مات على ذلك الحب صار حجاباً بينه وبين الله تعالى ، فالخبط الذي كان حاصلاً له في الدنيا بسبب حب المال أورثه خبطاً في الآخرة ﴿ **ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا** ﴾ أي ذلك التخبط والتعثر بسبب استحلالهم ما حرمه الله ، وقولهم : الربا كالبيع فحيث حل بيع ما قيمته درهم بدرهمين حالاً أو مؤجلاً ، يحل بيع درهم بدرهمين . وجعلهم الربا أصلاً وتشبيه البيع به مبالغة منهم في التماثل ﴿ **وأحل الله البيع وحرم الربا** ﴾ إبطال من الله تعالى لقول الكفار " إنما البيع مثل الربا " وقد أحلّ الله البيع لما فيه من معاوضة وسلعة قد يرتفع سعرها في المستقبل ، وما زيد في الثمن إنما هو في مقابله شئ ستنتفع به في الأكل أو اللبس أو غيرهما ، وحرم الربا إذ لا معاوضة فيه ، والزيادة ليست في مقابلة شئ ، بل كانوا إذا حل الدين فإن دفع المدين ، وإلا أجل الدائن في نظير زيادة الدين . فأخذ هذه الزيادة ظلم وأيّ ظلم ، واستحلالها كفر وإثم . . . ﴿ **فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف** ﴾ فمن بلغه نهي الله عن الربا وتحريمه لمصلحة الأمة والجماعة فانتهى عما كان يفعله قبل التحريم فله ما سلف أخذه في الجاهلية ﴿ **وأمره إلى الله** ﴾ يوم القيامة إنْ شاء عفا عنه ، وإنْ

شاء عاقبه ﴿ **ومن عاد** ﴾ إلى التعامل بالربا بعد التحريم ﴿ **فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ فأولئك العائدون للتعامل به من المخلدين في النار والعياذ بالله تعالى .

﴿ **يمحق الله الربا ويربي الصدقات** ﴾ ولما كان الباعث على الربا تحصيل المزيد من المال ، والصارف عن الصدقات الاحتراز عن نقصانه – بيّن الله تعالى في هذه الآية : إنَّ الربا وإنْ كان زيادة في المال فهو نقصان في الحقيقة لذهاب بركة المال به لا محالة . وأنَّ الصدقة وإنْ كانت نقصاناً في الحال للمال صورةً فهي نماء وزيادة فيه معنى ، وذلك في الدنيا والآخرة . وقد وضحت آية أخرى أنَّ معنى الإرباء مضاعفة الأجر ، وأنه يشترط في ذلك إخلاص النية لوجه الله تعالى وهي قوله تعالى ﴿ **وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون** ﴾ ﴿ **والله لا يحب كل كفارأثيم** ﴾ والله لا يرضى عن المستحل للربا والمقيم على الإثم والمبالغ فيه . وفي الاية تغليظ في أمر الربا وإيذان أنه من فعل الكفار . ثم قال الله تعالى مادحاً المؤمنين المطيعين لأوامره في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ﴿ **إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ آمنوا بالله ورسوله وعملوا صالحاً يقيهم من عذاب النار ، وخاصة إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، فإن الأعمال الصالحة مطهرة للنفس ، ومرضاة للرب ، ومجلبة لمحبة العبد في الدنيا ﴿ **لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ هؤلاء لهم أجرهم الكامل عند ربهم في الجنة ولا يخافون يوم الفزع الأكبر ، ولا يحزنون على ما فاتهم في الدنيا . ثم يأمر الله تعالى أمراً صريحاً بترك الربا فيقول : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين** ﴾ يا من اتصفتم بالإيمان الذي يتنافى مع الربا والتعامل به . فالإيمان والإسلام سلام ورحمة ، وعطف وصلة ، أما الربا فجشع واستغلال ومعاملة دنيئة تتنافى مع أخوة الإسلام ، وتتنافى مع الإنسانية مطلقاً .

فيأيّها المؤمنون خذوا لأنفسكم الوقاية من عذاب الله ، واتركوا ما بقي لكم مما شرطتم من الربا حالاً ، واقطعوا المعاملة به فوراً ، ولا تطالبوا به بعد أن علمتم حرمته ، فليس لكم إلا رؤوس أموالكم ﴿ **فإن لم تفعلوا** ﴾ ما أمرتم به من ترك التعامل بالربا ﴿ **فأذنوا بحرب من الله ورسوله** ﴾ فاعلموا واستيقنوا

بحرب من الله ورسوله ، وهو وعيد وتهديد شديد للمرابين ﴿ **وإنْ تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون** ﴾ وإنْ أقلعتم عن التعامل بالربا ورجعتم إلى الله تعالى بالتوبة فلكم أصل أموالكم الذي دفعتموه من غير زيادة ولا نقصان.

سبب النزول :

روي أنَّ هذه الآية نزلت في ثقيف وكان لها ربا على قوم من قريش تطالبهم به فأبوا ، واختصموا إلى والي مكة عتاب بن أسيد فنزلت الآية . وكتب بها الرسول ﷺ إليهم ، فلما علمت بذلك قالت : لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله. وتابوا وأخذوا رءوس أموالهم فقط . .

﴿ **وإنْ كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة** ﴾ وإن كان المستدين معسراً فعليكم أن تمهلوه إلى وقت اليسر والرخاء عسى الله أنْ يفرج عليكم جميعاً كما قال ﷺ : " من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ". لا كما قال الجاهليون يقول أحدهم لمدينه : إمّا أنْ تقضي وإما أنْ تربي . ﴿ **وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ وإنْ تتصدقوا بترك الدين أو بعضه فهو خير لكم وأحسن إنْ كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والأجر العظيم .

أخرج البخاري عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال " كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه ، لعل الله أنْ يتجاوز عنا ، فلقي الله فتجاوز عنه " . ﴿ **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله** ﴾ اتقوا يوماً تتركون فيه الدنيا وزخارفها ومشاغلها وترجعون إلى الله ﴿ **ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ في هذا اليوم العصيب توفى كل نفس حسابها على ما كسبت . قال تعالى ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً** ﴾ .

وقد ختمت هذه الآيات الكريمة بهذه الآية الجامعة المانعة التي كانت آخر ما نزل من أحكام القرآن . وبنزولها انقطع الوحي . وفيها تذكير العباد

بذلك اليوم العصيب الشديد . قال ابن كثير : هذه آخر ما نزل من القرآن العظيم وقد عاش النبي ﷺ بعد نزولها تسع ليال ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى . .

وهناك أقوال أخرى في تحديد آخر ما نزل من القرآن .

أسئلة الاستيعاب :

١. ما الصدقة ؟
٢. ما الصدقة التي يمدح إظهارها ؟ وما السبب ؟
٣. ما الصدقة التي يمدح إخفاؤها ؟ وما السبب ؟
٤. ما سبب نزول الآية ﴿ **ليس عليك هداهم** ﴾ ما نوع الصدقة التي جاءت في سبب النزول ؟
٥. ما المقصود بقوله تعالى ﴿ **وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله** ﴾ ؟
٦. هل الصدقة تكون للمسلمين وغير المسلمين مطلقاً ؟
٧. ﴿ **للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله** ﴾ فيمن نزلت هذه الآية ؟ وبم يوصفون ؟ وهل تشمل هذه الآية غيرهم ؟ وضح ذلك .
٨. ما معنى ﴿ **يأكلون الربا** ﴾ ؟ بم شبه القرآن أكل الربا ؟
٩. بم فسر جمهور المفسرين قوله تعالى ﴿ **كالذي يتخبطه الشيطان من المس** ﴾ ؟ وما القول الذي اختاره الفخر ؟
١٠. ما علاقة قوله تعالى ﴿ **ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا** ﴾ بما قبلها ؟ وما الفرق بين البيع والربا الذي من أجله حرم الربا وأحل البيع ؟
١١. ما معنى يمحق الله الربا ؟ وكيف يكون المحق ؟ وكيف يربي الصدقات ؟
١٢. ما الذي يدل عليه ختام الآية بقوله ﴿ **والله لا يحب كل كفار أثيم** ﴾ ؟
١٣. بم امتدح الله المؤمنين العاملين للصالحات ؟

١٤. ما سبب نزول قوله تعالى ﴿ **اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين** ﴾ ؟

١٥. بم توعد الله المصرين على التعامل بالربا بعد تحريمه ؟

١٦. بم أمر الله أصحاب الأموال مع من استدانوا ولم يستطيعوا سداد ما عليهم من ديون ؟

١٧. وما الذي رغبهم فيه إنْ كانوا معسرين ؟ وما الذي كان يفعله الجاهليون مع هؤلاء ؟

١٨. ما معنى الآية الأخيرة من هذه الآيات ؟ ومتى نزلت على الرسول ﷺ ؟

سورة البقرة
الآيات : (٢٨٢-٢٨٣)
أحكام الدَّيْن

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى
فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن
يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ
وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ
سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ
وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ
وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ
إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ
أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ
وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ

تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

المفردات :

تداينتم	:	داين بعضكم بعضاً أي تعاملتم بدين مؤجل .
بدين	:	الدين هو المال الذي يكون في الذمة .
أجل	:	هو الوقت المضروب لانتهاء شئ .
المسمى	:	المعلوم بيوم أو شهر أو سنة .
بالعدل	:	بالحق في كتابته ، لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص.
ولا يأب	:	يمتنع
وليملل	:	الإملال والإملاء واحد ، وهو أن يلقي عليه ما يكتبه .
لا يبخس	:	لا ينقص .
سفيهاً	:	ناقص العقل مبذراً .

ضعيفاً : صبياً أو شيخاً مسناً .
لا تسأموا : لا تضجروا ولا تملوا .
أقسط : أعدل ، يقال : أقسط الرجل إذا عدل .
أقوم للشهادة : أثبت لها وأعون على إقامتها .
أدنى ألا ترتابوا : أقرب إلى انتفاء ريبكم في الدَّيْن وأجله .
فسوق بكم : خروج عن الطاعة .
رهان : جمع رهن . وهو احتباس العين وثيقة بالحق ليستوفي من ثمنها عند تعذر أخذه من الغريم .

المعنى :

الإسلام يأمرنا ببذل المال حين ينبغي البذل ، ويترك الزيادة إنْ كان فيه ربا ، ثم يأمرنا في هذه الآيات بحفظ المال وتوثيقه في البيع والشراء والقرض والتجارة . ومن هنا نعلم أنَّ الإسلام دين ودولة ، وحكم وحكمة ، فبينما يهدينا إلى الإنفاق يحرم علينا الربا ، ثم يرشدنا إلى التوثيق في البيع والشراء حتى لا يضيع مال ، ولا يحصل نزاع . وليس ديننا دين رهبنة وفقر ، وقناعة وذل ، بل هو دين علم وعمل ، وجد واجتهاد ، وغنى وعزة ، حتى يتحقق قول الله تعالى ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً** ﴾ [البقرة : ١٤٣].

فالإسلام يأمرنا أن نجمع المال وننميه ، ولكن من طريق الحلال ، ونحافظ عليه ونستوثق له بالكتابة والشهود ، ولعلّ ذلك هو السِّر في طول الآية ووضوحها وتكرار أحكامها حتى يفهم أحكامها العامة والخاصة . .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمّى فاكتبوه** ﴾ يا من آمنتم بالله ورسوله إذا تعاملتم بدين مؤجل في الذمة فاكتبوه* . ليكون ذلك أحفظ

* وهذا إرشاد منه تعالى لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها .

وأوثق لمقدارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها والأمر عند الجمهور للإرشاد والندب لا أمر إيجاب كما ذهب إليه بعضهم .

﴿ **وليكتب بينكم كاتب بالعدل** ﴾ وليقم بالكتابة شخص ثالث غير المتعاقدين . وهذا الكاتب مأمور أن يكتب بالعدل ، فلا يميل مع أحد الطرفين ، فهو القاضي بين الدائن والمدين ، ولتحقيق عدالته يشترط أن يكون عالماً بشروط الكتابة ملماً بأصولها ﴿ **ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله** ﴾ ولا يمتنع كاتب عن الكتابة بالعدل ما دام يمكنه ذلك ﴿ **فليكتب** ﴾ كما علمه الله ، فلا يزيد ولا ينقص ولا يضر أحداً ، والكتابة نعمة من الله عليه ، فمن الشكر عليها ألا يمتنع عنها ما دام قد أخذ أجره بالعدل والرحمة .

﴿ **وليملل الذي عليه الحق** ﴾ والذي يقوم بالإملاء على الكاتب من عليه الحق (المدين) ليكون إملاؤه اعترافاً بالدين ، وبمقداره ، وشرطه وأجله ، وليكون حجة عليه وذلك خوفاً من أن يقع على المدين غبن إن أملى الدائن فزاد في الدين أو قرب الأجل أو ذكر شروطاً معينة في مصلحته ، والمدين في حاجة لإتمام الصفقة ، فلا يعترض ، فيقع عليه الغبن . ﴿ **وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً** ﴾ وليخش الله رب العـــالمين ولا ينقص من الحق شيئـــاً عند الإملاء ﴿ **فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً** ﴾ لا يحسن التصرف في تدبير أموره ﴿ **أو ضعيفاً** ﴾ **أو كـــان ضعيفاً لصغر سنه أو شيخوخته** ﴿ **أو لا يستطيـــع أن يمل هو** ﴾ إما لجهله أو لكنة في لسانه أو لأي سبب من الأسباب المختلفة الحسية أو العقلية ﴿ **فليملل وليه بالعدل** ﴾ فالذي يملي عليه الكاتب في هذه الحالات وليّ أمره من قيِّم عليه أو وكيل أو مترجم ، يملي بالعدل والإنصاف . ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رجالكم** ﴾ أطلبوا مع الكتابة أن يشهد لكم شاهدان من المسلمين زيادة في التوثيق بشرط البلوغ والعقل والحرية .

﴿ **فإن لم يكونا رجلين ، فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء** ﴾ أي ممن ترضون شهادتهم لدينهم . والرضى يشمل معنيين : الأول : أن يكون الشاهدان عدلين مرضيين في الجماعة . والثاني : أنْ يرضى بشهادتهما طرفا التعاقد . وإنْ لم يتيسر الشاهدان ، فليكن رجل وامرأتان ، وإنما جعل الشرع المرأتين بمنزلة رجل واحد خوف ﴿ **أنْ تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى** ﴾ أي إذا نسيت إحداهما فتذكرها الأخرى لقلة ضبط النساء للأمور المالية ، وقلة

عنايتهن بمثل ذلك لأنَّ المرأة جبلت على الاشتغال بالمنزل ، وتربية الأولاد فكان تذكرها للمعاملات قليلاً ، وهذا حكم غالبي ، والأحكام الشرعية تنظر للمجموع . .

﴿ **ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا** ﴾ ولا يمتنع الشهود من الشهادة إذا دعوا إليها ، فإن كتمانها معصية ﴿ **ومن يكتمها فإنه آثم قلبه** ﴾ إذ بالشهادة العادلة تتضح الحقوق ، ويمنع الظلم ، والنهي شامل لتحمل الشهادة وأدائها .

﴿ **ولا تسأموا أنْ تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله** ﴾ والدين مهما كان صغيراً أو كبيراً لا تملوا من كتابته إلى وقت حلوله حتى يقطع الشقاق والنزاع .

﴿ **ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة** ﴾ أي ما أمرناكم به من كتابة الدين أعدل في حكم الله تعالى ، وأثبت للشهادة حتى لا تنسى ، ﴿ **وأدنى ألا ترتابوا** ﴾ وأقرب ألا تشكوا في مقدار الدين وأجله ﴿ **إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم** ﴾ ما سبق من الأحكام كان في المبايعات المؤجلة وفي الديون . أما التجارة الحاضرة التي يأخذ المشتري ما اشترى ويأخذ البائع الثمن ، يداً بيد، والثمن مقبوضاً ﴿ **فليس عليكم جناح ألا تكتبوها** ﴾ فلا ضرورة للكتابة إذ لا شك ولا نسيان يخاف منه .

﴿ **واشهدوا إذا تبايعتم** ﴾ أي اشهدوا على حقكم مطلقاً سواء كان البيع ناجزاً أو بالدين لأنه أبعد عن النزاع والاختلاف .

﴿ **ولا يضار كاتب ولا شهيد** ﴾ لا ينبغي أن تضروا كاتباً أو شاهداً بأي نوع من أنواع الضرر بسبب أدائه للكتابة ، ﴿ **وإنْ تفعلوا فإنه فسوق بكم** ﴾ وإنْ فعلتم ما نهيتم عنه ، فإنه خروج منكم عن طاعة الله ، وحدود الإيمان ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ اتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه ، يمنحكم العلم النافع الذي به سعادة الدنيا والآخرة ﴿ **والله بكل شئ عليم** ﴾ عالم بالمصالح والعواقب ، فلا يخفى عليه شئ أبداً . . .

﴿ **وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة** ﴾ وإنْ كنتم مسافرين وتداينتم إلى أجل مسمى ، ولم تجدوا كاتباً يكتب ، أو لم تجدوا أدوات الكتابة ، فليكن بدل الكتابة رهان مقبوضة ، يقبضها صاحب الحق يستوثق بها حتى يصل إليه حقه . هذا الرهن يقوم مقام الكتابة .

والرهن ثابت في السفر بنص القرآن ، وفي الحضر بالسنة . فقد رهن النبي ﷺ درعه عند يهودي ومات عنها ، والقيود التي في الآية من عدم وجود الكاتب وكونهم في السفر لجواز عدم الكتابة . .

﴿ **فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي ائتمن أمانته وليتق الله ربه** ﴾ أي فإن اتفق أحدكم ائتمن آخر على شئ ديناً أو غيره فاستغنى عن الرهن ثقة بصاحبه فعلى المؤتمن أنْ يؤدي الأمانة كاملة في ميعادها ، وليتق الله ربه فلا يخون الأمانة ، فالله هو الشاهد الرقيب . ﴿ **ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه** ﴾ إذا دعيتم لأداء الشهادة فلا تكتموها ، فإن كتمانها إثم كبير ، وخصّ القلب بالذكر لأنه سلطان الأعضاء ، إذا صلح صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله ﴿ **والله بما تعملون عليم** ﴾ والله تعالى عليم لا يخفى عليه شئ من أفعال عباده وسيجازيهم عليها . .

أسئلة الاستيعاب :

١. لمّ أمر الله تعالى بكتابة الدين المؤجل ؟ وما حكم الكتابة ؟
٢. من الذي يتولى كتابة وثيقة الدين ؟ وما هي شروطه ؟
٣. من الذي يملي على كاتب الوثيقة ؟ وما الحكمة في ذلك ؟
٤. لمّ أمر الله بالإشهاد على الدين ؟ وما صفات الشهود ؟
٥. متى تطلب شهادة المرأة ؟ وبم عللت الآية شهادة امرأتين مع رجل ؟
٦. هل يجوز للشهود رفض الشهادة ؟
٧. لم أكد القرآن على كتابة الدين وإن كان صغيراً ؟
٨. ماذا استثنت الاية من الكتابة ؟
٩. أمرت الآية بالإشهاد على البيع ، ففي أي أنواع البيع ؟ وفي أي العبارات جاء ذلك ؟
١٠. ما معنى ﴿ **ولا يضار كاتب ولا شهيد** ﴾ ؟
١١. متى يقوم الرهن بدلاً عن الكتابة ؟
١٢. وهل الرهن مشروع في السفر ولا يجوز في الحضر ؟ وما الدليل ؟
١٣. ما حكم من يكتم الشهادة ؟ وما السبب ؟

سورة آل عمران
الآيات : (١٤-٢٠)
حب الناس للشهوات في الدنيا وثواب المتقين في الآخرة

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ
ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ
وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ
ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ
رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ
مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ
يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾
ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ
وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ

ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾

المفردات :

زين للناس : حُبب إليهم .

الشهوات : جمع شهوة وهي انفعال النفس بسبب الشعور بالحاجة إلى ما تستلذه .

المسوَّمة : المعلَّمة . وقيل : السائمة التي ترعى في المروج والمراعي .

القناطير : جمع قنطار ، وهو المال الكثير الذي يتوثق به في دفع الحاجة .

القانتين : الملازمين للطاعة مع الخضوع .

بالأسحار : جمع سحر وهو الوقت الذي يختلط فيه ظلام آخر الليل بضوء الصباح .

شهد الله : الشهادة عبارة عن الإخبار المقرون بالعلم والإظهار والبيان .

الدين : الشريعة المرضية عند الله تعالى .

بغياً : حسداً أو ظلماً .

المعنى :

﴿ **زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث** ﴾ هذه الأصناف المذكورة قد زين الله حبها للناس ، وغرزه في قلوبهم ، حتى صار غريزة عندهم ، ومن أحب شيئاً ولم يزين له يوشك أن ينفر منه ، ومن أحبه وزين له فلا يكاد يرجع عنه ولا يقبل فيه كلاماً . . ولقد عبر القرآن الكريم عن هذه الأشياء بالشهوة مبالغة في كونها مشتهاة مرغوب فيها ، وإيذاناً بشدة تعلق الناس بها ، وللإشارة إلى أنَّ حبها من طبيعة الإنسان الحيوانية فإن الشهوة من صفات البهائم ، حتى يعدل الإنسان في حبه لها . .

الإسلام دين ودولة ، وعمل واعتقاد ، واعتدال وتوسط ، فليس ديننا دين رهبنة ، وتقشف وزهد ، كما يفهم بعض الناس . فليس ممنوعاً حب هذه الأصناف ، ولكن الممنوع المبالغة والإسراف فيها حتى تطغى على الناحية الدينية ومظاهرها .

النساء والبنون زهرة الحياة ومتعة النفس ، وبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد ، والالتذاذ بهن أكثر ، ولكن إلى حد . قال ﷺ : " الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ، إذا نظر إليها سرته ، وإن أمرها أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله " وأما البنون فهم فلذة أكبادنا وقرة أعيننا . والقناطير المقنطرة والمراد بها المال الكثير ، وحبه غريزة في الإنسان لأنه يحصل به غالب الشهوات والمرء يرتكب الأخطار في تحصيله قال تعالى : ﴿ **وتحبون المال حباً جماً** ﴾ [الفجر: ٢٠] والذهب والفضة أصل التعامل ولذا خصا بالذكر، والمال يكون مذموماً إذا جعل صاحبه يطغى ويتكبر ويمنع حقوق الله والناس ، أما إذا أعطى به الحقوق وأدى الواجبات الدينية والوطنية فنعم المال هو عدة وصلة وقربى . . والخيل المسومة الراعية في المروج والمسارح ، والأنعام وهي الإبل والبقر والغنم ، فمنها المركب والمطعم والزينة ، والحرث أي الزرع والغِراس لأنَّ فيه تحصيل أقواتهم ، ﴿ **ذلك متاع الحياة الدنيا** ﴾ إنما هذه الشهوات زهرة الحياة الدنيا الفانية ﴿ **والله عنده حسن المآب** ﴾ أي المرجع الحسن وهو الجنة ، فهي الحق بالرغبة فيها لبقائها دون المتع الفانية .. يقول الدكتور عبد الحليم محمود : (إنَّ نظرة الإسلام إلى الدنيا أنها مزرعة الآخرة ،

وأنه إذا كانت كذلك فإنها حسنة ، ولذلك كان كثير من الصحابة من كبار الأغنياء ، وكان من هؤلاء من بشرهم الرسول ﷺ بالجنة ، وذلك لأنهم اتخذوا الدنيا مزرعة للآخرة ، وكانوا من الأغنياء الشاكرين ، والغني الشاكر هو الغني الذي يتصدق ويوالي ويحسن وثوابه عند الله عظيم . ﴿ **قل أؤنبئكم بخير من ذلكم** ﴾ قل لهم يا محمد : أأخبركم بما هو خير من زينة الحياة الدنيا ومتاعها ؟ وفي التعبير بخير إشارة إلى أن ما مضى من النساء والبنين الخ . . فيه خير بلا شك ، بشرط أن يستعمل في حقه ، ولا يطغى حبه على غيره وعلى العمل لوجه الله تعالى . والاستفهام للتقرير . ﴿ **للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ للمتقين يوم القيامة جنات فسيحات تجري من تحتها الأنهار ﴿ **خالدين فيها أبداً** ﴾ ماكثين فيها أبد الآباد ﴿ **ولهم فيها أزواج مطهرة** ﴾ من دنس الحيض والنفاس ، طاهرات من دنس الفواحش والشوائب . ﴿ **ورضوان من الله أكبر** ﴾ ولهم مع ذلك النعيم المادي نعيم روحيّ هو رضوان الله وهو أكبر وأعظم من كل نعمة ، وقد جاء في الحديث " أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً " أخرجه الشيخان .

﴿ **والله بصير بالعباد** ﴾ عليم بأحوالهم يعطي كلا بحسب ما يستحقه من العطاء ، ثم بين تعالى صفات هؤلاء المتقين فقال : ﴿ **الذين يقولون ربنا إننا آمنا** ﴾ إنهم الذين صدقوا بآيات الله التي نزلت على لسان رسوله ، وأعلنوا إيمانهم ، واتجهوا إلى الله في خضوع قائلين : ﴿ **فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار** ﴾ راجين غفران الذنوب بفضلك ورحمتك ، والوقاية من عذاب النار ﴿ **الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار** ﴾ أي الصابرين على البأساء والضراء ، والصادقين في إيمانهم وعند لقاء الأعداء، صادقين في أقوالهم وأفعالهم ، والقانتين والمداومين على الخشوع والضراعة ، والمنفقين الذين يبذلون أموالهم في وجوه الخير نفقة واجبة ومندوبة ، والمستغفرين بالأسحار أي وقت السحر ؛ لأنَّ العمل فيه شاق ، النفس فيه صافية، والدعاء مستجاب . قال ابن كثير : كان عبد الله بن عمر يصلي من الليل ، ثم يقول : يا نافع : هل جاء وقت السحر ؟ فإذا قال نعم أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح . .

ثم بين الله تعالى أنَّ دلائل الإيمان ظاهرة جلية فقال : ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو** ﴾ أي بين وأعلم تعالى عباده بانفراده بالوحدانية ﴿ **والملائكة وأولو العلم** ﴾ وشهدت الملائكة وأهل العلم بوحدانيته بدلائل خلقه وبديع صنعه ﴿ قائماً بالقسط ﴾ شهد هذه الشهادة حالة كونه مقيماً بالعدل في الدين والشريعة ، والكون والطبيعة ، وفي العبادات والآداب والمعاملات ، فالله قد أتقن نظام الكون ، وعدل بين القوى الروحية والمادية ، وكانت الأحكام الشرعية مبنية على أساس التوازن الصحيح بين الفرد والأمة ، وبين الفرد والخالق ، وبينه وبين نفسه وبينه وبين أخيه ، وبين الغني والفقير وهكذا . . ﴿ **لا إله إلا هو** ﴾ لا معبود في الوجود بحق إلا هو ﴿ العزيز الحكيم ﴾ العزيز في ملكه الحكيم في صنعه . ﴿ **إنَّ الدين عند الله الإسلام** ﴾ إنَّ الدين الذي ارتضاه الله وأحبه لعباده هو الإسلام، ولا شك أنَّ جميع الأنبياء والمرسلين لا يختلفون في جوهر الدين وهو الإسلام ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾ . ﴿ **وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم من العلم بغياً بينهم** ﴾ وما اختلف اليهود والنصارى في أمر الإسلام ونبوة محمد ﷺ إلا بعد أن علموا بالحجج الباهرة بأنَّ محمداً هو خاتم الأنبياء وهو المبشر به عندهم قال تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾ اختلفوا في شأنه حسداً من عند أنفسهم وبغياً منهم حملهم على حب الرياسة ﴿ **ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب** ﴾ وهذا وعيد وتهديد ، أي من يكفر بآيات الله الدالة على صدق رسله فإنه سيصير إلى الله وهو سريع المجازاة .

﴿ **فإنْ حاجوك فقل أسلمتُ وجهي لله** ﴾ فإن جادلوك في شأن الدين بعد أنْ جئتهم بالحق فقل لهم : إني قد استسلمت بكليتي لله ، وأخلصت عبادتي له وحده ، وأطعته وانقدت له معرضاً عما سواه ﴿ **ومن اتبعن** ﴾ أي أنا ومن معي من المؤمنين منقادون لأمر الله تعالى ﴿ **وقل للذين آتوا الكتاب والأميين** ﴾ وقل لليهود والنصارى والوثنيين من العرب ﴿ **أأسلمتم** ﴾ أم أنتم باقون على كفركم فقد أتاكم من البينات ما يوجب إسلامكم ﴿ **فإن أسلموا فقد اهتدوا** ﴾ فإن أسلموا لك فقد اهتدوا إلى الطريق المستقيم ﴿ **وإن تولوا فإنما عليك البلاغ** ﴾ وإن اعرضوا فلن يضروك لأنَّ الله لم يكلفك هدايتهم ، وإنما كلفك بالتبليغ فحسب ﴿ **والله بصير بالعباد** ﴾ أي عليم بحالهم وسيحاسبهم ويجازيهم . .

وهذه الآية من أصرح الأدلة على عموم بعثته صلى الله عليه وسلم للخلق كافة . وقد نطقت بذلك الآيات والأحاديث الصحيحة قال تعالى : ﴿ **قل يأيُّها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعاً** ﴾ وقال ﷺ : " والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديّ ولا نصرانيّ ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار " رواه مسلم . .

أسئلة الاستيعاب :

١. ما معنى زُيِّن ؟ ومن الذي زينها لهم ؟
٢. هل يحب الإنسان شيئاً وينفر منه ؟ ومتى يظل مصراً عليه لا يقبل فيه كلاماً ؟
٣. عبر القرآن الكريم عن هذه الأشياء بالشهوات لأمرين فما هما ؟
٤. هل يمنع الإسلام حب هذه الأشياء ؟
٥. ما الذي يمنعه الإسلام بالنسبة لهذه الأصناف ؟
٦. لم بدأت الآية في ذكر هذه المشتهيات بالنساء ؟ ثم ثنت بالبنين ؟
٧. ما المراد بالقناطير المقنطرة ؟ ولماذا يحبه الإنسان ؟
٨. متى يكون المال ممدوحاً ؟ ومتى يكون مذموماً ؟
٩. ما الخيل المسوّمة ؟
١٠. ما هي النظرة الصحيحة لمتاع الدنيا في نظر الإسلام ؟
١١. ﴿ **أؤنبئكم بخير من ذلكم** ﴾ ما الذي يدل عليه التعبير بخير ؟ وما المراد بالاستفهام ؟
١٢. بم وصف الله المتقين الذين أعدّ لهم الجنات وما فيها من النعيم ؟
١٣. ما معنى ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو** ﴾ ؟
١٤. بم شهد الملائكة وأولو العلم ؟
١٥. ما الذي تدل عليه الآية ﴿ **إنَّ الدين عند الله الإسلام** ﴾ ؟
١٦. متى اختلف اليهود والنصاري في أمر الإسلام ونبوة محمد ﷺ ؟
١٧. بم أمر النبي ﷺ أن يقول لأهل الكتاب إذا جادله ؟
١٨. هذه الآية صريحة في عموم رسالته ﷺ وضح ذلك ؟

سورة آل عمران
الآيات : (١٦٤ – ١٦٨)
مواقف في غزوة أحد

لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ
عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ
مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم
مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ
وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَـٰتِلُواْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْ ۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ
لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ
فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ
وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ
إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾

المفردات :

مَنّ : من المنة : الإنعام والإحسان . أي تفضل وأنعم .
يزكيهم : يطهرهم من أدران الوثنية وزائف العقائد .
مصيبة : ما أصابهم يوم أحد من الهزيمة وقتل سبعين من المسلمين .
أنّى هذا ؟ : من أين لنا هذا الخذلان ؟ وهو تركيب يفيد التعجب .
فادرأوا : فادفعوا .

المعنى :

﴿ **لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم** ﴾ والله لقد أنعم الله على المؤمنين حين أرسل إليهم رسولاً عربياً من جنسهم عرفوا أمره، وخبروا شأنه ﴿ **يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾ ووجه المنة والإحسان : أنه ، صلوات الله وسلامه عليه ، يتلو عليهم القرآن الكريم : كتاب الله الخالد المعصوم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ويسلك بهم طريق تزكية النفس وطهارة القلب من الذنوب ، ويعلمهم ما أوحاه الله إليه ، ويعلمهم السنة التي ألهمه الله تعالى إياها . ﴿ **وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ فنقلوا بهذا الدين من الجاهلية التي كانوا عليها إلى الإسلام ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الجهل إلى العلم ، وقد كانوا من قبل بعثته ﷺ في جهالة أخلاقية ، وفي جهالة علمية واضحة . وقد اتسم الإسلام منذ ميلاده بسمة العلم : ﴿ **وقل ربي زدني علماً** ﴾ وهذه الآية إحدى شعارات المسلم : ومن استوى يوماه فهو مغبون ، ومن لم يكن إلى زيادة فهو إلى نقصان ، وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ وإن مداد العلماء المتقين ليوزن في ميزان الخير والحسنات ، فيرجح مداد العلماء .

﴿ **أولما أصابتكم مصيبة** ﴾ أفي شرعة الحق أنه حين أصابتكم مصيبة : هي قتل سبعين منكم يوم أحد ﴿ **قد أصبتم مثليها** ﴾ يوم بدر ، إذ قتلتم سبعين واسرتم سبعين ﴿ **قلتم أنّى هذا** ﴾ ؟ تسألون مستنكرين من أين هذا البلاء ؟ ومن أين جاءتنا هذه الهزيمة وقد وعدنا الله بالنصر ؟ ونحن مسلمون وهم مشركون ؟ ﴿ **قل هو من عند أنفسكم** ﴾ قل لهم يا محمد : إنكم أنتم السبب في ذلك

بعصيانكم أمر الرسول ﷺ ، فهو درس لكم ، لعلكم تتبصرون فيه ، حتى لا تعودوا لمثله ﴿ **إنَّ الله على كل شئ قدير** ﴾ فهو ينصركم حين تستحقون النصر، ويخذلكم حين تستحقون الخذلان ﴿ **وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله** ﴾ وما أصابكم يوم أحد يوم التقى جمع المسلمين وجمع المشركين فإنما هو بعلم الله وبتقديره وبحكمته ﴿ **وليعلم المؤمنين** ﴾ وذلك ليظهر الله المؤمنين في وضعهم اليقيني ﴿ **وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا** ﴾ وليظهر أهل النفاق كعبد الله بن أبي سلول وأصحابه في وضعهم المذبذب ، وقد ظهر المنافقون على حقيقتهم ، فإنهم حينما قيل لهم : تعالوا ، فقاتلوا في سبيل الله ، أو قاتلوا دفاعاً عن أرضكم تمحلوا المعاذير ، ﴿ **قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم** ﴾ قال المنافقون لا قتال في هذا اليوم ، ولو نعلم أنه سيجري قتالاً لاتبعناكم وقاتلنا معكم ﴿ **هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان** ﴾ إنهم بموقفهم هذا ونكوصهم عن القتال ، أقرب إلى الكفر منهم للإيمان ، وما اعتذروا به إنما كان كلاماً ﴿ **يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم** ﴾ ينطقون بألسنتهم كلمات الاعتذار ، وقلوبهم معرضة كل الإعراض عن الجهـاد ﴿ **والله أعلم بما يكتمون** ﴾ أي ما يخفونه من الشرك والنفاق ﴿ **والذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا** ﴾ وليعلم الله ويظهر أيضاً المنافقين الذين قالوا لإخوانهم ومن على شاكلتهم ، وقد قعدوا عن القتال ، لو أطاعنا المؤمنون وسمعوا نصيحتنا فرجعوا كما رجعنا ما قتلوا هنالك، كأنهم حصروا أسباب الموت والهلاك في ذهابهم إلى ساحة القتال . . . تباً لهؤلاء الجبناء الرعاديد ألم يعلموا أنَّ كثيراً ممن يذهب إلى القتال ينجو، ومن يتخلف يموت، وهل سبب الموت القتال فقط ؟ ﴿ **قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إنْ كنتم صادقين** ﴾ قل لهم يا محمد : إنْ كان عدم الخروج للجهاد ينجي من الموت ، فادفعوا عن أنفسكم الموت حين ينزل بكم إنْ كنتم صادقين بأنَّ الحذر ينجي من القدر . . والغرض من الأمر التوبيخ والتبكيت . وأن الموت آتٍ إليكم كما قـال الله تعالـى : ﴿ **أينمـا تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة** ﴾ [النساء : ٧٨] ﴿ **وإنَّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون** ﴾ [نوح : ٤] .

أسئلة الاستيعاب :

١. ما معنى : منَّ ؟
٢. ما وجه المنة والإحسان ؟
٣. ما شكل الضلال الذي كانوا فيه قبل بعثته ﷺ ؟
٤. من الذين وجه إليهم الخطاب بقوله تعالى : ﴿ **أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها** ﴾ ؟ وما المصيبة التي أصابتهم ؟
٥. ﴿ **قلتم أنى هذا** ﴾ ما المراد بهذا التساؤل ؟ وما هو الجواب عليه ؟
٦. ما المراد بيوم (الجمعان) ؟ . . وما معنى : فبإذن الله ؟
٧. ما الحكمة فيما حصل للمسلمين في غزوة أحد ؟
٨. ماذا قال المنافقون حين قيل لهم : وقاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا ؟
٩. بم وصفهم الله ؟ ومع من حدد موقعهم فضمهم إليهم ؟ ولماذا ؟
١٠. ما معنى : ﴿ **الذين قالوا لإخوانهم – وقعدوا – لو أطاعونا ما قتلوا** ﴾ ؟ من هم القائلون ؟
١١. بم رد الله تعالى عليهم في قولهـــم هذا ؟ وما الغرض من الأمر في هذا الرد ؟

سورة آل عمران
الآيات : (١٦٩ – ١٧٥)
منزلة الشهداء وفضل الاستجابة لله وللرسول

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ
يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ
لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ
ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ
ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا
وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ
وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ
عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ
وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

المفردات :

يستبشرون : الاستبشار : السرور الحاصل بالبشارة .
لم يلحقوا بهم من خلفهم : المراد بهم المقاتلون في سبيل الله ولم يستشهدوا .
القرح : الألم الشديد والمراد به ما حصل يوم أحد .
أحسنوا : الإحسان إتقان العمل على أكمل وجه .
واتقوا : أخذوا الوقايـــة من عذاب الله ، وخافوا الإســـاءة والتقصير في العمل .
حسبنا : كافينا. مأخوذ من الإحساب بمعنى الكفايـــة . قال الشاعر وحسبك من غنى شبع وريّ .

سبب النزول :

روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ " لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ، وحسن مقيلهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا ، فقال الله تعالى : " أنا أبلغهم عنكم " فنزلت هذه الاية .

المعنى :

﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً** ﴾ نهى الله عز وجل في هذه الآية عن ظن الموت بالشهداء ، فلا تظنن أيها المخاطب والسامع إنَّ الذين جاهدوا في سبيل الله وقاتلوا واستشهدوا ، أمواتاً لا يبعثون ولا يجازون على ما قدموا. لا ﴿ **بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ بل هم أحياء بعد استشهادهم مكرمون عند ربهم في جنات الخلد ، يرزقون مثل ما يرزق سائر الأحياء ، يأكلون ويشربون ، هم أحيـــاء عند ربهم حياة مؤكدة ثابتـــة بدليل قولـــه تعالى ﴿ **يرزقون** ﴾ .

إنَّ مكانة الشهيد عند الله عظيمة جداً ، تصورها الأحاديث والآيات القرآنية الكثيرة ، فمن ذلك : أنَّ حارثة بن سراقة كان قد استشهد في غزوة بدر، فأتت أمه وهي أم الربيع بنت البراء – إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول

الله ، ألا تحدثني عن حارثة ؟ فإنْ كان في الجنة صبرت ، وإنْ كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء . فقال ﷺ : " يا أم حارثة إنها جنان ، وإنَّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى " . رواه البخاري . ويحدث ابن كثير أنَّ رسول الله ﷺ ، لما رأى جابر بن عبد الله مهتماً لاستشهاد أبيه في غزوة أحد ، قال له مطمئناً ومبشراً : " ألا أخبرك ما قال الله لأبيك " ؟ قال جابر : بلى . قال ﷺ : " ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحاً " أي مواجهة ، قال : سلني أعطك. قال أسألك أنْ أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية. فقال الرب عز وجل: إنه سبق مني القول بأنهم إليها لا يرجعون. قال : أي ربّ فأبلغ من ورائي (أي أبلغهم هذه النعمة الكبرى في الجنة التي يتقلب فيها الشهيد) فأنزل الله تعالى هذه الآية (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ..) رواه ابن مردوية والبيهقي.

إنَّ حياة الشهداء التي أكدها القرآن حياة غيبية . ولم يبين القرآن هنا هل حياة الشهداء هذه في البرزخ يدرك أهل الدنيا حقيقتها أو لا ؟ ولكنه بيَّن في سورة البقرة أنهم لا يدركونها بقوله : ﴿ **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون** ﴾ لأن نفي الشعور يدل على نفي الإدراك من باب أولى . . ﴿ **فرحين بما آتاهم الله من فضله** ﴾ أي فرحين بما حباهم الله من فضل وكرامة ، وهذا التفضيل مجمل ، تفصيله ما بعده . أي فضل يعود على إخوانهم في الحرب ، وفضل يعود عليهم في أنفسهم ، وهو الخاص بهم في دار الكرامة. ﴿ **ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم** ﴾ أي يفرحون بإخوانهم المجاهدين الذين لم يحظوا بعد بشرف الاستشهاد ، حينما رأوا ما أعد من الجزاء الأوفى لهم ، وهو حياة أبدية ، ونعيم دائم ﴿ **ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ لا يكدر هذا النعيم خوف من وقوع مكروه ، ولا حزن على فوات محبوب. ﴿ **يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأنَّ الله لا يضيع أجر المؤمنين** ﴾ كرر البشارة تأكيداً لفرحهم ليذكر ما تعلق به من النعمة والفضل ، والمعنى : يفرحون بما حباهم الله تعالى من عظيم كرامته ، وبما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب ، فالنعمة ما استحقوه بطاعتهم ، والفضل ما زادهم من المضاعفة في الأجر . . ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح** ﴾ الذين أطاعوا الله وأطاعوا الرسول من بعد ما نالهم من الجراح والألم الشديد في غزوة أحد . ولبو نداء الرسول ﷺ ، حينما طلبهم للقاء أبي سفيان وصحبه في

(حمراء الأسد) . وذلك أنَّ المشركين لما أصابوا من المسلمين في أحد ، كروا راجعين إلى بلادهم ، ثم ندموا وهموا بالرجوع لاستئصال المؤمنين في المدينة ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ندب المسلمين للذهاب وراءهم ليرعبهم، وليريهم أنَّ بهم قوة وجلداً، وبلغت ثقة الرسول ﷺ في نصر الله أنه لم يأذن بالذهاب لملاقاة العدو إلا لمن حضر أحداً فقط اللهم إلا لجابر بن عبد الله الذي قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله إني أحب ألا تشهد مشهداً إلا كنت معك .وأجاب المسلمون دعوة الرسول ﷺ على ما بهم من الجراح والإثخان. وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد . ولما علم المشركون بذلك قالوا : نرجع من قابل . وساروا في طريقهم إلى مكة ، وأنزل الله سبحانه ﴿ **ويستبشرون بنعمة من الله وفضل ...** ﴾ إلى ﴿ **واتقوا أجر عظيم** ﴾ .

وإذا كان الإيمان بالله والثقة فيه قد دفعت المسلمين إلى هذه المواقف الخالدة فإنَّ مما يزيد ذلك وضوحاً ما رواه ابن هشام بخصوص موقف المسلمين في أحد بعد المعركة ثاني يوم فيها . قال : مرّ بأبي سفيان ركب من عبد القيس فقال لهم أبو سفيان : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة. قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة . قال : هل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكلٍّ في مقابل ذلك زبيباً بعكاظ إذا وافيتمونا ؟ قالوا : نعم. قال : إذا وافيتم محمداً فاخبروه أنا قد جمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم. ومرّ الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه ، فكان رد الفعل عند رسول الله ﷺ وأصحابه ما صوره الله تعالى بقوله : ﴿ **الذين قال لهم الناس إنَّ الناس قد جمعوا لكم . .** ﴾ إلى ﴿ **والله ذو فضل عظيم** ﴾ ﴿ **وللذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم** ﴾ لمن أطاع أمر الرسول ﷺ وأجابه للغزو – على ما به من جراح وشدائد – الأجر العظيم ، والثواب الجزيل .

﴿ **الذين قال لهم الناس إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم** ﴾ المراد بالناس نعيم بن مسعود الذي طلب منه أبو سفيان تثبيط المؤمنين مقابل عشرة من الإبل يدفعها إليه فقال للرسول ﷺ وأصحابه إنَّ قريشاً قد جمعت لكم جموعاً لا تحصى ، فخافوا على أنفسكم ولا تخرجوا إليهم ﴿ **فزادهم إيماناً** ﴾ فزادهم

تخويفه إيماناً بالله ، وثقة به ويقيناً في دينه من حيث خافوه ولم يخافوا الناس واعتمدوا على عونه وحده كقوله تعالى : ﴿ **ولمـــا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنـــا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً** ﴾. [سورة :] . ﴿ **وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ وقال المؤمنون : كافينا الله ، ومتولي أمرنا ، ونعم الملجأ والنصير لمن توكل عليه جل وعلا . وفي الحديث : " إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل " . ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء** ﴾ فرجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر ، والربح في التجارة حيث أصابوا بالدرهم درهمين ولم ينلهم مكروه أو أذى ﴿ **واتبعوا رضوان الله** ﴾ ونالوا رضوان الله الذي هو سبيل سعادة الدارين ﴿ **والله ذو فضل عظيم** ﴾ ذو إحسان عظيم على عباده .

﴿ **إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه** ﴾ إنما ذلكم المثبط لكم هو الشيطان يخوف أولياءه وهم الكفار لترهبوهم فلا تخرجوا للقائهم ﴿ **فلا تخافوهم وخافون إنْ كنتم مؤمنين** ﴾ فلا ترهبوهم فإني متكفل لكم بالنصر عليهم ولكن خافوا أنْ تعصوا أمري فتهلكوا ، إذ الخوف من الله وحده هو مقتضى الإيمان الحق .

أسئلة الاستيعاب :

١. ما سبب نزول الآية الكريمة ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً** ﴾ ؟ وما معناها ؟
٢. هات دليلاً من السنة على مكانة الشهداء عند الله تعالى .
٣. ماذا قال ﷺ لجابر حين رآه مهتماً لاستشهاد أبيه ؟
٤. هل يدرك أهل الدنيا حياة الشهداء في البرزخ ؟
٥. ﴿ **فرحين بما آتاهم الله من فضله** ﴾ فبماذا يتمثل هذا الفضل ؟
٦. ﴿ **يستبشرون بنعمة من الله وفضل** ﴾ ما الفرق بين النعمة والفضل ؟
٧. ما المقصود بقوله تعالى : ﴿ **من بعد ما أصابهم القرح** ﴾ ؟
٨. ما سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **الذين قال لهم الناس إنَّ الناس قد جمعوا لكم** ﴾ ؟
٩. ماذ كان موقف المؤمنين حين بلغهم ما قال عدوهم ؟
١٠. ماذا كان نتيجة موقفهم هذا ؟
١١. ما مصدر التثبيط والتخويف من لقاء العدو ؟ وما علاج ذلك ؟

سورة النساء
الآيات : (٣٦ – ٤٢)
الإحسان إلى الوالدين والجار والنهي عن البخل

وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ

بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾

المفردات :

اليتامى : من فقدوا آباءهم قبل البلوغ وهم محتاجون .
المساكين : المسكين الذي له مال لا يكفيه .
الجار ذي القربى : الجار صاحب القرابة في النسب أو المكان .
الجار الجنب : البعيد مكاناً . وقيل : الذي لا قرابة في النسب بينه وبين جاره .
الصاحب بالجنب : الرفيق في أمر حسن ، كتعلم وتجارة وسفر . وهو الذي يصحبك ويكون بجنبك وجوارك .
ابن السبيل : المسافر الذي انقطع به الطريق عن أهله ووطنه ، وقد فرغت نفقته .
مختالاً : ذو الخيلاء والكبر الذي يظهر تكبره في أفعاله وأعماله .
فخوراً : المتكبر الذي يعدد محاسنه وأعماله تعاظماً وتعالياً .
رئاء الناس : للرياء والسمعة .
مثقال : أصله المقدار الذي له ثقل ، ثم أطلق على المعيار المخصوص للذهب (ذرة) أصغر ما يدرك من الأجسام ومثقال الشئ : ميزانه من مثله .

المعنى :

﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً** ﴾ عبادة الله سبحانه وتعالى هي الخضوع له غاية الخضوع مع إشعار القلب بتعظيم الله وإجلاله في السر والعلن، والخشية منه وحده . والله تبارك وتعالى يأمر بعبادته وحده مخلصين له الدين ، فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته ، فيكون العمل لله وحده كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل : " أتدري ما حق الله على العباد ؟ " قال الله ورسوله أعلم . قال : " أنْ يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . ثم أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ أنْ لا يعذبهم . " ﴿ **وبالوالدين إحساناً** ﴾ ثم أوصى بالإحسان إلى الوالدين : فإنَّ الله جعلهما سبباً لخروجك من العدم إلى الوجود ، وكثيراً ما يقرن الله سبحانه بين عبادته والإحسان إلى الوالدين كقوله ﴿ **أن أشكر لي والوالديك** ﴾ وكقوله ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً** ﴾ فلا تقصروا – معاشر الأبناء – في حقوقهما ، وقوموا بخدمتهما كما يجب من غير تأفف أو تألم ، قال تعالى : ﴿ **فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ◊ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً** ﴾ ﴿ **وبذي القربى** ﴾ وأحسنوا إلى ذوي القرابات من الرجال والنساء كالأخ والأخت والعم والخال وأبنائهما . فإنَّ الإنسان إذا أحسن إلى الوالدين والأقارب تكونت أسرة قوية متعاونة متساندة ، وهي نواة المجتمع ، ومنها تتكون الدولة ﴿ **واليتامى** ﴾ لأنهم فقدوا من ينفق عليهم ويقوم بمصالحهم ، فأحسنوا إليهم ، واعطفوا عليهم ﴿ **والمساكين** ﴾ لأنهم محتاجون لا يجدون ما يقوم بكفايتهم فساعدوهم بما تزول به حاجتهم وتتم به كفايتهم . ﴿ **والجار ذي القربى والجار الجنب** ﴾ وأحسنوا إلى الجار القريب ، إذ له عليكم حق الجوار ، وحق القرابة ، وحق الإسلام . والجار البعيد عنكم في النسب أو الدار ، وقيل : المراد به الجار ولو كان كافراً فقد روى أنَّ النبي ﷺ كان يعطف على جار له يهودي ، ويزور ابنه . وقد قال الرسول ﷺ : " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " متفق عليه . " ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره " ﴿ **والصاحب بالجنب** ﴾ وهو الذي صحبك إما رفيقاً في سفر أو جاراً ملاصقاً أو شريكاً في تعلم علم ، أو قاعداً جنبك في

مجلس أو غير ذلك ممن له أدنى صحبة التأمت بينك وبينه . فعليك أنْ تراعي ذلك الحق ولا تنسه وقيل هي المرأة . . ﴿ **وابن السبيل** ﴾ المنقطع في سفره عن أهله وماله ، واللقيط من باب أولى . ﴿ **وما ملكت أيمانكم** ﴾ عبيدكم وإمائكم أحسنوا إليهم بالعتق أو بالمساعدة عليه بالمال ، وإذا كلفتموهم بعمل فأعينوهم على أعمالهم ، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون ، وأطعموهم مما تطعمون ، وأسقوهم مما تشربون فإنهم إخوانكم ، وهكذا يعامل الإسلام الأرقاء ، لأنَّ الأصل في الإنسان الحرية ، والرق إنما هو أمر طارئ على حرية الإنسان سببه الكفر . ﴿ **إنَّ الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً** ﴾ فهذه الجملة علة لما قبلها، في الإمتثال ، إن الله لا يحب كل متكبر في نفسه يأنف عن أقاربه وجيرانه ، وكل فخور على الناس مترفع عليهم ، يرى أنه خير منهم . . وهذه آية جامعة جاءت حثاً على الإحسان ، واستطراداً لمكارم الأخلاق ، ومن تدبرها حق التدبر أغنته عن كثير من مواعظ البلغاء ونصائح الحكماء .

ولقد فسر القرآن الكريم المختالين الفخورين بأنهم ﴿ **الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل** ﴾ أي يمنعون ما أوجب الله عليهم من الإنفاق فيما أمرهم الله به من بر الوالدين والإحسان إلى الأقارب ومن ذكروا في الآية السابقة ، وفي سبيل الله ، ولا يدفعون حق الله في هذه الأموال ، ويأمرون الناس بالبخل وبترك الإنفاق . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، كان جماعة من اليهود يأتون رجالاً من الأنصار ينصحون لهم فيقولون : لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون ما يكون . . ويشمل البخل في الآية البخل بالمال وبالإحسان في الكلام وبالنصيحة . وقد قال ﷺ : " إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا " .

﴿ **ويكتمون ما آتاهم الله من فضله** ﴾ كالعلم والمال فهم يخفون ما عندهم من المال والغنى ، ويخفون نعت رسول الله ﷺ الموجود في التوراة . ﴿ **واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً** ﴾ وهيأنا لهؤلاء الجاحدين بسبب كبرهم وبخلهم، وكتمانهم الحق ، وعدم شكرهم لله ، عذاباً يهينهم ويذلهم . وقد سماهم الله كفاراً للإشارة إلى من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله ، ومن كان كافراً بنعمة الله فله عذاباً يهينه كما أهان النعمة بالبخل والإخفاء .

﴿ **والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس** ﴾ أي للرياء والسمعة وأنْ يمدحوا بالكرم ، وفي الحديث أنَّ رسول الله ﷺ قال لعدي بن حاتم : " إنَّ أباك أراد أمراً فبلغه " . لا شكراً لله على نعمه ، ولا اعترافاً لعباده بحق ﴿ **ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر** ﴾ فهم لا يؤمنون بالله تعالى الإيمان الصحيح لأنَّ المؤمن الكامل الإيمان لا ينفق رياء ، بل لله تعالى ، ولا يؤمنون باليوم الآخر لأنهم لو آمنوا به لعملوا لهذا اليوم وما راءُوا أحداً ، الآية نزلت في المنافقين ﴿ ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴾ من كان الشيطان صاحباً له يعمل بأمره فبئس هذا الصاحب ولهذا قال الشاعر :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

﴿ **وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله** ﴾ أيّ ضرر كان يلحقهم ؟ وأي تبعة ووبال عليهم لو آمنوا حقيقة بالله ، وعملوا لليوم الآخر الذي فيه الجزاء وآمنوا به ، وأنفقوا مما رزقهم الله ابتغاء رضوانه وامتثالاً لأمره ؟ وهذا الأسلوب للتعجب من حالهم ، إذ هم لو أخلصوا العمل لله لما فاتهم ما يطلبون من منافع الدنيا والآخرة ، فحالهم حقيقة جديرة بالعجب العجاب ﴿ **وكان الله بهم عليماً** ﴾ وسيجازيهم على أعمالهم . فعلى المؤمن أن يعتقد أنَّ الله يراه ويحاسبه على عمله فإنْ لم يكن يرى الله فإنَّ الله يراه . ﴿ **إنَّ الله لا يظلم مثقال ذرة** ﴾ . الله ﴿ **جل جلاله** ﴾ متصف بكل كمال ، ومنزه عن كل نقص ، ومن النقص الظلم ، ومن الظلم أنْ ينقص أحداً من أجر عمله شيئاً ولو بسيطاً جداً ، أو يعاقب أحداً مهما كان بغير ما يستحق ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ ولو كان وزن ذرة وهي الهباءة التي ترى في ضوء الشمس إذا دخل من نافذة . وهي مثل ضربه الله لأقل الأشياء ﴿ **وإنْ تك حسنة يضاعفها** ﴾ وإنْ كانت تلك الذرة حسنة ينمها ويضاعفها أضعافاً كثيرة ، قال تعالى : ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها** ﴾ [الأنعام : ١٦٠] ثم يضاعف الله بعد ذلك لمن يشاء ﴿ **ويؤت من لدنه أجراً عظيماً** ﴾ أي يعط من عنده تفضلاً وزيادة على ثواب العمل أجراً عظيماً وهو الجنة . إذا كان هذا هو النظام العام في الثواب والعقاب ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾ ؟ فكيف يكون حال الكفار والفجار إذا جاء يوم القيامة وجئنا بكل نبي

يشهد على أمته ؟ وكيف إذا جئنا بك يا محمد على العصاة والمكذبين من أمتك تشهد عليهم بالجحود والعصيان ؟ كيف يكون موقفهم ؟ والاستفهام للتوبيخ والتقريع . روى البخاري عن ابن مسعود أنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : " اقرأ عليّ " قلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : " نعم ، أحب أنْ أسمعه من غيري " فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الاية ﴿ فكيف إذا جئنا ﴾ فقال رسول الله ﷺ : " حسبك الآن " فإذا عيناه تذرفان . . فانظر كيف بكى النبي ﷺ لهذا اليوم .

﴿ **يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول** ﴾ في ذلك اليوم العصيب يتمنى الفجـــار الذين جحدوا وحدانية الله وعصوا رسوله ﴿ **لو تسوّى بهم الأرض** ﴾ أنْ يدفنوا في الأرض ثم تسوّى بهم كما تسوّى بالموتى ، أو لو تنشق الأرض فتبتلعهم . وأظهر الأقوال أنهم يتمنون أنْ يستووا بالأرض فيكونوا تراباً مثلها ﴿ **يوم ينظر الكافر ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً** ﴾ وذلك لما يرون من أهوال يوم القيامة . ﴿ **ولا يكتمون الله حديثاً** ﴾ أي لا يستطيعون أنْ يكتموا لله حديثاً ولا يكذبون . وقد بين الله تعالى في موضع آخر أنّ عدم الكتم هنا إنما هو باعتبار إخبار أيديهم وأرجلهم بكل ما عملوا عند الختم على أفواههم إذا أنكروا شركهم ومعاصيهم ، وهو قوله تعالى ﴿ **اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون** ﴾ [يس : ٦٥] .

أسئلة الاستيعاب :

١. أمر الله تعالى بعبادته . فما معنى العبادة ؟ وما الذي نهى عنه الله تعالى ؟
٢. سأل الرسول ﷺ معاذ بن جبل قائلاً : " أتدري ما حق الله على العباد ؟ " فقال الله أعلم . فبما أجاب الرسول ﷺ ؟ وما العلاقة بين هذه الإجابة وبين الآية الكريمة ؟
٣. وسأله عليه الصلاة والسلام أيضاً : " أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه " ؟ فماذا كانت إجابته ﷺ ؟
٤. أمر الله تعالى بالإحسان للوالدين . فما المراد بالإحسان إليهما ؟

٥. كثيراً ما يقرن القرآن الكريم بين عبادة الله والإحسان للوالدين . فلماذا ؟
٦. من اليتامى ؟ ومن المساكين ؟ وماذا يجب علينا نحوهم ؟
٧. أمر الله تعالى بالإحسان للجار . فبم وصفه ؟ وما هي حقوق الجار ؟
٨. من الصاحب الجنب ؟ ومن ابن السبيل ؟ وماذا يجب لهما ؟
٩. ما علاقة قوله تعالى ﴿ **إنَّ الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً** ﴾ بما قبله ؟
١٠. فسر الله تعالى المختال الفخور بما بعده . فما هي الأوصاف التي جاءت في هذا التفسير ؟
١١. فيمن نزلت الآية ﴿ **ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً** ﴾ ؟ وما معناها ؟
١٢. ما الذي يفيده أسلوب الآية : ﴿ **وماذا عليهم لو آمنوا بالله . .** ﴾ الآية ؟
١٣. نفى الله تعالى الظلم عن نفسه . فماذا يعني ذلك ؟ وما مثقال الذرة ؟
١٤. ما معنى ﴿ **وإنْ تك حسنة يضاعفها . . .** ﴾ الآية ؟ وما الأجر العظيم ؟
١٥. ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ... الاية** ﴾ ؟

سورة التوبة
الآيات : (١٠٣ – ١١٠)
قبول التوبة والصدقات ، والدعوة إلى العمل الصالح
وقصة مسجد الضرار

خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ

مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ
وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ
مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ
فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا
يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

المفردات :

سكن : السكن : ما تسكن إليه النفوس وتطمئن إليه من أهل ومال ومتاع. والمراد اطمئنانهم بقبول توبتهم .

الغيب : ما غاب . . . الشهادة : ما حضر .

صدقة : مأخوذة من الصدق إذ هي دليل على صحة إيمانه وصدق باطنه مع ظاهره .

مرجون : الإرجاء : التأخير . يقال أرجأته : أي أخرته .

ضراراً : الضرر الذي لك فيه منفعة وعلى غيرك مضرة . والضرار الذي ليس لك فيه منفعة وعلى غيرك المضرة . وعلى هذا شرح الحديث " لا ضرر ولا ضرار ".

إرصاداً : ترقباً وانتظاراً .
أسِّس : التأسيس وضع الأساس الأول الذي يقوم عليه البناء .
شفا : الشفا : الحرف والحد والشفير. ومنه أشفى على كذا ، إذا دنا منه.
جرف : ما يبقى على أطراف الوادي من طين مشرف على السقوط عندما تجرف السيول الوادي .
هارٍ : ضعيف متساقط .
ريبة : شك وحيرة .

سبب النزول :

في هذه المجموعة من الآيات : تذكرة قبل بيان المعنى العام لعله يعيننا على فهم معانيها .

أولاً : قول الله تعالى : ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أنْ يتوب عليهم إنَّ الله غفور رحيم** ﴾ قال ابن عباس – رضي الله عنهما – إنها نزلت في أبي لبابة وجماعة من أصحابه تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوته ربطوا أنفسهم بسواري المسجد ، وحلفوا لا يحلهم إلا رسول الله ﷺ فلما أنزل الله هذه الآية أطلقهم رسول الله ﷺ وعفا عنهم . وهذه الآية تسبق الآية الأولى من هذه المجموعة .

ثانياً : قول الله تعالى : ﴿ **وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم . .** ﴾ الآية . وقد روي أنها نزلت في الثلاثة الذين خلفوا أي أجل إعلان توبتهم . وهم مرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، تخلفوا عن الغزوة كسلاً مع الهمّ باللحاق به ﷺ فلم يتيسر لهم ، فلما قدم النبي ﷺ من تبوك وكان قد نزل ما نزل في المتخلفين قالوا : لا عذر لنا إلا الخطيئة ، ولم يعتذروا كأصحاب السواري ، فأمر الرسول ﷺ باجتنابهم إلى أن نزلت الآيتان ١١٧ و ١١٨ ﴿ **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين** ﴾ . وكانت مدة وقفهم خمسين ليلة بقدر مدة التخلف ، إذ كانت مدة غيبته ﷺ عن المدينة خمسين ليلة . فلما تمتعوا

بالراحة فيها مع تعب إخوانهم في السفر عوقبوا بهجرهم ووقفهم تلك المدة .

ثالثاً : قول الله تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً . . .** ﴾ الآيات.

روى ابن كثير ما ملخصه : أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو عامر الراهب ، كان قد تنصر في الجاهلية ، وله شرف في الخزرج كبير . فلما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة واجتمع عليه المسلمون ، وأظهرهم الله يوم بدر ، اغتاظ أبو عامر ، وظاهر بالعداوة ، وخرج فارّاً إلى كفار مكة يمالئهم على حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا وقدموا عام أحد ، كان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ وأصيب في ذلك اليوم فجرح وجهه وكسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج رأسه . وتقدم في أول المبارزة – أبو عامر – إلى قومه من الأنصار فخاطبهم واستمالهم إلى نصره ، فقالوا له : لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق يا عدو الله . وسبوه فرجع وهو يقول : والله لقد أصاب قومي بعدي شر .. ولما فرغ الناس من أحد ورأى أمر الرسول ﷺ في ارتفاع وظهور ، ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ فوعده ومناه .. وكتب إلى جماعة من قومه من أهل النفاق يعدهم ويمنيهم أنه سيأتي بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ، وأمرهم أنْ يتخذوا له معقلاً يكون مرصداً لهم إذا قدم عليهم، فبنوا المسجد وأحكموه ، وجاءوا إلى رسول الله ﷺ ، قبل خروجه لغزوة تبوك وطلبوا منه أن يصلي لهم فيه ، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشاتية . فقال لهم رسول الله ﷺ : " إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إنْ شاء الله " . فلما قفل راجعاً من تبوك ، ولم يبق بينه وبين المدينة إلا يوم ، أو بعض يوم ، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضرار ، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين المؤمنين في مسجد قباء الذي أسس على التقوى من أول يوم ، والإرصاد لمن حارب الله ورسوله . فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من حرقه قبل مقدمه المدينة . . وكان الذين اتخذوا المسجد اثنا عشر رجلاً ذكرتهم الروايات بأسمائهم .

المعنى :

أمر الله تعالى رسوله ﷺ ، بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم بها من الذنوب والأوضار فقال ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ أي خذ يا محمد وكذا كل إمام للمسلمين وحاكم – خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا بذنوبهم صدقة تطهرهم من دنس البخل، وشح النفس ولؤم الطبع، وقسوة القلب ، وتنمي بها نفوسهم على حب الخير ، وتزرع في قلوبهم شجر العطف على الفقير والضعيف المحتاج ، بهذا تنمو النفس وترتفع إلى الدرجات العلا . . وليس المراد الأخذ من أموال هؤلاء المعترفين بذنوبهم فقط ، بل من أموال المسلمين جميعاً ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ﴿ **وصلِّ عليهم إنَّ صلاتك سكن لهم** ﴾ وادع لهم بالمغفرة والخير ، فإنَّ دعاءك طمأنينة لنفوسهم من الاضطراب ، واستغفارك اطمئنان لقلوبهم ، وارتياح إلى قبول توبتهم ، ﴿ **والله سميع** ﴾ لكل قول ومجاز عليه ﴿ **عليم** ﴾ بكل نية وقصد ، وبما فيه الخير والمصلحة . .

﴿ **ألم يعلموا أنَّ الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات** ﴾ هذا حث على التوبة ، والصدقة اللتين كل منهما يحط الذنوب ويمحصها ويمحقها ، وقد أخبر تعالى أنَّ كل من تاب إليه مخلصاً تاب عليه ، ومن تصدق بصدقة مخلصاً النية من كسب حلال فإنَّ الله يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها ، كما جاء في الحديث " إنَّ الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره ، حتى إنَّ اللقمـــة لتكون مثل أحد " . ﴿ **وأنَّ الله هو التواب الرحيم** ﴾ أي وأنَّ الله وحده هو كثير قبول التوبة من التائبين وكثير الرحمة لعباده . . ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ الخطاب بقل للرسول ﷺ أنْ يأمرهم بالعمل، وصيغة الأمر ﴿ **اعملوا** ﴾ متضمنة للوعيد، أي اعملوا ما شئتم من الأعمال ، فأعمالكم لا تخفى على الله وسيجازيكم عليها ، وسيرى الرسول ﷺ والمؤمنون وستعرض يوم الحساب على الرسول وعلى المؤمنين . وقد ورد أنَّ أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ ، روى أبو داؤد الطيالسي عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : " إنَّ أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم في قبورهم فإنْ كان خيراً

استبشروا به ، وإنْ كان غير ذلك قالوا : اللهم ألهمهم أنْ يعملوا بطاعتك " . ﴿ **وستردون إلى عالم الغيب والشهادة** ﴾ الذي لا تخفى عليه خافية ﴿ **فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ ويجازيكم على أعمالكم إنْ كان خيراً فخير ، وإنْ كان شراً فشر . .

﴿ **وآخرون مرجون لأمر الله** ﴾ موقوف أمرهم إلى أنْ يظهر أمر الله فيهم . . الذين تخلفوا عن غزوة تبوك : منهم المنافقون الذين تخلفوا بغير عذر ، والذين لم يعتذروا ، ومنهم المؤمنون الذين اعترفوا بذنوبهم وتابوا وقدموا أموالهم كفارة عما فرط منهم ، فتاب الله عليهم وعفا عنهم . . ومنهم فريق حاروا في أمرهم ، وشق عليهم تخلفهم بغير عذر – ولم يفعلوا ما فعل أبو لبابة وأصحابه – وهؤلاء هم الذين تتحدث عنهم هذه الآية – (مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية) تخلفوا كسلاً ، ولم يعتذروا ، كما اعتذر غيرهم فأمر الرسول ﷺ باجتنابهم وعدم الكلام معهم حتى نزلت الآيتان من هذه السورة (١١٧–١١٨) كما سبق في سبب النزول . فتاب الله عليهم بقوله : ﴿ **لقد تاب الله عن النبي** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أنْ لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إنَّ الله هو التواب الرحيم** ﴾ ﴿ **إمّا يعذبهم وإمّا يتوب عليهم** ﴾ والمعنى : وآخرون من المتخلفين مؤخرون لأمر الله وحكمه ، فحالهم غامضة عند الناس لا يدرون ما ينزل في شأنهم ؟ هل يخلصون في التوبة فيتقبل الله توبتهم ؟ أم لا يتوبون فيعذبهم ويحكم عليهم كما حكم على المنافقين ؟ والترديد إنما هو بالنسبة للناس لا بالنسبة إلى الله تعالى . . ولعل الحكمة في عدم مكالمتهم ومخالطتهم هذه المدة تربية لهم ، وتهذيب لنفوسهم ، وبيان لجرم التخلف عن رسول الله ﷺ وإيثار الراحة على الجهاد ونصرة الرسول ﷺ .

وإذا كانت دولة الإسلام تتعرض لاعتداء أعداء الإسلام ، واستنفر الإمام الشعب لرد العدوان ، والحفاظ على كيان الدولة – فإنه يجب على كل قادر من أفراد الشعب أنْ يسارع للانخراط في صفوف المقاتلين جهاداً في سبيل الله ، وحماية لأرض الإسلام ، وعقيدة المسلمين ، وأموالهم وأعراضهم من انتقاص الأعداء للأرض واحتلالها . وفتنة المسلمين في دينهم ، والحيلولة بينهم وبين

الالتزام بشريعة دينهم ، وانتهاك أعراضهم وانتهاب أموالهم . ولا يجوز لقادر التخلف وعدم الإستجابة للإستنفار، فقد وصف القرآن من وقفوا مثل هذا الموقف فقال تعالى : ﴿ **إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأنْ يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون** ﴾ . فشنع عليهم حين عدهم مع الخوالف أي مع النساء . . وذلك يجلب الذلة والمهانة وغضب الله تعالى ، ويقود القاعدين عن الجهاد إلى نار جهنم والعياذ بالله . . ﴿ **والله عليم** ﴾ بعباده جميعهم ، وما به تصلح نفوسهم ﴿ **حكيم** ﴾ فيما يفعله بهم .

﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضراراً** ﴾ الآية . ومن المنافقين جماعة بالغوا في الإجرام حتى بنوا مسجداً مضارة للمؤمنين يدبرون فيه الشر لهم ، وهؤلاء الذين بنوا مسجد الضرار اثنا عشر رجلاً من المنافقين ، وكانوا يصلون بمسجد قباء ، فقال لهم أبو عامر الراهب : ابنوا مسجداً . . واستعدوا فسآتيكم بجيش من الروم فأخرج محمداً من المدينة وأغلبه . فبنوا المسجد – وقد ذكر تفصيل ذلك في سبب النزول . .

﴿ **وكفراً** ﴾ أي نصرة للكفر الذي يخفونه ﴿ **وتفريقاً بين المومنين** ﴾ وهم أهل قباء فقد كانوا يصلون في مسجد واحد فأصبحوا متفرقين في مكانين حسداً على اجتماعهم ، وطمعاً في اختلاف كلمتهم ﴿ **وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل** ﴾ وإعداداً وانتظاراً لمن حارب الله ورسوله من قبل بناء هذا المسجد ، وهو أبو عامر الراهب الذي سماه الرسول ﷺ : الفاسق .

وقد قال للرسول ﷺ : " لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم " ﴿ **وليحلفن إنْ أردنا إلا الحسنى** ﴾ وليقسمن بعد ذلك كله ما أردنا ببنائه إلا الخير والإحسان من الرفق بالضعفاء والمعذورين ، والتوسعة على المصلين ، وتيسير صلاة الجماعة عليهم . ﴿ **والله يشهد إنهم لكاذبون** ﴾ في هذا الحلف ، ثم نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن الصلاة في مسجد الضرار فقال ﴿ لا تقم فيه أبداً ﴾ أي لا تصل فيه أبداً ، لأنه لم يبن إلا ليكون معقلاً لأهل النفاق ، ونهي النبي ﷺ يشمل المؤمنين كذلك ، ﴿ **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أنْ تقوم فيه** ﴾ أي والله لمسجد أسس بناؤه على التقوى وجمع المؤمنين على طاعة الله ووحدة المسلمين وهو مسجد قباء من أول يوم ابتدئ في بنائه ،

أولى وأجدر بأنْ تصلي فيه مـــن مسجد الضرار ﴿ **فيه رجال يحبون أنْ يتطهروا** ﴾ هذا المسجد فيه رجال أتقياء يعمرونه بالإعتكاف والصلاة مخلصين لله قانتين يحبون أنْ يتطهروا من الذنوب والمعاصي ، ومن قذارة النجاسة ، والمتطهرون طهارة حسية ومعنوية . ﴿ **والله يحب المطهرين** ﴾ المبالغين في الطهارة الحسية والمعنوية والقلبية والروحية ، وهؤلاء هم الكاملون في الإنسانية. ثم أشار سبحانه إلى فضل مسجد التقوى على مسجد الضرار فقـــال : ﴿ **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان** ﴾ الإستفهام للإنكار . والمعنى هل من أسس بنيانه على تقوى وخوف من الله تعالى وطلب لمرضاته بالطاعة ﴿ **خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار** ﴾ هل ذلك خير أم هذا الذي أسس بنيانه على أساس ضعيف منهار ﴿ **فانهار به في نار جهنم** ﴾ فسقط به البناء في نار جهنم – فالأول مثل للمؤمن والثاني مثل للمنافق . وخلاصة المثلين أنَّ الإيمان الصادق وما يتبعه من العمل المثمر النافع كالبناء المتين المؤسس الذي يقي صاحبه عوادي الزمان ، وأنَّ النفاق وما يستلزمه من العمل الفاسد هو الباطل الزاهق وهو كالبناء الذي بني على الجرف المنهار لا ينفع صاحبه ولا يقيه سوءاً ، بل يضر ضرراً بليغاً حيث ألهاه عن العمل المثمر النافع ﴿ **والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ إلى السداد ، ولا يهديهم إلى سبيل الرشاد .

﴿ **لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم** ﴾ لا يزال ما بنوه سبب ريبة وشك في الدين ، لأنه حين بني إنما بني لتفريق كلمة المؤمنين وتشتيت وحدتهم وليظهروا ما في قلوبهم من كفر وضلال ، وليدبروا فيه الكيد للمسلمين، وحين هدم رسخ ما في قلوبهم من الشر ، وتضاعفت آثاره ومفاسده واشتد غيظهم وحقدهم . ﴿ **إلا أنْ تقطع قلوبهم** ﴾ أي إلا أنْ تتمزق قلوبهم مزقاً وقطعاً فحينئذ يسلون ذلك ، والمراد : إنهم لا يزالون كذلك ما داموا أحيـــاء ﴿ **والله عليم** ﴾ بأحوال المنافقين ﴿ **حكيم** ﴾ في تدبيره ومجازيهم بسوء نياتهم . .

أسئلة الاستيعاب :

١. ما معنى صدقة ؟ هل ينحصر الأمر في قوله تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة** ﴾ في الرسول ﷺ ؟ مم تطهرهم ؟ وما معنى : تزكيهم ؟ وما معنى : وصل عليهم ؟ وما معنى سكن لهم ؟
٢. ما المقصود بقوله تعالى : ﴿ **ألم يعلموا أنَّ الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات** ﴾ ؟
٣. من المخاطب بفعل الأمر ﴿ **قل** ﴾ ؟
٤. ما الذي يتضمنه الأمر في قوله تعالى : ﴿ **اعملوا فسيرى الله عملكم** ﴾ ؟ وكيف يرى الرسول ﷺ والمؤمنون أعمال المخاطبين ؟
٥. ما الذي يترتب على إخبارهم بما كانوا يعملون ؟
٦. ما سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **وآخرون مرجون لأمر الله** ﴾ ومن هم الذين تتحدث عنهم هذه الآية ؟
٧. هل يجوز للمسلم الآن إذا استنفره إمام المسلمين أو حاكمهم أن يتخلف عن الجهاد ؟ وبم وصف المتخلفين ؟
٨. اذكر سبب نزول الآية ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضراراً ...** ﴾ الآية ؟
٩. بم علل الذين بنوا مسجد الضرار فعلهم هذا ؟
١٠. القرآن الكريم وضح الأغراض التي بنى المسجد من أجلها . فما هي ؟ هل اعترفوا بهذه الأغراض ؟
١١. بم أمر الله تعالى رسوله ﷺ بخصوص الصلاة في المسجد المذكور ؟ وفي أي مسجد أمره بالصلاة ؟ وبم وصف المصلين في هذا المسجد ؟
١٢. ما الغرض من الاستفهام في قوله تعالى ﴿ **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير . . .** ﴾ ؟
١٣. وما المراد بهذين المثلين المذكورين في الآية ؟
١٤. ما معنى ﴿ **لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أنْ تقطع قلوبهـــم** ﴾ ؟

سورة الكهف
الآيات : (٣٢ – ٤٤)
قصَّة صاحب الجنتين وعقوبة الكفر والكبر

وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ
وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ
أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ
ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا
﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ
هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي
لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا
﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ
جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا
وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا

حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾

المفردات :

جنتين : بستانين .
حففناهما بنخل : جعلنا النخل محيطاً بهما .
لم تظلم : لم تنقص من أكلها .
فجرنا خلالهما نهراً : أجرينا وشققنا خلالهما نهراً
يحاوره : يراجعه في الكلام .
نفراً : المراد خدماً وأتباعاً ، وقيل هم الأولاد لأنهم ينفرون مع أبيهم ساعة القتال .
منقلباً : مرجعاً وعاقبة .
سواك : صيرك وعدلك حتى صرت رجلاً .
حسباناً : المراد مقداراً قدره الله عليها ، ووقع في حسابه .
زلقاً : أرضاً جرداء ملساء لا نبات فيها ولا حيوان ولا بناء تزل عليها الأقدام لملاستها .

غوراً : غائراً في الأرض لا تناله الأيدي .
الولاية : النصرة . وبكسر الواو السلطان .

المعنى :

﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من نخيل وأعناب ﴾
هذا مثل ضربه الله تعالى للكافر والمؤمن حيث يعصي الكافر مع تقلبه في النعم، ويطيع المؤمن مع مكابدة الفقر ، والأول غارق في الدنيا معتز بها مغرور ، والثاني يفهمها على حقيقتها فهي طريق للآخرة . والمعنى : اضرب مثلاً للمؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ مع مكابدة مشاق الفقر ، وللكافرين المستكبرين على الله مع تقلبهم في نعمه تعالى . قال المفسرون : هما أخوان من بني اسرائيل احدهما مؤمن والآخر كافر ، ورثا مالاً عن أبيهما فاشترى الكافر بماله حديقتين ، وأنفق المؤمن ماله في مرضاة الله حتى نفذ ماله فعيّره الكافر بفقره .

والمعنى جعلنا للكافر حديقتين من أشجار العنب ، مثمرتين بأنواع العنب اللذيذ ، ﴿ **وحففناهما بنخل** ﴾ أي أحطنا كل منهما بشجر النخيل ﴿ **وجعلنا بينهما زرعاً** ﴾ أي جعلنا وسطهما زروعاً حتى يجمعا بين القوت والفواكه ، فهما بهذا الوضع يجمعان بين الشكل الحسن والترتيب الأنيق ﴿ **كلتا الجنتين آتت أكلها** ﴾ كل واحدة من الحديقتين أخرجت ثمرها يانعاً في غاية الجودة والطيب ﴿ **ولم تظلم منه شيئاً** ﴾ ولم تنقص من ثمرها شيئاً بل أتت به تاماً وافياً ﴿ **وفجرنا خلالهما نهراً** ﴾ وقد فجر الله تعالى وسط كل حديقة نهراً على حدة ليسقيها بلا تعب ولا مشقة ، ويزيدهما بهاء وروعة ﴿ **وكان له ثمر** ﴾ وكان لصاحب الجنتين أنواع من المال الكثير من الذهب والفضة وغيرهما من المال المثمر غير الحديقتين ﴿ **فقال لصاحبه وهو يحاوره** ﴾ قال الكافر لأخيه المؤمن وهو يراجعه الكلام ويخاصمه ويفتخر عليه ﴿ **أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً** ﴾ أي أغنى منك وأكثر أنصاراً وحشماً وأولاداً ﴿ **ودخل جنته وهو ظالم لنفسه** ﴾ أي أخذ بيد أخيه المؤمن ودخل الحديقة يطوف به فيها ، ويريه ما فيها من أشجار وثمار وأنهار وهو ظالم لنفسه بالكفر ، والإعجاب بما أوتي ﴿ **قال ما أظن أنْ تبيد هذه أبداً** ﴾ أي ما اعتقد أنْ تفنى وتهلك هذه الحديقة أبداً ، وذلك

لطول أمله وشدة حرصه ، وتمام غفلته وكثرة غروره . ﴿ **وما أظن الساعة قائمة** ﴾ وما اعتقد القيامة كائنة وحاصلة ﴿ **ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً** ﴾ وأقسم لئن رجعت إلى ربي على سبيل الفرض إنْ كان هناك بعث، فسوف يعطيني الله لكرامتي عليه جنة خيراً من هذه الجنة مرجعاً وعاقبة، وترى كثيراً من أغنياء المسلمين ينطق لسان حالهم بمثل مقالة هذا الكافر أعاذنا الله ﴿ **قال له صاحبه وهو يحاوره** ﴾ قال ذلك المؤمن الفقير وهو يراجع أخاه ويجادله : ﴿ **أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً** ﴾ أجحدت الله الذي خلق أصلك وهو آدم من تراب ، ثم خلقك أنت من نطفة من منيّ ثم سواك فجعل أعضاءك سليمة ، مهيأة لمنافعها وكملك إنساناً بالغاً مبلغ الرجال ﴿ **لكنا هو الله ربي** ﴾ أي لكن أنا أقول : هو الله ربي ﴿ **ولا أشرك بربي أحداً** ﴾ فهو المعبود وحده لا شريك له ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله** ﴾ ﴿ **لولا** ﴾ كلمة تحضيض مثل هلا. والمعنى : هلا قلت – عند دخولك حديقتك وقد أعجبت بها – ما أراه من حسن الثمار ونضارة الأشجار هو ما شاءه الله تعالى ؟ فأرجعت الأمر إلى المشيئة الإلهية ؟ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ﴿ **لا قوة إلا بالله** ﴾ لا قدرة لنا على عمل إلا بمعونة الله وتوفيقه ﴿ إنْ ترن أنا أقل منك مالاً وولداً ﴾ قال المؤمن للكافر : إنْ كنت ترني أنا أفقر منك ، وتعتز علي بكثرة مالك وأولادك ﴿ **فعسى ربي أنْ يؤتيني خيراً من جنتك** ﴾ فإنني أتوقع من صنع الله تعالى وإحسانه أنْ يرزقني حديقة خيراً من حديقتك لأني مؤمن به ﴿ **ويرسل عليها حسباناً من السماء** ﴾ ويرسل على حديقتك عذاباً من السماء كالصواعق والسموم تدمرها ﴿ **فتصبح صعيداً زلقاً** ﴾ فتصبح أرضاً ملساء لا نبات فيها ، أو مزلقة لا تثبت عليها قدم . والمراد أنها تصبح عديمة النفع حتى منفعة المشي عليها. ﴿ **أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً** ﴾ أو يصبح ماؤها ذاهباً في الأرض لا تدركه الأيدي فيتلف كل ما في الحديقة من الأشجار والزروع ، وعندئذٍ لا تستطيع له طلباً فضلاً عن إدراكه . وهنا ينتهي الحوار بين الرجلين المؤمن والكافر ، وتكون المفاجأة المدهشة فيتحقق رجاء المؤمن بزوال نعمة الكافر : ﴿ **وأحيط بثمره** ﴾ أهلكت ثماره وأفنيت كلها واستولى عليها الخراب والدمار ﴿ **فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها** ﴾ أي يقلب كفيه ظهراً لبطن أسفاً وحزناً على ماله الضائع وجهده

الذاهب وعبـــارة ﴿ **يقلب كفيه** ﴾ كناية عن الندم والتحسر ﴿ **وهي خاوية على عروشها** ﴾ أي مهشمة محطمة قد سقطت السقوف على الجدران فأصبحت خراباً يباباً ﴿ **ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً** ﴾ أي وهو نادم على إشراكه بالله تعالى ، يتمنى إن لم يكن قد كفر بنعمة الله ﴿ **ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله** ﴾ ولم تكن له جماعة تنصره وتدفع عنه الهلاك فالله وحده القادر على نصرته ﴿ **وما كان منتصراً** ﴾ وما كان هو بنفسه ممتنعاً عن انتقام الله تعالى ، فلم تنفعه العشيرة والولد حين افتخر بهم ﴿ **هنالك الولاية لله الحق** ﴾ في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده . لا يملكها غيره ، ولا يستطيعها أحد سواه ، فهو الولي الذي ينصر أولياءه ﴿ **هو خير ثواباً وخير عقباً** ﴾ – أي الله تعالى خير ثواباً في الدنيا والآخرة لمن آمن به ، وخير عاقبة لمن اعتمد عليه ورجاه .

أسئلة الاستيعاب :

١. لماذا ضرب الله هذا المثل ؟
٢. ماذا قال المفسرون عن الرجلين ؟
٣. مم تتكون الحديقتان ؟ وما معنى : وحففناهما بنخل ؟
٤. على من يعود الضمير في ﴿ **له** ﴾ من قوله تعالى ﴿ **وكان له ثمر** ﴾ ؟
٥. ﴿ **قال لصاحبه – وهو يحاوره – أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً** ﴾ ما الروح التي تتملكه وهو يقول هذا القول ؟ ومـــا المراد بقوله : ﴿ **وأعز نفراً** ﴾ ؟
٦. على أي شئ أقسم ؟ هل يتسق هذا القسم مع إنكاره القيامة ؟ وما الذي يدل عليه ؟
٧. ماذا قال المؤمن لصاحبه ؟ وما معنى لكنا هو الله ربي ؟ وما موقفه من الإيمان بالله وعدم الإشراك به ؟
٨. وجه المؤمن صاحبه توجيهاً مفيداً ، فماذا قال له ؟ ما معنى ﴿ **لولا** ﴾ ؟ في ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك** ﴾ ؟

٩. علام يدل قول المؤمن : فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك ؟
١٠. ما معنى : ويرسل عليها حسباناً من السماء ؟ فتصبح صعيداً زلقاً ؟ أو يصبح ماؤها غوراً ؟
١١. هذه الأفعال هل يستطيع بشر فعلها ؟ من القادر على فعلها ؟ وماذا يجب علينا نحوه ؟
١٢. ما معنى : ﴿ **وأحيط بثمره** ﴾ ماذا كان موقف صاحب الجنتين عندما حدث ذلك ؟ وعلام يدل ؟
١٣. هل استفاد مما حدث له وعرف الحق وآمن بالله أم ما يزال على كفره ؟
١٤. هل كان له جماعة ينصرونه ؟ أكان قادراً على تحقيق الحماية لنفسه من انتقام الله تعالى ؟
١٥. ما العظات والعبر التي نستخلصها من هذه القصة ؟

سورة لقمان
الآيات : (٢٦ – ٣٤)
بيان علم الله وقدرته ودعوة الناس للتقوى

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ
وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ
ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ
ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ
وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم

مُّقْتَصِدٌۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

المفردات :

يولج الليل في النهار : يدخل الليل في زمن النهار فيقصر النهار ويطول الليل .

أجل مسمى : معلوم مقدر .

الفلك : السفن .

صبار : كثير الصبر

كالظلل : جمع ظلة وهي الجبال التي تظل ما تحتها . .

مقتصد : متوسط .

ختار : الختر أسوأ الغدر .

كفور : جحود لنعم الله كافر به .

المعنى :

﴿ **لله ما في السماوات والأرض** ﴾ لله جلّ وعلا ما في السماوات والأرض ملكاً وخلقاً وتدبيراً ، فلا يستحق العبادة غيره ﴿ **إنَّ الله هو الغني الحميد** ﴾ أي المستغني عن خلقه كلهم ، وعن عبادتهم ، المحمود من عباده بلسان الحال أو بلسان المقال . ثم لما ذكر سبحانه أنَّ له ما في السماوات والأرض أتبعه بما يدل على أنَّ له وراء ذلك ما لا يحيط به عدد ولا يحصر بحد فقال : ﴿ **ولو أنَّ ما في الأرض من شجرة أقلام** ﴾ ولو أنَّ جميع أشجار الأرض بريت أقلاماً ﴿ **والبحر يمده من بعده سبعة أبحر** ﴾ وجعل البحر المحيط مع سعته حبراً ومداداً وأمده من بعد نفاده سبعة أبحر مدداً لا ينقطع – فالعدد سبعة لا يراد به الحصر – وكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وكلامه الأزلي القديم ﴿ **ما نفذت كلمات الله** ﴾ أي لفنيت الأقلام والبحار ، وما انتهت كلمات الله، لأنَّ الأقلام مهما كثرت والبحار مهما اتسعت متناهية ، وكلمات الله تعالى غير متناهية . يقول سيد قطب في ظلال القرآن : إنَّ البشر يكتبون علمهم ، ويسجلون قولهم، ويمضون أوامرهم، عن طريق كتابتها بأقلام، يمدونها بمداد من الحبر ونحوه ، لا يزيد هذا الحبر على ملء زجاجة ، فها هو ذا ، القرآن الكريم ، يمثل لهم أنَّ جميع ما في الأرض من شجر تحول أقلاماً وجميع ما في الأرض من بحر تحول مداداً ، بل إنَّ هذا البحر أمدته سبعة أبحر كذلك . وجلس الكتاب يسجلون كلمات الله المتجددة ، الدالة على علمه ، المعبرة عن مشيئته . . فماذا ؟ لقد نفذت الأقلام ونفذ المداد ، نفذت الأشجار ، ونفذت البحار. وكلمات الله باقية لم تنفذ ولم تأت لها نهاية . . إنَّ كلمات الله لا تنفذ ؛ لأنَّ علمه لا يحد ، ولأنَّ إرادته لا تكف ، ولأنَّ مشيئته سبحانه ماضية ليس لها حدود ولا قيود . وتتوارى الأشجار والبحار ، وتنزو الأشياء والأحياء ، وتتوارى الأشكال والأحوال ، ويقف القلب البشري خاشعاً أمام جلال الخالق الباقي الذي لا يتحول ولا يتبدل ولا يغيب ﴿ **إنَّ الله عزيز** ﴾ غالب لا يعجزه شئ ﴿ **حكيم** ﴾ لا يخرج عن حكمته وعلمه فرد من أفراد مخلوقاته . ﴿ **وما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ ما خلقكم أيها الناس ابتداء ولا بعثكم بعد الموت انتهاء إلا كخلق نفس واحدة وبعثها . والمعنى : إنَّ قدرة الله على بعث الخلق كلهم ، وعلى خلقهم ، كقدرته على خلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة .

لأنه إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون . ﴿ **إنَّ الله سميع بصير** ﴾ سميع لأقوال العباد ، بصير بأعمالهم ..

﴿ **ألم ترَ أنَّ الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل** ﴾ ألم تعلم أيها المخاطب – لأنَّ الخطاب لكل أحد يصلح لذلك – علماً قوياً جارياً مجرى الرؤية ، أنَّ الله تعالى يدخل الليل في زمان النهار ، ويدخل النهار في زمان الليل حسب الحكمة الأزلية . فمثلاً إذا كان الليل اثنتي عشرة ساعة ، والنهار كذلك . ثم زيد الليل ساعتين كانتا على حساب النهار فيصبح الليل أربع عشرة ساعة والنهار عشر ساعات . وهذا معنى يولج الليل في النهار ، وكذلك يولج النهار في الليل . ﴿ **وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى** ﴾ أي ذللهما وجعلهما منقادين بالطلوع والأفول ، تقديراً للآجال ، وتتميماً للمنافع ، كل منهما يسير في فلكه إلى زمان محدد ، هو يوم القيامة ﴿ **وأنَّ الله بما تعملون خبير** ﴾ أي خبير بأعمالكم لا تخفى عليه خافية ، لأنَّ من قدر على هذه الأمور العظيمة ، فقدرته على العلم بما تعملونه من باب أولى . ﴿ **ذلك بأنَّ الله هو الحق** ﴾ ذلك الذي وصف من عجائب الصنع وباهر القدرة في الآيات السابقة بسبب أنه تعالى هو الحق الثابت الألوهية وأنه لا معبود بحق إلا هو ﴿ **وأن ما يدعون من دونه الباطل** ﴾ وأنَّ كل ما يعبدون من غير الله من الأصنام والأوثان باطل لا حقيقة له ﴿ **وأنَّ الله هو العلي الكبير** ﴾ أي وأنه تعالى العلي في صفاته، ذو الكبرياء في ربوبيته وسلطانه . ثم ذكر تعالى نوعاً آخر من عجيب صنعه وبديع قدرته فقال : ﴿ **ألم تر أنَّ الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته** ﴾ ألم تر أيها المخاطب أنَّ السفن تمخر عباب البحر بإحسان الله ولطفه بكم ورحمته لكم ليريكم بعض آياته الدالة على قدرته ووحدانيته ، ﴿ **إنَّ في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ إنَّ في تسخير هذه السفن وما تحمله من الطعام والأرزاق لآيات عظيمة ، لكل من له صبر بليـــغ في الشدة ، وشكر كثير في النعمة . يصبر عن معاصي الله ، ويشكر نعمه . . . ﴿ **وإذا غشيهم موج كالظلل** ﴾ وإذا علا المشركين وغطاهم ، وهم في البحر ، موج كثيف عال كالظلل ، شبه الموج لكبره بما يظلل الإنسان من جبل أو سحاب أو غيرهما ، وهذا يكون عند اضطراب البحر ، إذا غشيهم وعلاهم هذا الموج ، رجعوا إلى الفطرة و ﴿ **دعوا الله مخلصين له الدين** ﴾ أي أخلصوا دعاءهم لله تعالى حين

علموا أنه لا منجي لهم غيره وهذه كقوله تعالى : ﴿ **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه** ﴾ [الإسراء : ٦٧] . ﴿ **فلما نجاهم إلى البر** ﴾ فلما أنقذهم من أهوال البحر ، وأخرجهم إلى شاطئ النجـــاة في البر ﴿ **فمنهـــم مقتصد** ﴾ أي موف بما عاهد عليه الله في البحر من إخلاص الدين له ، باق على ذلك بعد أنْ نجاه الله من هول البحر ، وأخرجه إلى البر سالماً . ويكون في الكلام حذف ، والتقدير : فمنهم مقتصد ، ومنهم كافر ، ويدل على هذا المحذوف تكملة الآية ﴿ **وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور** ﴾ والمعنى : وما يكذب بآياتنا إلا كل غدار أقبح الغدر ، مبالغ في الكفر بنعم الله تعالى .

﴿ **يأيّها الناس اتقوا ربكم** ﴾ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه ﴿ **واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده** ﴾ وخافوا يوماً شديداً هوله ، لا يقضي فيه إنسان عن إنســـان ولا يغني فيه والد عن ولده . ولو أراد أنْ يفديه بنفسه لما قبل منه ﴿ **ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً** ﴾ ولا ينفع مولود والده شيئـــاً ، فكل واحد مشغول بنفسه . كما قال تعالى : ﴿ **لكل امرئ منهم يومئذٍ شـــأن يغنيه** ﴾ [عبس : ٣٧] . ﴿ **إنَّ وعد الله حق** ﴾ إنَّ وعد الله بالبعث والحساب والجزاء حق ثابت لا شك فيه ﴿ **فلا تغرنكم الحياة الدنيا** ﴾ فلا تخدعنكم الدنيا بزخارفها وزينتها فتركنوا إليها ، وتتركوا العمل للآخرة ، والآخرة خير وأبقى ﴿ **ولا يغرنكم بالله الغرور** ﴾ أي الشيطان الذي أقسم ليغوين بني آدم ﴿ **قال فبعزتك لأغوينهم أجمعيـــن إلا عبادك منهـــم المخلصين** ﴾ فهو يعدهم ويمنيهم كمـــا قال تعالى عنه ﴿ **يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً** ﴾ . وقيل الغرور هو الأماني الباطلة التي تخدع كثيراً من النـــاس كمن يغتر بشفاعة شافـــع أو بانتسابه إلى أمة النبي ﷺ مثلاً ، وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه : " الغرور بالله أن يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة " . ﴿ **إنَّ الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إنَّ الله عليم خبير** ﴾ . هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها ، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها . فالله سبحانه قد جعل الساعة غيباً لا يعلمه سواه . ليبقى الناس على حذر دائم ، وتوقع دائم ، ومحاولة دائمة أنْ يقدموا لها ، وهم لا يعلمون متى تأتي ، فقد تأتيهم بغتة في أي لحظة ، ولا مجال للتأجيل في اتخاذ الزاد . والله ينزل الغيث

وفق حكمته ، بالقدر الذي يريده ، وقد يعرف الناس بالتجارب والمقاييس قرب نزوله ، ولكنهم لا يقدرون على خلق الأسباب التي تنشئه . والنص يقرر أنَّ الله هو الذي ينزل الغيث لأنه سبحانه هو المنشئ للأسباب الكونية التي تكونه والتي تنظمه . فاختصاص الله في الغيث هو اختصاص القدرة ، كما هو ظاهر في النص . وإنْ كان علم الله وحده هو العلم في كل أمر وشأن . فهو وحده العلم الصحيح الكامل الشامل الدائم الذي لا يلحق به زيادة ولا نقصان . . ﴿ **ويعلم ما في الأرحام** ﴾ فهو وحده الذي يعلم علم اليقين ، ماذا في الأرحام ، في كل لحظة، وفي كل طور . من فيض وغيض ، ومن حمل حين لا يكون للحمل حجم ولا جرم ، ونوع هذا الحمل ذكراً أم أنثى ، حين لا يمتلك أحد أن يعرف عن ذلك شيئاً في اللحظة الأولى لاتحاد الخلية والبويضة ، وملامح الجنين وخواصه وحالته واستعداداته ، فكل هؤلاء مما يختص به علم الله تعالى .

﴿ **وما تدري نفس ماذا تكسب غداً** ﴾ ماذا تكسب من خير وشر ، ومن نفع وضر ، ومن يسر وعسر ، ومن صحة ومرض ، ومن طاعة ومعصية . فالكسب أعم من الربح المالي وما في معناه ، وهو كل ما تصيبه النفس في الغداة . وهو غيب مغلق ، والنفس الإنسانية تقف أمام سدف الغيب ولا تملك أنْ ترى شيئاً مما وراء الستار . . وكذلك ﴿ **وما تدري نفس بأي أرض تموت** ﴾ فذلك أمر وراء الستر المسبل السميك الذي لا تنفذ منه الأسماع والأبصار . . وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ وقد جاء في الحديث الصحيح " مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله . وتلا هذه الآية : " إنَّ الله عنده علم الساعة . . " حتى أكملها . رواه البخاري ﴿ **إنَّ الله عليم** ﴾ بالغيوب ﴿ **خبير** ﴾ بما كان وما يكون .

أسئلة الاستيعاب :

١. ما معنى : إنَّ الله هو الغني الحميد ؟
٣. ما الذي تدل عليه الآية : ﴿ **ولو أنَّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده . .** ﴾ الآية ؟
٤. هل العدد ﴿ **سبعة أبحر** ﴾ يراد به الحصر ؟

٥. ما المراد بكلمات الله ؟ وما الذي تدل عليه كثرة كلمات الله بهذه الصورة ؟
٦. ماذا قال صاحب ظلال القرآن عن هذه الآية ؟
٧. ما الذي يدل عليه قوله تعالى : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾ ؟
٨. من المخاطب بقوله تعالى : ﴿ **ألم تر أنَّ الله يولج الليل في النهار** ﴾ ؟ وما معنى الرؤية ؟
٩. ما معنى ﴿ **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل** ﴾ ؟
١٠. وما التسخير في قوله ﴿ **وسخر الشمس والقمر** ﴾ ؟ وما معنى : كل يجري إلى أجل مسمى ؟
١١. ﴿ **ذلك بأنَّ الله هو الحق** ﴾ إلى ماذا ترجع الإشارة ﴿ **ذلك** ﴾ ؟ وما معنى الآية ؟
١٢. بم وصفت الآية المعبودات غير الله تعالى ؟
١٣. علام يدل جريان السفن فوق ماء البحار ؟ وما الذي تشير إليه جملة ﴿ **بنعمة الله** ﴾ ؟
١٤. بم شبه الله الموج ؟ ومن الذين تتحدث عنهم هذه الآية ؟
١٥. متى يلجأ المشركون لله سبحانه وتعالى ؟
١٦. وما معنى ﴿ **فمنهم مقتصد** ﴾ ؟ ومن الذي يقابل المقتصد ؟
١٧. من الختار ؟ ومن الكفور ؟
١٨. ما معنى ﴿ **ولا يغرنكم بالله الغرور** ﴾ ؟ وما هو الغرور ؟
١٩. بم سميت المذكورات في هذه الآية ﴿ **إنَّ الله عنده علم الساعة وينزل الغيث . . .** ﴾ الآية ؟
٢٠. هل البشر يعلمون عنها شيئاً ؟ وهل يوجد تعارض بين علم الله تعالى وما يعلمه البشر عن بعض هذه المذكورات ؟ وضح ذلك ؟

سورة غافر
الآيات : (٦٠ – ٦٥)
بيان فضل الله تعالى على الناس

وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ
كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ
ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ
وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ
ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾

المفردات :

ادعوني : الدعاء في الشرع الإبتهال إلى الله تعالى بالسؤال ، والرغبة فيما عنده من الخير ، والتضرع إليه في تحقيق المطلوب .

داخرين : صاغرين أذلاء .

تؤفكون : تصرفون عن الإيمان إلى الكفر .

بناء : قبة ، ومنه أبنية العرب لقبائهم التي تضرب .

تبارك : تعالى ، وتمجد وتقدس .

المعنى :

﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾ من فضل الله تعالى أنه ندب عباده إلى دعائه ، وتكفل لهم بالإجابة ، ادعوني فإن تدعوني أجبكم فيما طلبتم واعطكم ما سألتم وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ [البقرة : ١٨٦] . وإذا كان الدعاء هو الإبتهال إلى الله تعالى والتضرع إليه في تحقيق المطلوب ، فالرسول ﷺ يأمرنا بأن نستعين بالله في كل أمورنا صغيرها وكبيرها فيقول : " ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها ، حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع " رواه الترمذي .

وللدعاء آداب وشروط ينبغي توافرها . فمن أهمّ آدابه :

١. أنْ يغتنم الداعي الأوقات الفاضلة والأحوال الشريفة كيوم الجمعة ، ووقت السحر ، وعند السجود بين يدي الله تعالى ، ويوم عرفة ، وبين الأذان والإقامة ، وعند زحف الصفوف للجهاد في سبيل الله .
٢. وأن يستقبل الداعي القبلة وأن يرفع يديه ثم يمسح بهما وجهه بعد الدعاء احتذاء بالرسول ﷺ .
٣. وأن يظهر الخشوع والتضرع حال الدعاء .
٤. وأنْ يكون صوته بين المخافتة والجهر .

ومن شروطه :

١. أنْ يجتهد الداعي في تطهير نفسه ظاهراً وباطناً من الذنوب والآثام .
٢. وأنْ يكثر من ذكر الله تعالى واستغفاره والتوبة إليه .

٣. أنْ يوطن نفسه على التقيد بما أحله الله من المأكل والمشرب والملبس فإنَّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً .

﴿ **إنَّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ أي إنَّ الذين يتكبرون عن دعاء الله والتضرع إليه سيدخلون جهنم أذلاء صاغرين . وحق من يتكبر عن دعاء ربه الذي خلقه ورباه ، وصوره فأحسن صورته ، أنْ يعذبه في جهنم صاغراً ذليلاً ، ومهيناً حقيراً . وقد جـــاء في حديث أبي هريرة " من لم يسأل الله يغضب عليه " . وذكر ابن كثير في تفسيره قال : لما مات محمد بن مسلمة الأنصاري وجدنا في ذؤابة سيفه كتاباً بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إنَّ لربكم في بقية أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها ، لعل دعوة أن توافق رحمة فيسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها ابداً " وبعض العلماء فسر الدعاء بالعبادة ، ويؤيد هذا الآية بعده ﴿ **إنَّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ والحديث الذي رواه أحمد عن النعمان بن بشير : " إنَّ الدعاء هو العبادة " . والمعنى : وحدوني واعبدوني أتقبل عبادتكم وأغفر لكم . ثم ذكر تعالى من آثار قدرته ووحدانيته ما يلزم منه إفراده بالعبادة والشكر فقال : ﴿ **الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً** ﴾ إنَّ الله جل جلاله خلق لكم الليل لتستريحوا فيه من تعب العمل وعنائه بالنهار ، حتى يعود الإنسان نشيطاً مجداً مقبلاً على عمله بالنهار ، وخلق لكم النهار وجعله مضيئاً لتتصرفوا فيه بأسباب الرزق وطلب المعاش ﴿ **إنَّ الله لذو فضل على الناس** ﴾ إنه تعالى متفضل على العباد ، وهو صاحب الجود والإحسان إليهم ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يشكرون** ﴾ **لا يشكرون** الله تعالى على هذا الإحسان بل يجحدون فضله ونعمه عليهم . ﴿ **ذلكم الله ربكـــم خـــالق كل شئ** ﴾ ذلكم الله جل وعلا فاطر السماوات والأرض ، واهب الوجود ﴿ **لا إله إلا هو** ﴾ لا معبود في الوجود بحق سواه ﴿ **فأنى تؤفكون** ﴾ ؟ فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره من الأحجار والأوثان ؟ ﴿ **كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون** ﴾ كذلك يصرف عن الهدى والحق الذين أنكروا آيات الله وجحدوها وهذه تسلية للنبي . والمعنى : لا تحزن يا محمد على إنكار قومك فإن من قبلهم فعل ذلك . . ثم زاد في البيان ودلائل القدرة فقال : ﴿ **الله الذي جعل لكم الأرض**

قراراً ﴾ أي مستقراً لكم في حياتكم وبعد مماتكم ﴿ **والسماء بناء** ﴾ وجعل السماء كالقبة مرفوعة فوقكم ﴿ **وصوركم فأحسن صوركم** ﴾ أي صوركم أحسن تصوير ، وخلقكم في أحسن الأشكال ، متناسبي الأعضاء ، ولم يجعلكم كالبهائم تمشون على أربع ، قال تعالى : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾ ﴿ **ورزقكم من الطيبات** ﴾ من أنواع اللذائذ ﴿ **ذلكم الله ربكم** ﴾ ذلكم الفاعل لهذه الأشياء كلها ، والمنعم بهذه النعم هو ربكم لا إله إلا هو ﴿ **فتبارك الله رب العالمين** ﴾ فتقدس وتمجد الله رب جميع المخلوقات الذي لا يصلح للربوبية سواه ﴿ **هو الحي لا إله إلا هو** ﴾ هو المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية ، الباقي الذي لا يموت ، لا إله سواه ﴿ **فادعوه مخلصين له الدين** ﴾ فاعبدوه وتضرعوا إليه مخلصين له العبادة والدعاء ظاهراً وباطناً قائلين (الحمد لله رب العالمين) أي الثناء والشكر لله تعالى مالك جميع المخلوقات لا لأحد سواه . .

أسئلة الاستيعاب :

١. ما معنى الدعاء شرعاً ؟
٢. أمرنا الله تعالى بالدعاء . فبم وعدنا ؟
٣. ما رأي العلماء في معنى ﴿ **ادعوني** ﴾ ؟ بم استدل كل فريق ؟
٤. اذكر من الأحاديث ما يؤيد أنَّ معنى الدعاء : التضرع والسؤال .
٥. للدعاء آداب وشروط اذكر اثنين من آدابه واثنين من شروطه .
٦. الليل والنهار نعمتان من نعم الله على الناس وضح ذلك وما الواجب علينا نحوهما ؟
٧. ما معنى : فأنى تؤفكون ؟
٨. في قوله تعالى ﴿ **كذلك يؤفك الذين بآيات الله يجحدون** ﴾ تسلية للنبي ﷺ وضح ذلك .
٩. ما الذي أمرتنا به الآية الأخيرة ؟ وما صلتها بالآية الأولى ؟

سورة الأحقاف
الآيات : (١٥-١٩)
الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى وبر الوالدين

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾

المفردات :

ووصينا : التوصية الأمر المقترن بالوعظ والإشعـــار بـــأن المأمور به محل اعتناء .

كرهاً : الكره المشقة .

فصاله : فطامه ، وهو الرضاع المنتهي بالفطام . ولذا عبر بالفصال عن الرضاع .

بلغ أشده : كمل عقله ورأيه ، واشتد ساعده .

أوزعني : رغبني ووفقني إليه حتى أكون راغباً فيه .

أفٍّ : هو صوت يظهر عند التضجر والتبرم .

أخرج : المراد أبعث من القبر .

ويلك : الويل دعاء بالثبور والهلاك .

أساطير الأولين : جمع أسطورة ، والمراد أباطيلهم التي سطروها في الكتب .

درجات : منازل ، فإن كانت في العلو فهي درجات ، وإن كانت في الانخفاض فهي دركات .

المعنى :

هذه الآيات الكريمة سيقت لبيان جانب من جوانب نعم الله على الإنسان وفضله عليه ، حيث تعهده في الصغر ، ووضع في قلب والديه – خاصة الأم – غريزة حُبِّه ، والعطف عليه حتى يكتمل ، وبعد بلوغ عقله وكماله ، كان من الناس من وفق إلى الخير واهتدى ، وردّ بعض الجميل إلى أهله ، ومنهم من ضلّ وبغى ولم يرع لحق حرمة ، بل كفر وأنكر رغم إلحاح والديه عليه ، وإرشادهما له . ولكل درجات .

﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً** ﴾ والمعنى : ووصينا الإنسان بوالديه أن يحسن لهما إحساناً ، وألزمناه إحساناً إليهما ، فهما أحق الناس به ، والأمر بالإحسان إليهما محل اعتناء من الله تعالى فكان وصية لا أمراً ، إذ هما قد توليا إيجاده ظاهراً والله تولى خلقه خفية وباطناً ، والأم أحق بذلك من الأب ﴿ **حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً** ﴾ فهي قد حملته بكره ومشقة ، ووضعته بكره ومشقة ﴿ **وحمله وفصاله ثلاثون شهراً** ﴾ ومدة حمله وفصاله عامان

ونصف . فهي لا تزال تعاني التعب والمشقة طيلة هذه المدة . وقد استدل العلماء بهذه الآية مع التي في لقمان وهي ﴿ **وفصاله في عامين** ﴾ على أنَّ أقل مدة الحمل ستة أشهر. وهو استنباط قوي صحيح . ﴿ **حتى إذا بلغ أشده** ﴾ أي حتى إذا عاش الطفل ودرج كما يدرج الصبيان ، وأيفع مع الشبان حتى إذا بلغ كمال قوته واستحكم عقله ﴿ **وبلغ أربعين سنة** ﴾ وهو نهاية اكتمال العقل والرشد ﴿ **قال ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلي والديّ** ﴾ أي قال رب وفقني وألهمني شكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ وعلى والديّ حيث وضعت في قلوبهما العطف عليّ ، وخلقتني بسببهما على أتم صورة ، ورعيتني في الصغر، وربيتني وحفظتني ، وأنعمت عليّ نعماً لا تحصى ﴿ **وأن أعمل صالحاً ترضاه** ﴾ واهدني إلى الأعمال الصالحات ﴿ **وأصلح لي في ذريتي** ﴾ واجعل ذريتي ونسلي صالحين. وهذا الداعي طلب من الله ثلاثة أشياء. الأول : أن يوفقه الله للشكر على النعمة . والثاني : أنْ يوفقه للإتيان بالطاعة المرضية عند الله . والثالث : أنْ يصلح له في ذريته . وهذا كمال السعادة البشرية . ﴿ **إني تبت إليك وإني من المسلمين** ﴾ وإني يا رب تبت إليك وأنبت من جميع الذنوب ، وإني من المتمسكين بالإسلام فاغفر لي . ﴿ **أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا** ﴾ الإشارة في ﴿ **أولئك** ﴾ للتعظيم ، أولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات نتقبل منهم أحسن أعمالهم ، وجميع طاعاتهم ، ونجازيهم على أعمالهم بأفضلها ﴿ **ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة** ﴾ أي ونصفح عن خطاياهم وزلاتهم في جملة أصحاب الجنة الذين نكرمهم بالعفو والغفران ، ﴿ **وعد الصدق الذي كانوا يوعدون** ﴾ وعدهم ربك بذلك وعداً هو الصدق بعينه، الذي وعدناهم به على ألسنة الرسل بأن نتقبل من محسنهم ونتجاوز عن مسيئهم . ﴿ **والذي قال لوالديه أف لكما** ﴾ هذا هو الصنف الذي لم يرع لوالديه حرمة ، وردّ جميلها بالقبيح ، وقابل إحسانهما إليه بالسيئة ، وقال لهما عندما طلبا منه أنْ يؤمن بالله وملائكته واليوم الآخر ، وأنْ يسلم وجهه لله تعالى ، قال لهما متضجراً منهما ساخطاً عليهما : ﴿ **أفٍّ لكما** ﴾ أي قبحاً لكما على هذه الدعوة . ﴿ **أتعدانني أنْ أخرج وقد خلت القرون من قبلي** ﴾ أتعداننني أن أبعث بعد الموت وأنْ أخرج من القبر للحساب ، وقد مضت قرون من الناس قبلي ولم يبعث أحد منهم . يريد بهذا إنكار البعث . ﴿ **وهما يستغيثان الله ويلك آمن** ﴾

وأبواه يستغيثان بالله من أفعاله ، ويسألان الله أن يرشده ويهديه للإسلام ، قائلين له : ويلك وهلاكك آمن بالله مع المؤمنين . وليس مرادهما الدعاء عليه بالهلاك، بل هما يحثانه على الإيمان وعلى الإسراع بالدخول فيه ﴿ **إنَّ وعد الله حق** ﴾ وصدق لا خلف فيه، وقد وعد المؤمنين بالثواب ، والكافرون بالعقاب . ﴿ **فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين** ﴾ أي ما هذا الذي تقولانه من أمر البعث إلا خرافات الأولين وأباطيلهم التي سطروها في الكتب وهي لا أصل لها ﴿ **أولئك الذين حق عليهم القول** ﴾ أولئك المجرمون الأشقياء هم الذين حق عليهم قول الله تعالى بأنهم من أهل النار، ذلك قوله تعالى لإبليس ﴿ **لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين** ﴾ [ص : ٨٥] ﴿ **قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار** ﴾ [الأعراف : ٣٨] أي في جملة أمم من أصحاب النار قد مضت قبلهم من الكفار من الجن والإنس ﴿ **إنهم كانوا خاسرين** ﴾ أي لأنهم كانوا كافرين ﴿ **ولكل درجات مما عملوا** ﴾ لكل فريق من الفريقين : المؤمنين والكافرين درجات ومنازل بحسب أعمالهم ، فمراتب المؤمنين في الجنة عالية ، ومراتب الكافرين في جهنم سافلة كما قال تعالى ﴿ **فريق في الجنة وفريق في السعير** ﴾ [الشورى : ٧] . ﴿ **وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون** ﴾ وليعطيهم جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا وافية ، وهم لا يظلمون شيئاً بنقص ثواب أو زيادة عقاب .

أسئلة الاستيعاب :

١. ما الذي تدل عليه كلمة ﴿**وصينا** ﴾ ؟ وبم وصى الله تعالى الإنسان ؟
٢. لماذا خص الأم بالذكر بقوله ﴿ **حملته أمه كرهاً ..... ﴾** ؟
٣. استدل العلماء على أن أقل الحمل ستة أشهر من هذه الآية مع قوله تعالى ﴿ **وفصاله في عامين** ﴾ في سورة لقمان . وضح ذلك .
٤. عندما يكتمل نمو الإنسان ويبلغ أربعين سنة إما أن يكون مؤمناً وإما أنْ يكون كافراً . حدد الآيات التي تحدثت عن المؤمن . والتي تحدثت عن الكافر .

٥. المؤمن دعا الله تعالى قائلاً : ﴿ **ربِّ أوزعني أنْ أشكر نعمتك . .** ﴾ الآية. فما معنى أوزعني ؟

٦. بم وعد الله هذا الصنف من عباده ؟ وما الذي نستفيده نحن مما جاء في هذه الآية ؟

٧. قال النوع الآخر لوالديه : ﴿ **أف لكما** ﴾ فما معنى هذه العبارة ؟

٨. ما الذي استنكره هذا الولد من والديه ؟

٩. ما معنى : وهما يستغيثان الله ويلك آمن . . ؟

- بم ردّ عليهما هذا الابن ؟
- بماذا توعد الله تعالى هذا الصنف من عباده ؟
- وما العظة التي نستفيدها من مصير هذا النوع من الناس ؟
- ما الذي تدل عليه الآية الأخيرة من هذا الدرس ؟

سورة الحديد
الآيات : (١ – ٩)
توحيد الله في أسمائه وصفاته

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ
عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا
يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ
وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟
مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ
أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ

لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٩﴾

المفردات :

سبح لله : التسبيح هو التنزيه والتقديس لله ووصفه بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص .

العزيز : القويّ الغالب على كل شئ .

الأول : السابق على كل الموجودات .

الآخر : الباقي بعد فنائها .

الظاهر : بوجوده ومصنوعاته وآثاره .

الباطن : بكنه ذاته عن إدراك الأبصار له .

أيام : اليوم هو الوقت المحدد بطلوع الشمس إلى غروبها .

استوى : تطلق في اللغة على معان كثيرة منها : استقرّ ومنها استوى على الكرسي او على ظهر الدابة . واستوى بمعنى قصد . وبمعنى استولى وظهر ومنه " استوى بشر على العراق " أي استولى وتصرف .

العرش : هو سرير الملك وعليه قول الله تعالى ﴿ **نكروا لها عرشها** ﴾ ويطلق على سقف البيت ، وعلى هودج المرأة ، وعلى الملك والسلطان .

يلج : يدخل . . يعرج : يصعد .

يولج الليل في النهار : يدخل أحدهما في زمن الآخر .

بذات الصدور : بصاحبات الصدور. والمراد : الأسرار العميقة التي لا تفارق الصدر أبداً .

مستخلفين : خلفاء عن الله فيه ، أو خلفاء عمن سبقكم ليأخذه من بعدكم .

ميثاقكم : عهدكم الذي أخذه عليكم في عالم الذر في قوله تعالى ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين** ﴾ (الأعراف : ١٧٢) .

المعنى :

﴿ **سبح لله ما في السماوات والأرض** ﴾ نزه الله تعالى في القول والاعتقاد والعمل ، عما لا يليق به ، ووصفه بكل كمال ، ونفى عنه كل نقص ، جميع ما في الكون من إنسان وحيوان ونبات وجماد ، بلسان المقال أو بلسان الحال قال تعالى : ﴿ **وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ فتسبيح العقلاء تنزيه وتقديس وعبادة . وتسبيح غيرهم دلالة على الصانع وأنه صاحب كل كمال ومنزه عن كل نقص. أو هو الانقياد والخضوع لأمر الله وتصريفه . ولا شك أن الكل بهذا المعنى يسبح له . ﴿ **وهو العزيز** ﴾ الذي لا يغلب ﴿ **الحكيم** ﴾ في كل ما يفعل . . ثم ذكر تعالى عظمته وقدرته فقال : ﴿ **له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت** ﴾ الله جل جلاله هو وحده المالك للسماوات والأرض ، المتصرف في ملكه كما يشاء ، يحيي من يشاء ويميت من يشاء . ﴿ **وهو على كل شئ قدير** ﴾ لا يعجزه شئ في السماء ولا في الأرض . ﴿ **هو الأول** ﴾ ليس لوجوده بداية ﴿ **والآخر** ﴾ لأنه الباقي بعد فناء خلقه

﴿ **والظاهر** ﴾ وهو الظـــاهر وجوده لكثرة الدلائل الماديـــة والمعنويـــة عليه ﴿ **والباطن** ﴾ الذي لا تعرف العقول ذاته على حقيقتها ، ولا تدركها الأوهـــام ﴿ **وهو بكل شئ عليم** ﴾ لا يغرب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة " اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ ، وأنت الآخر فليس بعدك شئ ، وأنت الظاهر فليس فوقك شئ ، وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين وأغننا عن الفقر " . ﴿ **هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام** ﴾ أي خلقهما في مقدار ستة أيام ، وهو القادر على خلقهما في لحظة كما قال جل شأنه ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ . لكنه تعالى ذكر هذه المدة ليعلم العباد التأني والتثبت في الأمور ﴿ **ثم استوى على العرش** ﴾ استواء يليق بجلاله من غير تمثيل ولا تكييف . وهذا رأي السلف . أما الخلف فيؤولون قائلين : استوى على عرشه بعد تكوين خلقه بمعنى أنه يدير الأمر ويفصل الايات ﴿ **يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها** ﴾ يعلم ما يدخل في الأرض من مطر وأموات ، وما يخرج منها من معادن ونبات ومياه وجثث ﴿ **وما ينزل من السماء** ﴾ من مطر أو شهب أو ملك أو آيات ﴿ **وما يعرج فيها** ﴾ ويصعد إليها من عمل أو ملك أو غيره ﴿ **وهو معكم** ﴾ بقدرته وعلمه ﴿ **أينما كنتم** ﴾ حيث كنتم وأين كنتم ﴿ **والله بما تعملون بصير** ﴾ أي رقيب على أعمال العباد ، مطلع على كل صغيرة وكبيرة . ﴿ **له ملك السمـــاوات والأرض** ﴾ لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ﴿ **وإلى الله ترجع الأمور** ﴾ إليه وحده مرجع أمور الخلائق في الآخرة فيجازيهم على أعمالهم ﴿ **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل** ﴾ هو المتصرف في الكون كيف يشاء ، يقلب الليل والنهار بحكمته وتقديره ، ويدخل كلاً منهما في الآخر ، فتارة يطول الليل ويقصر النهار، وأخرى بالعكس .

﴿ **وهو عليم بذات الصدور** ﴾ أي العالم بالسرائر والضمائر وما فيهـــا من الخفايا والنوايا . ثم أمر سبحانه بتوحيده وطاعته فقـــال : ﴿ **آمنوا بالله ورسوله** ﴾ إنْ كنتم كفاراً فكونوا مؤمنين ، وإنْ كنتم مؤمنين ، فآمنوا إيماناً كاملاً ، وداوموا عليه ﴿ **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** ﴾ أنفقوا في سبيل الله ، وسبيل الله كل خير يعود عليكم وعلى وطنكم ودينكم ، أنفقوا مما تحت أيديكم من الأموال وأنتم خلفاء الله فيها ، فالمال مال الله والخير خيره ، لأنه

خلق هذه الأموال ، وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها ، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكها أن تنفقوها فيه. والمقصود : التحريض على الإنفاق والزهد في الدنيا. ولذا قال بعده ﴿ **فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير** ﴾ فالذين جمعوا بين الإيمـــان الصادق والإنفاق في سبيل الله ابتغاء مرضات الله لهم أجر عظيم وهو الجنة : ﴿ **ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم** ﴾ أي شئ ثبت عندكم منعكم من الإيمان والحال أنَّ الرسول ﷺ يدعوكم للإيمان بخالقكم من أول الأمر، أو لتداوموا على الإيمان وتقووه ، ﴿ **وقد أخذ ميثاقكم** ﴾ وقد أخذ الله عليكم الميثاق بما نصب من الأدلة المادية في الكون ، وما خلق فينا من قوى وغرائز كلها توصل للإيمان ، لو فكرنا فيها متجردين عن الهوى وعن التقليد الأعمى . . وقيل : إنَّ الميثاق هو ما أخذه الله تعالى على الناس وهم في عالم الذر حيث أشهدهم على أنفسهم قائلاً : ألستُ بربكم ؟ قالوا : بلى . . ﴿ **إنْ كنتم مؤمنين** ﴾ إنْ كنتم تريدون الإيمان فبادروا إليه ﴿ **هو الذي ينزل على عبده آيات بينات** ﴾ هو الله تعالى الذي ينزل على عبده محمد ﷺ القرآن العظيم المعجزة في بيانه ، الواضح في أحكامه ، وقيل المراد بالآيات : المعجزات ، أي لزمكم الإيمان بمحمد ﷺ لما معه من المعجزات ، والقرآن أعظمها وأكبرها . . ﴿ **ليخرجكم من الظلمات إلى النور** ﴾ ليخرجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، ويهديكم الصراط المستقيم . ﴿ **وإنَّ الله بكم لرءوف رحيم** ﴾ أي مبالغ في الرأفة والرحمة بكم ، حيث أنزل الكتب وأرسل الرسل لهدايتكم ، ولم يقتصر على ما نصب لكم من البراهين والأدلة العقلية. والله أعلم .

أسئلة الاستيعاب :

١. كيف تسبح النباتات والجمادات والحيوانات ؟
٢. ما الدليل الذي يؤكد تسبيح هذه المخلوقات غير الناطقة ؟
٣. ما معنى : هو الأول ؟ . . والظاهر ؟ . . والباطن ؟
٤. ﴿ **خلق السماوات والأرض في ستة أيام** ﴾ لماذا خلقهما في هذه المدة وهو القادر على خلقهما في أي لحظة ؟

٥. ما معنى ﴿ **استوى على العرش** ﴾ ؟ وماذا قال السلف ؟ وماذا قال الخلف ؟

٦. ما معنى : يعلم ما يلج في الأرض ؟ . . وما يعرج فيها ؟

٧. ما الذي يدل عليه قوله تعالى ﴿ **يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل** ﴾ ؟

٨. ما الذي يترتب على قوله تعالى : ﴿ **وهو عليم بذات الصدور** ﴾ ؟

٩. المخاطبون مؤمنون ومع ذلك يقول الله تعالى ﴿ **آمنوا بالله ورسوله** ﴾ فما المقصود بذلك ؟

١٠. أمرنا الله بالإنفاق مما جعلنا مستخلفين فيه . . فما الذي يدل عليه قوله ﴿ **مستخلفين فيه** ﴾ ؟

١١. ما المراد بأخذ الميثاق في قوله تعالى ﴿ **وقد أخذ ميثاقكم** ﴾ ؟

١٢. وما الدليل على أنَّ الله أخذ الميثاق على بني آدم أنه ربهم ؟

١٣. ذكرت إحدى الآيات أنَّ الله أنزل آيات بينات لإخراج الناس من الظلمات إلى النور . حدِّد هذه الآية . وبين المراد بالظلمات . وبالنور .

١٤. علام تدل العبارة ﴿ **وإنَّ الله بكم لرءوف رحيم** ﴾ ؟

الفصل الثالث

صلة الإنسان بالله والكون في القرآن الكريم

مقدمة :

الإنسان هو ذلك المخلوق الذي صنعه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً ، ومن هذا يتضح أنَّ الله – سبحانه – هو خالق الكون كله ظاهره وباطنه بأرضه وسمائه وعوالمه الأخرى التي نجهلها ، فالصلة بين الكون وبين الله هي صلة المخلوق العاجز بالخالق القادر المهيمن الذي بيده ملكوت كل شئ . وصلة الإنسان بالله والكون هي صلة المخلوق المنسجم مع الكون كله الذي خلقه الله وسخره لهذا الإنسان ، فالكون كتاب مفتوح يتأمله الإنسان ليعرف عظمة الخالق وجلاله ، فالكون مخلوق كالإنسان تماماً وعلى هذا فعلى المرء أنْ يتعامل معه كما أراد الله فلا يفسده ولا يكدره ولهذا يشير القرآن لذلك فيقول ﴿ **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ◊ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير** ﴾ [الملك ٣ ، ٤] .

وحتى تكون صلة الإنسان بالله تبارك وتعالى عن معرفة ودراية فقد أرسل الله الرسل والأنبياء يعلمون الناس أمور دينهم ودنياهم فينعكس ذلك على سلوكهم وأخلاقهم .

وسنتناول في هذا الفصل مقتطفات من آيات القرآن الكريم تبحث في الموضوعات الآتية :

(١) الإنسان في القرآن الكريم .
(٢) الأنبياء والرسل في القرآن الكريم .
(٣) القرآن الكريم والعلم .
(٤) أخلاق المسلم وصفاته في القرآن الكريم .

(١) الإنسان في القرآن الكريم

من يتصفح سور القرآن الكريم يجده أفاض في الحديث عن الإنسان ، فإذا نظرت في سور القرآن المجيد لوجدت عدداً منهـــا يذكر الإنسان بلفظ الإنسان ، ومن ذلك سورة النساء ويونس وهود والكهف ولقمان والإنسان والعصر وقد بلغت في جملتها ست وأربعون سورة ، وكذلك ذكره بصيغ أخرى مثل بني آدم .

وتناول القرآن لهذا الإنسان كان له في كل المراحل قبل خلقه وبعد خلقه مبيناً ما صاحب إيجاده من المخلوقات كالملائكة التي أرادت أنْ تعرف سر هذا المخلوق مع أنهم خلق يسجد لخالقه ويمجده ، ومع ذلك خلق الله هذا الإنسان وبيّن للملائكة سر خلقه ، وعلمه أشياء لا تعلمها الملائكة ، وكإبليس الذي تمرد على الله وعصى فأبدى العداوة لآدم وذريته فكتب الله أنّ يظل الشيطان عدواً للإنسان إلى يوم الدين بينما سجدت الملائكة طائعة لأمر الله تعالى . إذ طبيعتهم الخضوع والطاعة : ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ [التحريم : ٦] .

وقد بيَّن القرآن الكريم الهدف من خلق الإنسان فقال : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [الذاريات : ٥٦] وبهذا تستبين الصلة بين الله والإنسان فهي صلة المخلوق الضعيف المامور بالخالق القوي الآمر الظاهر الباطن العالم بالسر وأخفى ، وبهذه الصلة تتضح مكانة الإنسان الذي يحيى في عالم الشهادة المحدود ولكنه يمتد بإيمانه بالغيب إلى عالم أوسع وأرحب فيه الملائكة والجن والكرسي والعرش والعالم الآخرون بعد الانتقال من الحياة العاجلة .

ومع أنَّ النظر في الآيات القرآنية كلها فيه دلالات متعددة إلا أنَّ بعض الآيات يستوجب الوقوف عندها ، ومن ذلك آيات خلق الإنسان .

حيث قال سبحانه ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾ [التين : ٤] . ففي الآية دلالة على تكريمه بحسن القوام وهو شئ يلمسه الإنسان من خلال نظرته للإنسان في شكله وتسخير الكائنات له رغم ضعفه ، ومنها علم الإنسان إذ يقول – سبحانه – في سورة [العلق : ٥] ﴿ **علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ وفي

سورة الرحمن حيث يقول – تعالى – ﴿ **الرحمن ◊ علم القرآن ◊ خلق الإنسان علمه البيـــان** ﴾ [الرحمن : ١-٤] ومنها تكريم الإنســـان وتفضيله على كثير من الخلائق إذ يقول – سبحانه – ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

هذه الصفات التي ذكرتها الآية جعلت الإنسان أهلاً لحمل أعباء رسالة الله والقيام بالدور الكبير الذي أوكل إليه حيث قال – تعالى – ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أنْ يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً** ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

وإذا كانت الأمانة ثقيلة كما تصورها الآيات إذ تعجز السماوات والأرض والجبال وتشفق ثم يتحملها الإنسان فذلك يعني أنه أعد إعداداً خاصاً لتحمل المسئولية التي انتخب لها دون غيره بسبب ما ميزه الله به من الإدراك وجعله محط التكليف .

خلق الله الإنسان من سلالة من طين أولاً ثم شاء أنْ يجعله نطفة في قرار مكين .

والله سبحانه – الذي خلق الإنسان من طين نفخ فيه من روحه ومنحه نعمة العقل الذي تميز بها عن سواه ، ولهذا كان الإنسان مكرماً على غيره لأنَّ الله تعالى كلفه دون غيره ، ولما أراد خلقه أطلع ملائكته عليه فسألت الملائكة عن سر خلق هذا الإنسان الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء ومع ذلك يستخلف في الأرض وقد ورد ذلك في سورة [الحجر : ٢٩] حيث قال تعالى : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ وقـــال تعالى : ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ [البقرة : ٣٠] ثم بين لهم سر هذا المخلوق فقال ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إنْ كنتم صادقين ◊ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ◊ قال يا آدم انبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** ﴾ [البقرة : ٣٣] . كما قال سبحانه

وتعالى ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

الهدف من خلق الإنسان :

خلق الله العالم كله جماده وعجماواته لعبادته ، فالكون كله المشاهد منه وغير المشاهد يسبح لله ويعبده ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ **تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

وقال – سبحانه وتعالى ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ◊ ما أريد منهم من رزق وما أريد أنْ يطعمون** ﴾ [الذاريات : ٥٦ ، ٥٧] .

وإذا كان الهدف من خلق الإنسان هو عبادة الله تعالى وطاعته فإنه يختلف عن عوالم الملائكة إذ هم ذوو طبيعة واحدة فقد خلقوا من نور ولذلك لا يعرفون سوى الطاعة لله سبحانه ، فمنهم الركع والساجدون القائمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، كما أنَّ الإنسان يختلف عن عالم الجمادات والعجماوات وغيرهما من التي لا تعي ولا تعقل ولهذا كانت ذات طبيعة واحدة، فالرعد يسبح بحمده والماء يجري بأمره والطير صفات وقابضات يسبحن بحمده ويقدسنه وهكذا .

إلا أنَّ هذا الإنسان ميز دون هذه المخلوقات بنعمة العقل والإرادة وحمل التكاليف الشرعية التي لم تكلف بها المخلوقات الأخرى ، حيث قال تعالى : ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً** ﴾ .

كما قال – سبحانه : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ [البلد : ١٠] .

ومن هنا نعلم أنَّ الإنسان خلق خلقاً خاصاً وركبت فيه طبيعة شهوانية وغريزة حيوانية وهي العنصر المادي في الإنسان ، كما أنه نفخة من روح الله ولذلك فهو في عراك بين عنصرين عنصر الطين وعنصر الروح وهذا ما تشير إليه الآية :

قال تعالى : ﴿ **إنِّي خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين** ﴾ [الحجر : ٢٩] . وبين العنصرين صراع دائم فإذا

غلب عنصر الروح كان الإنسان في أرقى الدرجات وأسماها ساعياً في الخير سالكاً سبله حتى يصير إنساناً روحانياً . وإذا غلب عنصر المادة انحط الإنسان نحو عنصر الطين فصار إنساناً حيوانياً تسيطر عليه شهوات الحيوان .

ومنهج الإسلام في ذلك وسط فإنه أراد من الإنسان أنْ يوازن بين مطالب الجسد والروح والعقل فهو إنسان بجسده وروحه وعقله وهو منهج الإسلام المتسم بالوسطية في كل الأمور ، قال – تعالى ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً** ﴾ [البقرة : ١٤٣] . وقال في الإنفاق : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكانوا بين ذلك قواماً** ﴾ [الفرقان : ٦٧] .

أنواع الناس بالنسبة للعقيدة

الناس إزاء العقيدة ثلاثة أصناف :

١. مؤمنون .
٢. كافرون .
٣. منافقون .

الطائفة الأولى آمنت بالله وصدقت بما أنزل وعملت بذلك فسميت بالمؤمنين وهذا ما تشير إليه الآية في سورة [البقرة : ٣ ، ٥] ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ ﴿ **أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** ﴾ وتعتبر هذه الطائفة منسجمة مع العالم كله الذي يسجد لله طوعاً وكرهاً وهو الموقف الذي يتناسب مع عظمة الله وجلاله ومعرفة قدره وعظيم سلطانه .

الطائفة الثانية : وهذه الطائفة تختلف تماماً عن الطائفة الأولى التي بانت صفاتها فعرفت ربهـــا وأطاعته واستحقت الهداية والتكريم . قال – تعالى ﴿ **إنَّ الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختـــم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشـــاوة ولهم عذاب عظيم** ﴾ [البقرة : ٦ ، ٧] .

وتعتبر هذه الطائفة شاذة لأنها تخالف الكون كله الذي يطيع الله – سبحانه – ويعبده ولهذا سميت كافرة لأن الدلائل على الخالق مبثوثة في الكون كله أرضه وسمائه وفي كل مخلوق من مخلوقاته لكنها غطت هذا الحق بالباطل فاستحقت هذا الوصف المناسب لها ، وهي طوائف في كفرها فمنها الملحد ومنها الكافر بالبعض ويجمعها جميعاً وصف الكفر .

وإذا كانت هاتان الطائفتان واضحتين بإيمانهما أو كفرهما فإن هناك طائفة لا تريد إظهار الإيمان فتطالب بالتكاليف الإيمانية ولا تظهر الكفر فتعد مع طائفة الكافرين ، وموقف هذه الطائفة هو موقف المتردد الخائف الذي يكره الوضوح والظهور لئلا يطالب بما يقتضيه موقف المؤمنين أو موقف الكافرين . ولخطورة هذه الطائفة نجد القرآن يتحدث عنها بإسهاب وإطناب ويتجلى في أسلوب القرآن موقفهم في الذبذبة والاضطراب حيث يقول – سبحانه ﴿ **مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء** ﴾ [النساء : ١٤٣] . وقال تعالى ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ [البقرة : ٨ ، ٩]. ويقول ﴿ **وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ◊ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ◊ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ [البقرة : ١٣ – ١٥] . كما أنَّ هناك سورة كاملة نزلت باسم المنافقين وقد كانوا طائفة خطيرة في عداوة الإسلام يتظاهرون بالإسلام ويمارسون بعض الشعائر كذباً ونفاقاً ، فهم مع المؤمنين في أول النهار وهم كافرون آخره .

صلة الإنسان بالغيب :

الغيب سمة من سمات المؤمنين المبتعثين ، وهي وحدة جمعت في نفوسهم بين الإيمان بالغيب وتحمل الأمانات واليقين بالآخرة ، وهو ضرورة لازمة لإقامة العدل ، ووضع الضوابط حتى يعلم الظالمون أنهم لا يفلتون من العقاب مهما كانت مكانتهم ، وحتى يطمئن المظلومون بأنَّ عدل الله لا يفلت منه أحد ، فإنَّ للكون رباً أقامه على العدل ، وهو العالم بكل شئ مهما عظم ودق

وسيجازي بالحسنات إحساناً ، وبالسيئات سوءاً جزاءاً وفاقاً ، وهو أمر لازم للقيام بأداء الفرائض والتكاليف التي حملها الإنسان ، وبه يتحقق الضمير الذي يراقب الله فيمتنع عن ارتكاب المحظورات ويندفع لعمل الصالحات ، وهو يعني الاتصال بين أرواح الناس والقوة الإلهية الكبرى التي صدر عنها هذا الوجود وبذلك يعلم من أوجده ؟ ولما أوجده ؟ والغاية من خلقه وإيجاده .

والإيمان بالغيب انطلاق بالإنسان إلى ما وراء المحسوس من مشاهدات إلى خلائق وموجودات . هذا الكون الذي خلقه الله فأبدع خلقه وتطلع إلى أسرار الكون والانسجام معه ، وذلك أمر يتجلى في كثير من الحوادث ولا سيما في معجزات الرسل (عليهم الصلاة والسلام) حتى كشفت كثيراً من أسرار هذا الكون وخفاياه ، ومن ذلك ما حدث لسيدنا إبراهيم (عليه السلام) الذي ألقي في النار الموقدة ولكنها لم تحرقه بل كانت برداً وسلاماً ، ومنه ما حدث لسيدنا موسى في معجزاته الكثيرة ، ومنها حادثة انغلاق البحر حتى كان كالطود العظيم ، ومنها المعجزات الباهرة لسيدنا محمد ﷺ ، ومنها انشقاق القمر والإسراء والمعراج ومخاطبة الحجارة وغيرها .

والإيمان بالغيب مما تميز به الإنسان عن مرتبة الحيوان الذي يقف إدراكه عند المحسوس ، حيث خلق لذلك . بينما منح الإنسان جوهرة يمتاز بها فيرى الكون أوسع من العالم المحدود الذي ندركه بحواسنا ، لهذا نجد الإنسان يبحث عن أشياء كثيرة من عالم الغيب المجهول ويستوي في ذلك كل البشر مؤمنهم وكافرهم ، ويدعونا القرآن للنظر في العوالم الكبرى سواء كانت في السماوات أو في الأرض ، ويذكر أشياء بعينها وبعضها وثيق الصلة بنا ، ومن ذكر عالم الجن والملائكة والكرسي والعرش والحياة الأخرى وما فيها من جزاء، وفي ذلك ربط وعلاقة بين الدنيا والآخرة ، ولهذا كان الإيمان بالغيب ارتقاء بالإنسان عن عالم الحيوان المحدود إلى عالم أرحب وأوسع يحس به الإنسان فيميزه عن عالم الحيوان والبهيمة .

أسئلة الاستيعاب :

١. في القرآن الكريم ذكرت كلمة الإنسان كثيراً ، فعلام تدل ؟
٢. اذكر بعض السور القرآنية التي تكلمت عن الإنسان .
٣. ذكرت في القرآن أطوار خلق الإنسان ، فما هي ؟
٤. ماذا نستفيد من قصة الشيطان مع سيدنا آدم أبي البشر ؟
٥. الناس بالنسبة لعقيدة الإسلام أنواع ، اذكرها بإيجاز .
٦. ما صلة الإنسان بالله – سبحانه – وبالكون وعالم الغيب ؟

للمناقشة :

- الهدف من خلق الإنسان وخلافته .
- تكليف الإنسان مستأنساً بالآية ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أنْ يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً** ﴾ .

(٢) الأنبياء والرسل في القرآن الكريم

أ) تعريف النبي والرسول :

النبي هو من أنبأه الله تعالى بخبر أو أمره بأمر ما من أمور الوحي ، قد يكون لنفسه . فإذا أمره بإبلاغه لقومه أو للناس كافة فهو الرسول . ومن هنا نعرف الفرق بين النبي وهو من نُبِّئَ ولم يؤمر بالبلاغ . وبين الرسول وهو من نُبِّئَ وأمر بالبلاغ . وقد يكون للرسول صحف أو كتاب كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه) وقد يكون مأموراً بإبلاغ رسالة محددة أو نشر دعوة من سبقه من المرسلين كما نعلم من التعريف أنَّ كل نبي رسول كالمذكورين من الأنبياء والمرسلين في قوله تعالى : ﴿ **تلك الرسل** ﴾ [البقرة : ٢٥٣] وفي قوله تعالى : ﴿ **وتلك حجتنا** ﴾ [الأنعام : ٨٣] . كما نفهم أنه ليس بالضرورة أنْ يكون كل نبي رسول كما جاء في قوله عن أحد أنبياء بني اسرائيل .

﴿ **ألم ترَ إلى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم . .** ﴾ [البقرة : ٢٤٦] . ولم يسمَ هذا النبي ولا عرفت له رسالة . كما جرى الخلاف أيضاً عن العبد الصالح الذي صاحبه موسى (عليه السلام) ، وعن فتى موسى وهو يوشع بن نون ، هل هما من الأنبياء أم لا ؟ والله أعلم بحالهما وأنهما لمن الصالحين .

الرسل كثيرون في تاريخ البشرية ولكن القرآن الكريم ذكر أسماء خمسة وعشرين منهم فقط أوجب الله تعالى الإيمان بهم كما جاء في قوله سبحانه : ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

لكن القوس ظل مفتوحاً في تعداد المرسلين حيث لا ينبغي نفي أنَّ هناك مرسلين آخرين ؛ لأنَّ القرآن يثبت حقيقة أنَّ آخرين منهم لم ترد أسماؤهم في الكتاب الكريم . قال تعالى : ﴿ **ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً ◊ رسلاً مبشرين**

ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ [النساء ١٦٤، ١٦٥].

ومن استعراض أسماء الأنبياء في القرآن الكريم نعلم أنَّ الرسول لا بد أنْ يكون ذكراً ، بالغاً ، حراً ، رشيداً ، ذكياً ، كاملاً في أوصافه الخلقية والخلقية. وأن الرسول يلتزم الصدق والأمانة ، والتبليغ والفطانة . وأنَّ له معجزة كحجة وبرهان . وأنه لا يسأل على دعوته أجراً أو ثواباً دنيوياً . وأنَّ كل الرسل محتسبون مجاهدون وأنهم يوقرون السابقين منهم ويبشروا باللاحقين. والحمد لله رب العالمين .

ب| الحاجة إلى إرسال الرسل :

الحقيقة الواضحة أنَّ البشر يختلفون في معرفة الحق ، وفي طريقة الوصول إليه . هذا الاختلاف قديم قدم الإنسانية ذاتها . وبالرغم من أنَّ الله عز وجل كرم الإنسان بالعقل ، وبالفطرة إلا أنهما ليسا كافيين لهداية الإنسان كما هو مشاهد من تاريخ الأمم البائدة . لم يترك الله عز وجل الإنسانية دون هداية بل أنه أرسل ﴿ **رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾** [النساء : ١٦٥] .

وحين أنزل آدم أبا البشر (عليه السلام) وأمنا حواء إلى هذه الأرض لعمارتها ، ظهرت الحاجة إلى الهداية وإلى الطريق القويم الذي يقود إلى السعادة ولذا تفضل الله برحمته : ﴿ **قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ﴾** [طه : ١٢٣] . والعداوة المشار إليها في الآية سببها – والله أعلم – إما عدم معرفة الحق أو عدم قبوله والإذعان له . من أجل المعرفة وبيان الحق كانت بعثة الرسل لهذه المقاصد :

المقصد الأول : تعريف النـــاس بخالقهم جل وعلا بأسمائه وصفاته وآلائه وأفعاله . قال تعالى : ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أنْ أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾** [النحل : ٣٦] .

المقصد الثاني : أنْ يعبدوا الله الخالق المنعم المتفضل على خلقه أجمعين ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾** .

المقصد الثالث : أنْ يقوم ميزان العدل بين الناس كما جـــاء في قوله عز وجل : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتـــاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** ﴾ [الحديد : ٢٥] .

المقصد الرابع : أنْ يؤمنوا بالغيب ويستعدوا للحساب يوم البعث والنشور .

المقصد الخامس : أنْ يعيشوا حياتهم وفقاً لمراد الله الذي وضحه فيما جاء به الأنبياء من وحي .

هذه المقاصد توضح الحاجة الماسة لتتابع الرسل جيلاً بعد جيل ، فبعد أن ذكر الله تعالى في كتابه الكريم قصة سيدنا نوح (عليه السلام) والطوفان الذي أهلك الكافرين قال : ﴿ **ثم أنشأنا من بعدهم قرناً ءاخرين فأرسلنا فيهم رسولاً منهم أنْ اعبدوا الله مالكم من إله غيره . .** ﴾ [المؤمنون : ٣١ – ٣٢] إلى أنْ يقول جل وعلا : ﴿ **ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين ◊ ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ◊ ثم أرسلنا رسلنا تترا كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون** ﴾ [المؤمنون : ٤٢ – ٤٤] .

ولما كانت سلسلة الأنبياء لتستمر إلى ما لا نهاية لاستحالة التسلسل . فكان لا بد بعد وضوح الحق واكتمال الوحي أنْ تنتهي هذه السلسلة عند درتها وجوهرتها خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله ﷺ . وقد أوضحت سورة البينة أنَّ اختلاف الناس يستمر حتى بعد وضوح الحق ولكن في هذه الحالة لا عذر لهم في الإختلاف بعد البيـــان : ﴿ **رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة ◊ فيها كتب قيمة** ﴾ [البينة : ٢ ، ٤] .

ج| وظائفهم ووعد الله لهم بالنصر :

وظيفة الرسل البيان ، والهداية ، والرحمة . وقد جمعت هذه الوظيفة الآية الكريمة التي تقول : ﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ [النحل : ٦٤] .

كذلك من وظائف الرسل التذكير بالله تعالى وبما ينتظر الإنسان من حساب وجزاء . يقول الله تعالى :

﴿ **ولقد وَصَّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون** ﴾ إلى أنْ يقول سبحانه : ﴿ **وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون** ﴾ [القصص : ٥١ – ٥٩] . ويقول جل جلاله لرسوله محمد ﷺ مواسياً : ﴿ **ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾ [الروم : ٤٧] .

والنصر للأنبياء في الدنيا والآخرة جاءت به الآيات كما في قوله سبحانه ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد** ﴾ [غافر : ٥١] . أما في الحياة الدنيا فإنَّ نصرهم هو انتشار دعوتهم بغض النظر عن مصائرهم الذاتية ، وأما نصرهم في الآخرة فهو الرضوان من الله تعالى . وقد يأتي نصرهم في الدنيا بعد يأس تسبقه معاناة وزلزلة . قال تعالى : ﴿ **حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين** ﴾ [يوسف : ١١٠] .

لقد جاهد انبياء الله تعالى الكفار والمشركين وصبروا على ما أوذوا وقاوموا أصناف التعذيب والاضطهاد . ويسوق الله تعالى للمؤمنين من أمثالهم ومواقفهم حتى يكونوا لهم قدوة في تحمل مشاق الدعوة . قال تعالى : ﴿ **أم حسبتم أنْ تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتىيقول الرسول والذين معه متى نصر الله ألا إنَّ نصر الله قريب** ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

ورسولنا الكريم أتاه النصر في أشد الساعات حلكة حيث طارده الكفار ليثبتوه صلباً يوم الهجرة أو يقتلوه جمعاً ليلتها . . وقد خاطب القرآن الكريم أعداءه فقال : ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنَّ الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم** ﴾ [التوبة : ٤٠] .

د| تفضيل بعض الأنبياء والرسل على بعض :

مع أنَّ مستوى الأنبياء والرسل في الفضل يفوق فضل البشر العاديين لأنهم خيار من خيار . ولأنَّ الله تعالى اصطفاهم واجتباهم من بين سائر الخلق إلا أنَّ سنة الله تعالى جرت أنْ تتفاضل الأنبياء كما تتفاضل الأشياء وتلك سنة من سنن الكون . قال تعالى :

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات . . ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

موسى عليه السلام مثلاً طلب من ربه أنْ يراه ولكن الله تعالى لم يشأ أنْ يعطه ما طلب . ولكن محمداً عليه الصلاة والسلام أرسل إليه في رحلة الإسراء والمعراج فناجى ربه عز وجل وكلمه . وعيسى عليه السلام كانت دعوته لبني اسرائيل خاصة في حين أنَّ محمداً عليه الصلاة والسلام أرسل للناس كافة للأحمر والأسود قال تعالى : **﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾** . نوح عليه السلام دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً فما أجدت دعوته ، فدعا عليهم فأهلكهم الله تعالى بالطوفان . لكن محمد ﷺ نجح في دعوته في أقل من ثلاثة عقود من الزمان . ولم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد عمت دعوته كل جزيرة العرب والأقطار المجاورة . وطلب منه في ساعات الشدة أنْ يدعو على أهل مكة فأبى داعياً الله تعالى أنْ يخرج من أصلابهم من يعبده ويوحده . وهكذا نجد في رسالته ﷺ العدل والإحسان والتسامح . في حين نرى في دين اليهود صرامة القصاص " العين بالعين " ونجد في دين النصارى ليونة يضيع معها الحق " من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر " وهي مواقف لا تجد لها في دنيا الواقع من يرعاها حق رعايتها في مواكب الفاسقين .

هـ| أخذ الميثاق :

أخذ الله ميثاق النبيين أنْ يبينوا للناس الحق ، وأنْ يبشروا بمحمد ﷺ وأنْ ينصروه إذا حضروه وفعلاً جاء الوحي بهذه الحقيقة . قال تعالى : **﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما ءاتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما**

معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﴾ [آل عمران : ٨١] .

وها هو عيسى بن مريم كما جاء في القرآن الكريم ينفذ هذا الميثاق بما ورد عنه من قول الله تعالى : ﴿ **وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾ [الصف : ٦] .

ولقد جاءت أوصاف النبي محمد ﷺ وأوصاف أصحابه في التوراة والإنجيل حسبما ورد في آخر سورة الفتح : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة . ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه . .** ﴾ [الفتح : ٢٩] .

أنبياء بني اسرائيل كلهم كانوا على ميثاق مع الله عز وجل في أمور كثيرة لكن من أهمها هذه البشارة بالنبي الخاتم التي حرفها أتباعهم وأزالوها من كتبهم بالرغم من أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم . ولقد سأل عالم كبير أحد أهل الكتاب قائلاً له : أتزعمون أنَّ في كتابكم ذكر ما كان وما يكون ؟ قال : نعم . قال له العالم : إذن فما الذي جاء عن رسول الإسلام محمد . . وقد حول جزيرة العرب الوثنية إلى الإسلام وأخرج اليهود منها وتسامح مع النصارى وخرجت جيوشه بعد ذلك ودمرت امبراطورية الفرس والروم . ما الذي تجدونه عندكم حول هذه الأحداث الجسام ؟ فما حار عالم أهل الكتاب هذا جواباً وارتج عليه ولم يفتح عليه بكلمة . إنه الحسد الذي حجب هؤلاء عن إنفاذ هذا الميثاق . قال تعالى :

﴿ **ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردوكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق . .** ﴾ [البقرة : ١٠٩] .

و| اصطفاء الله من يشاء من عباده :

النبوة كما يقول علماء العقيدة وهبية لا كسبية بمعنى أنَّ الله تعالى يصطفي من يشاء من عباده لهذه الوظيفة الشريفة وأنه لا دخل لاجتهاد الفرد واكتسابه في هذا الاختيار . قال تعالى : ﴿ **الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن**

الناس إنَّ الله سميع عليم ﴾ [الحج : ٧٥] . ويقول سبحانه في اختيار اتباع الأنبياء : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** ﴾ [فاطر : ٣٢] . جاءت هذه الآية في اصطفاء الله للأنبياء أصحاباً وحواريين . وكان خاتمهم محمدا ﷺ قد اختار له من خيار أهل الأرض من نصر دعوته فهم أشداء على الكفار رحماء بينهم .

والإختيار للنبوة لا يأتي بالتمني أو الإقتراح لذا كان الرد حاسماً على بعض أهل مكة لما عارضوا نبوة محمد ﷺ وقالوا : " لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " . كان الرد عليهم : ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون** ﴾ [الزخرف : ٣١ ، ٣٢].

الأمر إذن ليس قسمة معايش وإنما هو رحمة من ربك وهبة ، وحتى المعايش إنما قسمها الله تعالى ورفع بعض الناس على بعض درجات فهو العليم الحكيم. ومن قديم جرى الإختيار للنبوة وفق علم الله تعالى وحكمته. قال تعالى : ﴿ **إنَّ الله اصطفى آدم ونوحاً وءال إبراهيم وءال عمران على العالمين ◊ ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم** ﴾ [آل عمران : ٣٣ ، ٣٤] .

وإذا كانت درجة النبوة والرسالة تمنح اصطفاءً ربانياً فإنَّ درجة الولاية أو الصديقية كذلك يصطفي الله لها من يشاء فها هي مريم ابنة عمران تبشرها الملائكة قائلة لها : ﴿ **يا مريم إنَّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين** ﴾ [آل عمران : ٤٢] . وطالوت لما اصطفاه الله تعالى لما علم من صفاته رد اقتراح من اعترض عليه من بني اسرائيل قائلاً لهم : ﴿ **والله يؤتي ملكه من يشاء** ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

وقد تحصل من كل ذلك أنَّ الله تعالى يصطفي لرسالاته وكلامه من يشاء وأنَّ على المؤمنين أنْ يستجيبوا للمبلغين عن الله وأنْ يسلموا عليهم وقد أمر الله تعالى عباده بأمر فقال : ﴿ **قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ءالله خير أمَّا يشركون** ﴾ [النمل : ٥٩] .

ز| الأنبياء يتلقون علومهم من الله تعالى :

كما أنَّ درجة النبوة والرسالة وهبية فإنَّ العلوم التي نقلت عنهم أيضاً وهبة من الله تعالى . ﴿ **وما كان لرسول أنْ ياتي بآية إلا بإذن الله** ﴾ [غافر : ٧٨] . ولما عرف الأنبياء هذه الحقيقة ما منهم من أحد إلا ويقول : " إنما أنا نذير مبين " . وما أرسل رسول إلا ويقول : " اعبدوا الله واتقوه " . ويقول الله تعالى لعبده ورسوله محمداً ﷺ : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فأعبدون** ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

ثم تمضي آيات القرآن الكريم توضح هذه الحقـــائق للمصطفى ﷺ فتقول : ﴿ **وما كان لبشر أنْ يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب و يرسل رسولاً يوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم ◊ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ◊ صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ [الزخرف : ٥١ – ٥٣] .

ويبرهن الرسول محمد ﷺ على أنَّ العلم الذي جاءه إنما هو من عند ربه وليس من عند نفسه بعدة طرق منها قوله : ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي انْ ابدله من تلقاء نفسي إنْ اتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إنْ عصيت ربي عذاب يوم عظيم ◊ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون** ﴾ [يونس : ١٥ ، ١٦] .

طريقة أخرى يبرهن بها على كذب الإدعاء بأن ما يعلمه بشر فيقول : ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** ﴾ [النحل : ١٠٣] .

وطريقة ثالثة تعرف من خلال النص ومحتواه فيقول سبحانه : ﴿ **ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في ءاذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾ [فصلت : ٤٤] .

ح| معجزات الرسل :

المعجزة هي الأمر الذي لا يستطيع عامة البشر الإتيان بمثله . وهي الأمر الخارق للعادة ، المقرون بدعوى النبوة والرسالة . والذي يخرق العادة هو مالك الكون الذي يستطيع أنْ يخلف القوانين الطبيعية ويبطلها . وهو بتأييده لدعوى مدعي النبوة كأنه يقول : " صدق عبدي فيما يبلغ عني " .

وما من رسول إلا وكانت له معجزة وتسمى البيِّنة لأنها تبيَّن الحق وتدحض الباطل والتكذيب . وجمع البيِّنة بيِّنـــات وهذه البيِّنات أو المعجزات أنواع :

١. نوع من قبيل إبطال السنن الكونية كعدم إحراق النار (لإبراهيم) عليه السلام ، أو انشقاق القمر لمحمد ﷺ .
٢. نوع آخر من قبيل الحجة الظاهرة والبيان الواضح كمحاجة عيسى عليه السلام لقومه الذين ألهوه وادعوا بنوَّته . ومثل محاجة إبراهيم عليه السلام للنمرود الملك الجبار الذي ادعى إنه إله يحيي ويميت ويقدر على كل شئ !! ﴿ **قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر** ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .
٣. ومن البينات القول المعجز الذي لا يستطيع البشر الإتيان بمثله . فهو القرآن الكريم الذي ظل ولا يزال حجة على البشر لعجزهم عن الإتيان بمثله ولو كانوا أبلغ البلغاء الذي نزل فيهم . وهو متحدي لهم بقوله : ﴿ **وإنْ كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إنْ كنتم صادقين ◊ فإنْ لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾ [البقرة : ٢٣ ، ٢٤] .

وقد طلب بعض هؤلاء الكافرين في الأمم السابقة آيات فجاءتهم الآيات وفق ما طلبوا وحيث لم يؤمنوا أهلكوا . قال تعالى : ﴿ **أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ◊ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون** ﴾ [الروم : ٩ ، ١٠] .

وآخر المعجزات الكبرى هي معجزة القرآن ، وهي النبأ العظيم الذي هم فيه يختلفون يهود ونصارى ومشركون . وهو البيِّنة . . ﴿ **رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة ◊ فيها كتب قيمة** ﴾ [البيِّنة : ٢ ، ٣] . وللرسول محمد ﷺ معجزات أخرى كثيرة ولكن أهمها ما ذكر لأنه أمي أتى بهذا النظم والمعنى المعجز . وأميته ثابتة بنص القرآن وبما أشار إليه سفر أشعياء من العهد القديم الإصحاح ٢٩ فقرة ١٢ – نسخة الملك جيمس دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

ط| ختم الرسالة وحكمته :

أشرنا إلى ضرورة ختم الرسالة لاستحالة التسلسل إلى ما لا نهاية في الرسالات . ولاكتمال الوحي ونضوج البشرية بعد بدائيتها وتيهها الذي عاشت فيه . ولا ترد هنا حجة بأن بعض البشر لا يزالون على الوثنية أو الشرك أو الإلحاد . لقد وضح لهم الدين يوم أن قال الله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ [المائدة : ٣] . ويوم أنْ قال : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليماً** ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

والحكمة الظاهرة من ختم النبوة والرسالة هي تضمين ما في الكتب السابقة في القرآن الكريم وتحديد معالم المستقبل في سلوك الإنسان في هذا الكتـــاب . فهو ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيـــم حميد** ﴾ [فصلت : ٤٢] . الإشارة للمستقبل ﴿ **من بين يديه** ﴾ والإشارة الثانية للماضي ﴿ **من خلفه** ﴾ فهو تام بتمام قوله : ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً** ﴾ [الأنعام : ١١٥] .

قال المفسرون " صدقاً " في الأخبار . . " وعدلاً " في الأحكام !! الأخبار تشير إلى الماضي . والأحكام تشير إلى الحاضر والمستقبل . ومن أجل ذلك كانت لرسالة محمد ﷺ الهيمنة على الكتب الماضية وعلى كل أهل الكتاب. قال تعالى لرسوله محمد ﷺ : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بماانزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة**

واحدة ولكن ليبلوكم فيما ءاتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾ [المائدة : ٤٨] .

نفهم من هذا النص الصريح أنَّ الرسالة الخاتمة هي رسالة القرآن الكريم لأنه بحكمة الله جمع فأوعى . لكن هذه الهيمنة لا تعني إكراه الآخرين على اعتناقه بدليل قوله تعالى : ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ﴾** الآية . وبعبارة صريحة إنَّ الرسالة الخاتمة وضحت السبيل لمن أراد الهداية ولكن إذا أبى رسالة الإسلام الخاتمة فلينتظر يوم الدينونة الكبرى لينبئوا بما كانوا يعملون وبالتالي يجري الحساب ﴿ **فإنْ تولوا فاعلم إنما يريد الله أنْ يصيبهم ببعض ذنوبهم ﴾** [المائدة : ٤٩] .

أسئلة الاستيعاب :

أ/ ١. عرِّف كل من الرسول والنبي مع توضيح الفرق بينهم .

٢. كم عدد الرسل الذين تم إرسالهم ؟

٣. ما الشروط التي يجب أنْ تتوافر في كل رسول ؟

٤. اذكر المقاصد من بعثة الرسل .

٥. ما وظيفة الرسل ؟

٦. وعد الله سبحانه وتعالى لرسله بالنصر ولجنده بالغلبة :

أ. اذكر أدلة من القرآن الكريم .

ب. هات أمثلة من قصص الأنبياء وتاريخ الرسل .

٧. ما الميثاق الذي أخذه الله على الأنبياء السابقين ؟

٨. أيَّد الله سبحانه وتعالى رسله ببينات مختلفة . اذكر معجزات كل من الرسل الآتية أسماءهم مع توضيح نوعها :

أ. نوح عليه السلام .

ب. محمد صلى الله عليه وسلم .

ج. ابراهيم عليه السلام .

د. موسى عليه السلام .

هـ. هود عليه السلام .

و. صالح عليه السلام .

٩. بماذا تميزت دعوة الرسول ﷺ عن دعوات الرسل السابقين ؟

١٠. ما أهميَّة ختم الرسالة ؟ وما الحكمة من ذلك .

ب/ ناقش هذه العبارات :

١. العقل وحده ليس كافياً لهداية البشر .

٢. لا يكتمل إيمان المرء إلا بالإيمان بالرسل .

٣. رسل الله عليهم السلام يختلفون في الفضل والدرجات .

٤. النبوة هبة من الله .

(٣) القرآن الكريم والعلم

أ) العلم صفة من صفات الله والتعليم صفة من أفعاله :

أول ما نزل من القرآن الكريم ذكر بوضوح صفة من صفات أفعاله جل وعلا وهي قوله : ﴿ **الذي علم بالقلم** ﴾ ، فالتعليم ينبع من صفة العلم كما ينبع من أسمائه تعالى . فهو العليم ، والعلام ، والعالم . وكل اسم من هذه الأسماء ورد في القرآن الكريم بتكرار واسع. سورة القلم افتتحت بدء الوحي بقوله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق ◊ خلق الإنسان من علق ◊ اقرأ وربك الأكرم ◊ الذي علم بالقلم ◊ علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ [العلق : ١ ، ٥] .

القرآن الكريم كله حقائق علمية سواء كان ذلك في إخباره عن الغيب وذكر قصص الأمم الماضين أو كان ذلك عن إخباره بحوادث مستقبلية أو تناول بعض الظواهر الكونية . بحيث يستطيع العالم المسلم أنْ يجزم بل ويتحدى أنْ تكون أيٌ من آيات القرآن الكريم تعارض أياً من حقائق العلم الطبيعي أو الكوني. هذا في الوقت الذي تورطت فيه بعض الأسفار والكتب المقدسة (عند أهلها) في تناقضات تاريخية كتحديد عمر الكون ، وتكوين ونشأة الأسرة البشرية الأولى وتسلسل سلالاتها وغير ذلك . ولهذا يقول الله تعالى في كتاب العلم القرآن الكريم : ﴿ **وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم** ﴾ [آل عمران : ١٩] . وهذا العلم المشار إليه تضمنته آيات القرآن الكريم في منهجه التشريعي ، ومنهجه الدعوي والتربوي في منهجه في الإعجاز العلمي. حيث أنَّ المعجزات العلمية بدأت تتكشف كلما تقدم العلم الكوني. وهذا الإعجاز كامن في الكتاب المعجز ، وسيتنزل شيئاً فشيئاً حتى تستكمل حقائق الوحي . يقول الله تعالى : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيَّن لهم أنه الحق ◊ أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد** ﴾ [فصلت : ٥٣] .

وشهادة الحقائق الكونية التي اكتشفت في عصرنا هذا للقرآن أوضح ما تكون في أمثلة مجسدة بمنهجية التأمل والنظر في الآفاق والأنفس . في الآفاق نرى دقة الجهاز التنفسي للإنسان مع الهواء ، والجهاز الهضمي مع الغذاء ،

والجهاز البولي مع الماء ، وفي الأفلاك نرى الشمس والقمر بحسبان ، وفي كل من هذه الإشارات عمق في التناول . إنه الله تعالى الذي رفع قدر العلم والعلماء حين قال : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير** ﴾ [المجادلة : ١١] .

ب| مصادر العلم : الوحي والعقل والحواس ثم الرؤيا والإلهام :

وضح مما سبق أنَّ العلم من عند الله تعالى . وهو متضمن في كتاب الله تعالى القرآن الكريم لكن هناك وحي آخر بجانب القرآن الكريم وهو السنة المطهرة فقد أوتي نبينا محمد ﷺ القرآن الكريم ومثله معه وهو السنة . والتي قال المفسرون أنَّ الإشارة إليها كانت في الآية : ﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾ [النساء: ١١٣].

وبنفس المعنى يخاطب جيل الرسالة الأول فيقول : ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾ [البقرة : ١٥١] . والسنة هي البيان المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبيِّن للناس ما نزل إليهم** ﴾ [النحل : ٤٤] . كيف لا والقرآن يؤكد أنَّ النبي ﷺ مبلغ عن الله تعالى ومعصوم : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحي يوحى** ﴾ [النجم : ٣ ، ٤] .

ولأنَّ الوحي يخاطب العقلاء وهم المكلفون كان العقل مصدراً من مصادر العلم والمعرفة . ولم ينف الله تعالى العلم المادي عن الذين يعلمون فقط ظاهراً من الحياة الدنيا . وبالطبع لأنَّ وسيلتهم كانت استخدام العقل ﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ [الروم : ٧].

والعقل لاعتماده على الحواس في كثير من الأحيان كانت الحواس أيضاً مصدراً من مصادر العلم . فحين شاهدت حواس سحرة فرعون المعجزة الباهرة التي جاء بها موسى عليه السلام علموا أنَّ الأمر ليس من باب السحر وإنما هو المعجزة . وحين رأى بعض من أراد الله بهم خيراً من أهل الكتاب الرسول محمداً ﷺ وشاهدوه عرفوا فيه العلامات الواردة في كتبهم فأسلموا . لكن الحواس التي تساعد على تحصيل العلم أو معرفة الحق هي التي لا يحول بينها

حائل ولا يمنعهـــا مانع ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصـــار ولكن تعمى القلـــوب التي في الصدور** ﴾ [الحج : ٤٦] . ويقول سبحانه : ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهـــم ءاذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ [الأعراف : ١٧٩].

أما أصحاب البصائر النافذة فقد يجدون مصدراً للعلم في الرؤية المنامية فإنها كما قال المصطفى ﷺ " جزء من ست وأربعون جزءاً من النبوة " والرؤيا الصادقة من المبشرات " كما جاء في حديث آخر . ومصدر آخر للعلم هو الإلهام والذي قد تنكشف به بعض الخفايا العلمية أو يثبت به الله تعالى علم طالب العلم مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم** ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

ج| فضل العلم ومنزلة العلماء :

الشواهد كثيرة في القرآن الكريم على فضل العلم . ذلك أنَّ العلم يرتفع به الجهل ويخالف به الإنسان العالم الحيوان الجاهل . قال تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب** ﴾ [الزمر : ٩]. ورد الله تعالى أمر الحكم والفتيا إلى العلماء وسماهم أهل الذكر فقال :

﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إنْ كنتم لا تعلمون** ﴾ [النحل : ٤٣] . ونلاحظ أنَّ أول الآية يتحدث عن المرسلين وآخرها يوجه بالرجوع إلى أهل الذكر من العلماء مما يبين أنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء كما جاء في حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أبو داؤد وغيره . وحين شهد الله تعالى لنفسه بالوحدانية ثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم** ﴾ (آل عمران : ١٨) .

وقد جاء في السنن أنَّ النبي ﷺ قال : " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " رواه البخاري ومسلم . وقد روى الترمذي أنَّ النبي ﷺ قال : " فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي " وهذه مقارنة بين درجة

النبوة ودرجة العالم مثل ما جاء في حديث العلماء ورثة الأنبياء لأن جامع الشبه في كل توريث العلم . وفي رواية أخرى " فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب " .

وفي فضل العلم ومنزلة العلماء قال الإمـــام علي لتلميذه كميل بن زياد : " يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال !! والعلم حاكم والمال محكوم عليه . والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق " .

ولشرف العلم كان طلبه فريضة على كل مسلم . ويحث الحق عز وجل على تعلمه فيقول : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منكم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** ﴾ [التوبة : ١٢٢] .

ولهذا أمر الله بنشر العلم وعدم كتمانه وجعل نشر العلم من العمل الجاري الذي لا ينقطع بموت صاحبه . " وأنَّ الله تعالى وملائكته وأهل سماواته وأرضه حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير " . وواضح أنَّ العالم يعلم الناس الحفاظ على البيئة التي تشمل صون النمل وحفظ الحوت لأن ذلك من الخير .

د| آداب العالم والمتعلم :

في آداب العالم والمتعلم ألفت مؤلفات كثيرة وذلك لشرف العلم ذاته . وما دام هذا الشرف محيط بالعلم فلا بد أنْ يطول هذا التشريف من يشتغل بالعلم عالماً ومتعلماً . ومن هنا يلزم حسن الأدب والتحلي بمكارم الأخلاق . ومن آداب طالب العلم الآتي :

١. تطهير النفس من رذائل الأخلاق وذميم الصفات كالحسد والكبر والعجب بالنفس .
٢. التحلي بالفضائل كالصبر والوقار والتواضع .
٣. إخلاص النية وتنقية الطوية والإقبال على التعلم بهمة علية .
٤. حسن الأدب مع المعلمين وتوقيرهم وحسن معاشرتهم .
٥. التفرغ للدرس وعدم التشاغل أثناءه مهما كانت الدواعي .
٦. حسن الإصغاء وكمال الانتباه بما يلقيه المعلم .
٧. عدم التشويش بالسؤال إلى حين انتهاء الدرس .
٨. تقوى الله تعالى في السر والعلانية حتى يسعى نور الإيمان بين الطلاب .

وأما آداب العالم فهي كثيرة منها :

١. الإخلاص في العمل الذي يوصل العلم إلى طالبه .
٢. حسن القدوة حتى يكون المعلم مثالاً لطلابه في عمله بعلمه .
٣. الشفقة على الطلاب وخفض الجانب لهم .
٤. التواضع لله وعدم التجبر والتكبر على طلاب العلم .
٥. إختيار المنهج والوسيلة والأسلوب التعليمي الناجح .
٦. التحضير الجيد للمادة العلمية التي يلقيها والتأكد من دقتها .
٧. العفة والإستعلاء على المغريات المادية ونحوها أذا جاءت من المتعلمين .
٨. النصح للطلاب وزجرهم عند سوء الأدب أو التصرف والنصح لزملائه عند الإقتضاء .

هـ| العلم في الحضارة الإسلامية :

فجر المنهج القرآني الداعي للتأمل والنظر طاقة علمية هائلة عند العلماء المسلمين ولا سيما في القرون المفضلة إبان عهد النهضة الإسلامية . وهذه القرون المشرقة في تاريخ الإسلام القرن السابع والثامن والتاسع الميلادية هي ذات القرون التي يعتبرها الأوربيون عصور الظلام عندهم فهي القرون الوسطى في حضارة اوربا . وقد وفق الله العلماء المسلمين أنهم جمعوا في هذا العصر المشرق في الدولة الإسلامية أطراف العلوم التي كانت معروفة في الدنيا من علوم كونية وطبية وإنسانية وفلسفية . لقد أنشأ المسلمون المكتبات كدار الحكمة في عاصمة الخلافة بغداد ، وأنشأوا المعاهد والمدارس كالنظامية ، وكرسوا جهوداً جبارة للترجمة من اللغات القديمة . برعوا في الطب والهندسة ، واخترعوا الجبر وفنون الحساب ، واخترعوا فيه الصفر الذي لم يكن معروفاً . حاولوا تطوير علم الميكانيكا الذي سموه علم الحِيَل ، كما جابوا البحار في أعاليها واخترعوا آلات التوجيه للسفن مع معرفتهم بمواقع النجوم والكواكب .

في مجال العلم الشرعي وضعوا قواعد أصول الفقه وأصول العقائد ووضعوا قواعد نقد الحديث ذلك المنهج التاريخي المتمثل في علوم الحديث رواية ودراية . حققوا القواعد التاريخية واخترعوا أصول علم الاجتماع

والعمران . وصفوا المناهج التربوية ، ودرسوا خصائص النفس البشرية ، وبالجملة لم يتركوا لزمانهم شاردة ولا واردة إلا وأوصلوها إلى مستقرها .

في جانب اللغة والفنون والآداب اهتموا بالشعر والملاحم والسير الذاتية وفنون المعاني والبيان والبديع . وضعوا قواعد عروض الشعر وموسيقاه . واهتموا بالدراسات الأدبية والنقدية . سمقت القامة العلمية في حضارة الإسلام حتى أن هذه الحضارة كانت الرافد الذي لا ينافس للحضارة الغربية المعاصرة بشهادة شهود من أهلها .

لقد لخص الصحابي الجليل معاذ بن جبل نظرة المسلمين للعلم في المرافعة البليغة التالية التي رواها أبو نعيم في الحلية ونلخصها بتصرف :

" تعلموا العلم فإنَّ تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة . . . وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة ، والدليل على الدين ، والصبر على البأســـاء والضراء ، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قـــادة وهداة يقتدى بهم ، تقتفي آثارهم ، وترمق أفعالهم ، يبلغ العبد به منازل الأبرار . والتفكير به يعدل الصيام ، ومدارسته القيام . . . به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال والحرام . . . " .

أسئلة الاستيعاب :

١. ما الدليل على أهمية العلم .
   أ / من القرآن الكريم ؟
   ب/ من أسماء الله وصفاته ؟
   ج/ من السنة النبوية ؟
٢. اذكر مصادر العلم الرئيسة مع توضيح مدى صدق كل دليل . وما هو المصدر الرئيس للمعارف والعلوم الإنسانية ؟
٣. ما الشرط الذي يجب أنْ يتوافر لكل من :
   أ/ الحواس .
   ب/ الإلهام .
   ج/ الرؤية .

لتكون مصدراً صحيحاً من مصادر العلم ؟

٤. برهن الله سبحانه وتعالى للناس أنه هو الحق في كل ما يرونه أو يشاهدونه . اذكر الدليل من القرآن الكريم .

٥. ما أسباب انفجار الطاقة العلمية عند علماء المسلمين ؟

٦. اذكر ما قام به علماء المسلمين في المجالات الآتية مع ذكر من تعرف من العلماء في كل مجال :

أ) العلوم الكونية	ب) الرحلات والكشوف الجغرافية	
ج) الفيزياء	د) الأحياء	هـ) الفلسفة
و) التربية	ز) الفقه	ح) مقارنة الأديان
ط) الرياضيات	ي) الطب	ك) الصيدلة
ل) الكيمياء	م) الميكانيكا	
ن) اللغة	س) الترجمة	

٧. اذكر أهم المدارس التي تم إنشاؤها في ذلك العصر .

٨. اقرأ مقالة معاذ بن جبل عن العلم وناقشها مع زملائك .

ناقش هذه العبارات :

١. ما جاء في القرآن الكريم لا يعارض الحقائق العلمية .
٢. يفرح الشيطان بموت العالم ولا يفرح بموت العابد .
٣. العلم أفضل من المال .
٤. العلم يدعو إلى الحفاظ على البيئة .
٥. يجب أنْ تتوافر صفات في طالب العلم وشروط في عالمه .

(٤) أخلاق المسلم وصفاته في القرآن الكريم

أهمية الأخلاق في حياة الناس ، أفراداً وجماعات ، أهمية عظمى لا ينكرها إلا مكابر ، أو كافر ماكر . فهي ضرورة للضبط الإجتماعي الذي به استمرار الحياة في تعاون ووئام ، وأمن وسلام . لذا كان لا بد لكل أمة من نظام خلقي مُلهَم أو مكتسب ، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بالشرعة والمنهاج ، في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً** ﴾ [المائدة : ٤٨] .

والأخلاق الفاضلة هي التي تميز الإنسان عن الحيوان . فالإنسان يسير بعقيدة خلقية ، والحيوان يتحرك بغريزة حيوانية شهوانية ، وبالرغم من أنَّ الغرائز الحيوانية ، التي للإنسان منها نصيب ، فيها شئ من العاطفة كالحب والشفقة والرأفة إلا أنها مفرغة من القصد بحكم الغريزة . كما أنَّ الفطرة السليمة عند الإنسان تقود إلى شئ من الرحمة وفعل الخير إلا أنَّ هذه الفطرة قابلة للتحريف كما إنها قابلة للنماء والتطور للأفضل . " فكل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه " كما جاء في الحديث الشريف . .[١]

فالتربية والتنمية إنما تتم بمنهاج تربوي راشد ، ولا يكون المنهاج راشداً إلا إذا اعتمد على دعائم الإيمان المنبعثة من الوحي الرباني قرآناً وسنة . واستفاد من تجارب الإنسانية المرتكزة على النبوات .

أ) أهمية الإيمان للبناء الخلقي :

الإيمان كالأخلاق من الخصائص التي اختص بها الإنسان لا يشاركه فيه الحيوان ؛ وإذا كانت الفطرة والغريزة تساعدان على البناء الخلقي المتين ، فهما بمثابة مواد البناء ، فإنَّ الإيمان هو العنصر الفاعل في ربط هذه المواد حتى يشد بعضها بعضاً ، وحين يكتمل الإيمان في نفوس المؤمنين تكتمل أخلاقهم المبنية على القيم الإيمانية ، ويؤكد هذه الحقيقة قول المصطفى ﷺ : " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً " [٢] .

---

(١) الإمام البيهقي ، شعب الإيمان .
(٢) أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم .

لقد شهدت الإنسانية فترات من الحياة الزاخرة التي عمرها المؤمنون بالله بصالح الأعمال وبالقيم الخلقية النبيلة وعاش فيها المؤمنون في تناسق " فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " كما جاء في الحديث الشريف . لكن هذه القيم الخلقية إنما اكتملت ببعثة سيدنا محمد ﷺ فأخلاق المسلم التي ينبغي أنْ تدور عليها حياته هي خلاصة الخلاصات من المناهج والتشريعات والتجارب والخبرات المبنية على قيم الإيمـــان . ورسولنا الكريم في تواضعه الجم يقول : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " ويمثل نفسه في هيكل البناء الخلقي بلبنة لا يكتمل البناء إلا بها ، وحقاً إنه كذلك لأن أي بناء لا يتسق إلا بما يكمله ويجمله.

وإذا كان الإيمان هو " الإعتقاد الجازم المطابق للواقع عن دليل " فإنَّ ما يبنى عليه لا يكون إلا صحيحاً وسليماً ومتيناً ، وما يصدر عنه من قيم وأفعال وأقوال تصدر عن عقل واع ، وبرهان ساطع ، ويقين قاطع ، يعقد في القلب كما يعقد الحبل المتين . ومن هنا جاء اسم العقيدة ، عقيدة التوحيد التي هي إقرار باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالأركان .

إنَّ الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشره له ثمرات ، ولكن هذه الثمرات إنما تنمو وتزهو وتحلو إذا توافرت لها مستلزمات ومتطلبات هي بمثابة السقيا والفلاحة للزرع ، فإذا وفىّ الزارع بها حصد ثماراً طيبة ؛ وإذا لم يوف بها لم يجد شيئاً إلا ﴿ **كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾ [1] [البقرة : ٢٦٤] والصورة الوضيئة المقابلة لهذه الصورة ، صورة ﴿ **الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فئاتت أكلها ضعفين فإنْ لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير** ﴾ [البقرة : ٢٦٥] . [2]

ب| ثمرات الإيمان الخلقية :

كثيرة هذه الثمرات . ولكنا نعدد بعضها هنا لما له من صلة بموضوع هذا الفصل .

---

(١) صفوان : الحجر الأملس ، الوابل : المطر الغزير ، الصلد : الأجرد .
(٢) الطل : المطر الخفيف

أولى هذه الثمرات **المعرفة** المبنية على اليقين ، لا الظن أو التخمين . لأنَّ المؤمن حيث آمن استمع بإصغاء لقول مولاه عز وجل : ﴿ **إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري إنَّ الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى** ﴾ [طه : ١٤ ، ١٥] .

فيفهم المؤمن من ذلك الوحدانية المطلقة ، ويفهم أنه مطلوب منه سلوك معلوم هو منهج العبادة بمفهومها الشامل . ويفهم أنَّ الصلاة منهاج تزكية وتربية ناهية عن الفحشاء والمنكر ، ويفهم أنَّ ذكر الله يطرد عنه نزعات الشيطان . ويفهم أنَّ الحياة الدنيا تعقبها حياة حين تقوم الساعة ، ويفهم أنَّ الجزاء والحساب بعد قيام الساعة يقتضي الحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار ﴿ **لتجزى كل نفس بما تسعى** ﴾ فهذه صورة واضحة لمشهد كامل . إنها المعرفية أو العرفانية الإيمانية التي تسوق من أراد الله به خيراً إلى سلوك خلقي يترجح به ميزانه .

ثاني هذه الثمرات الإيمانية **الصدق** ، وهو التوجه القلبي والسلوك الظاهري المتطابقان . والصدق من أمهات الفضائل والأخلاق ، وهو أمر اختياري لا دخل للغرائز فيه ؛ ومن ثم فإن نقيضه وهو الكذب أمر إرادي يتعلق بإرادة صاحبه ، ولذا فهو مسؤول عنه . يشرح هذا ما ورد في الحديث الشريف أنَّ رجلاً سأل النبي محمد ﷺ : " أيكون المؤمن جباناً ؟ فقال نعم ! أيكون بخيلاً ؟ قال نعم ! أيكون كذاباً ؟ فقال : لا " . . . فالجبن وهو الخوف قد يكون غريزياً في صاحبه وكذلك البخل . أما الكذب فهو عن إرادة وتدبير . كشأن ذاك الجاهلي الذي وصفه القرآن الكريم بالعناد فقال : ﴿ **إنه فكر وقدر ◊ فقتل كيف قدر ◊ ثم قتل كيف قدر ◊ ثم نظر ◊ ثم عبس وبسر ◊ ثم أدبر واستكبر ◊ فقال إنْ هذا إلا سحر يؤثر ◊ إن هذا إلا قول البشر ◊ سأصليه صقر** ﴾ [المدثر : ١٨ – ٢٦] .

ثالث هذه الثمرات **الرضا** ، وهو من الصفات التي تشيع السعادة في حياة الإنسان . وهو صلاح البال والقناعة بما قسم الله سبحانه وتعالى . إنَّ المسلم يستسلم لقضاء مولاه ويرضى بما ينتج عن عمله من نتائج ، فهو يؤدي

التكاليف الشعائرية ، ويؤدي الأعمال الحياتية ، ويسدد ويقارب في المسائل الإجتماعية ، كل ذلك بهمة علية ، ثم ينتظر النتائج فضلاً من الله ونعمة . . حتى لا يغتر غرور من يقول ﴿ **إنما أوتيته على علم عندي** ﴾ [القصص: ٧٨]. وهو يحرث ولكنه يتذكر أنَّ الحصـــاد الوفير من عند الله لإيمانه بقوله سبحانه ﴿ **أفرأيتم مـــا تحرثون ◊ ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ◊ لو نشـــاء لجعلناه حطامـــاً فظلتم تفكهون ◊ إنا لمغرمون ◊ بل نحن محرومون** ﴾ [الواقعة : ٦٣ – ٦٧]. إنه في كل أعماله يبذل أقصى الجهود لإرضاء المعبود. فيبادله ربه عز وجل هذا الرضى في دنياه ويدخله جنة الرضوان في الآخرة . وإذ يرضى عنه في الدنيا. يكون في خير البرية الذين قال الحق عز وجل فيهم : ﴿ **جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه** ﴾ . [البينة : ٨] .

رابع هذه الثمرات **السكينة** ، وهي كالرضا تجلب طمأنينة النفس ، واعتدال مزاجها ، الذي يزيد في توازنها ، وفاعلية إيمانها . قال تعالى : ﴿ **هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيماً** ﴾ [الفتح : ٤] . والسكينة التي تقود إلى الطمأنينة تنتج عن اتباع الأمر الرباني الداعي إلى التوازن في المشاعر عند وقوع المقادير بالصبر عند المنح أو المنع . قال تعالى : ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أنْ نبرأها إنَّ ذلك على الله يسير ◊ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما ءآتاكم والله لا يحب كل مختال فخور** ﴾ [الحديد : ٢٢ ، ٢٣] .

خامس هذه الثمرات الإيمانية **الصبر** . والصبر من عزائم الأمور . وما نال أولو العزم من الرسل هذا اللقب إلا بالصبر الجميل والمصابرة المتصلة . ولذا أمر الله تعالى رسوله بالاقتداء بهم فقال : ﴿ **فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم** ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

ووجه سبحانه الجماعة المؤمنة فقال :

﴿ **إنْ تصبروا وتتقوا فإنَّ ذلك من عزم الأمور** ﴾ [آل عمران : ١٨٦] .

ونصح أفرادهم فقال : ﴿ **واصبر على ما أصابك إنَّ ذلك من عزم الأمور** ﴾ [لقمان : ١٧] .

والصبر نوعان : صبر على الطاعات

وصبر عن الشهوات .

مثال الأول الصبر على الصلاة مهما حُفت بالمكاره والصبر على الصحبة الخيِّرة . انطلاقاً من قوله سبحانه : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً** ﴾ [الكهف: ٢٨].

أما المثال الثاني للصبر فيأتي في آخر الآية السالفة الذكر في قوله سبحانه ﴿ **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً** ﴾ فالإفراط في الشهوات يدل على قلة الضبط النفسي ويدل على ضعف الإرادة وغياب الرؤية في عواقب الأمور ، ولا يقوى على الصبر إلا عاقل متبصر يعلم ﴿ **أنَّ الإنسان لفي خسر ◊ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [العصر : ٢ ، ٣] .

سادس هذه الثمرات **التفاؤل** فالمؤمن بالله تعالى لا يعرف اليـــأس لأنه ﴿ **لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾ [يوسف : ٨٧] . وهذا التفاؤل يقود المؤمن للعمل الصالح ، وإلى الثقة بالنفس ، والصبر على النتائج ، والثبات على المبدأ ، والإستعلاء على المخاوف . يقول الله تعالى مخاطبـــاً المؤمنين : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمـــالكم** ﴾ [محمد : ٣٣] إلى أنْ يقول : ﴿ **فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم** ﴾ [محمد : ٣٥] .

سابع هذه الثمرات الإيمانية **وحدة مشاعر الأمة وتوحدها** ؛ لأنها إنما تعبد رباً واحداً ، وتتجه لقبلة واحدة ، وتؤمن بالأصل الإنساني الواحد . فيتساوى المؤمنون حتى يكونوا كالجسد الواحد . ويتراصون حتى يكونوا

كالبنيان يشد بعضه بعضاً ولا تفاضل أو تفاوت إلا بالتقوى والاجتهاد في العبادة.
قال تعالى :
﴿ **إنَّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون** ﴾ [الأنبياء : ٩٢]. وقال جل شأنه : ﴿ **وإنَّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** ﴾ [المؤمنون : ٥٢].

وآخر هذه الثمرات التي نقتطفها ، **الهداية** الفردية والهداية الجماعية ، التي تقود إلى تطبيق المنهج الخلقي القويم . الهداية الفردية جاءت في آيات القرآن تخاطب الضمائر الفردية . قال تعالى : ﴿ **فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى** ﴾ [طه : ١٢٣] . وأما الهداية الجماعية فقد جاءت في قوله سبحانه : ﴿ **إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى** ﴾ [الكهف : ١٣] . ثم يبين سبحانه معالم الهدى في قيم قرآنية نافذة في مواضع متعددة من الكتاب الكريم ولكن نكتفي بإيراد النص الآتي : قال جل شأنه : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ◊ إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ◊ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيْمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إنَّ الله يعلم ما تفعلون** ﴾ [النحل : ٨٩ – ٩١] . ويمضي السياق القرآني في الآيات التالية يدعو إلى الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد وعدم نقض الغزل. ويذكر بالمسئولية وعدم نكث العهد ثم يختم السياق بالبشارة الآتية :
﴿ **ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ◊ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ [النحل : ٩٦ ، ٩٧] .

ج| المسؤوليّة ومراقبة النفس :

مجمل هذه الثمرات الإيمانية تقود المسلم إلى استشعار المسؤوليّة ومراقبة ما يصدر عن النفس من تصرفات ، سواء كانت أقوالاً أو أفعالاً . فيتجدد ذكر الله تعالى في النفس ، فيعلم أنه محاسب ومسؤول ، يستوي في ذلك المرسل إليهم والرسول . قال تعالى : ﴿ **فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن**

المرسلين ◊ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ◊ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ◊ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴾ [الأعراف : ٦ – ٩] .

يستخلص الواعي لهذه الآيات ، المؤمن بمضمونها ، أنَّ عمله محفوظ ، في كتاب مرقوم ، وأنه يوم القيامة عليه موزون . خاصة وأنه يقرأ أيضاً قول الله تعالى : ﴿ **وقفوهم إنهم مسؤولون ◊ مالكم لا تناصرون ◊ بل هم اليوم مستسلمون ﴾** [الصافات : ٢٤ – ٢٦] .

هل يبقى عند المسلم بعد هذا شك أنه لا بد من أنْ يراعي القواعد الخلقية في خلوته وجلوته ، في قوته وضعفه ، فإذا ترسخ عنده شعور المراقبة لجانب المولى عز وجل ، مستشعراً علمه وقدرته ، طامعاً في رحمته ، خائفاً من غضبه إذا استشعر كل ذلك كان في سره أتقى لله منه في جهره .

والمسلم يستشعر سلوك الأنبياء فيقتدي به ويتمثله . يقرأ في سورة الأنعام عن توحيد إبراهيم عليه السلام وثباته وتبرئه من الكافرين . ويقرأ عن حجته القوية ، ويقرأ عن الأنبياء الكثيرين الذين آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة. ثم يتوجه اليه الخطاب مباشرة للإقتداء بهم : ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾** [الأنعام : ٩٠] .

يقرأ المسلم في قصص القرآن الكريم العبر والعظات التربوية يقرأ الأمثال التي ضربها الله للذين كفروا ﴿ **امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾** [التحريم : ١٠] .

يعلم من هذا أنَّ المسؤوليّة فردية وأنه لا تنفع علاقة قربى بين مؤمن وكافر ، بين بر وفاجر لأن المسؤوليّة شخصية . ويقرأ أنَّ المؤمن أو المؤمنة لا يضر أحدهما وجوده في بيئة غير مؤمنة إنْ كان مؤمناً مخلصاً لله . كما جاء في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ◊ ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴾** [التحريم : ١١ ، ١٢] .

التي تستوعب هذه الآيات من الفتيات أو النساء تضع أمامها مثال هذه الصورة النقية التقية العفيفة ، لامرأة فرعون المؤمنة ومريم ابنة عمران البتول ومقاومتها لمحيط الضلال والكفر . استعلاء بالإيمان ، واستشعاراً للاحسان ، وطلباً للرضوان ، من المليك الديان . تبقى هذه الايات كلمات محفورة في الذاكرة تساعد على تحمل المسئولية لأنَّ أحداً آخر لا يغني من الله شيئاً .

د| الاستمساك بالحق والدفاع عنه :

والفتي المؤمن ينظر في قصص القرآن فيتساءل ما الذي جعل سيدنا يوسف – عليه السلام – يتسامى على إغراء امرأة العزيز ؟ ويرد كيد النسوة اللائي قطعن أيديهن ؟ إنه مراقبة الله وصيانة النفس عن الدنس . ولما حصحص الحق لم يقبل إلا بإظهار براءته وإعلان نزاهته على الملأ المطلعين على قصته.

ينظر الفتى المسلم أيضاً في قصة سيدنا عيسى (عليه السلام) ورفضه أنْ يؤله أو يقدس، وينظر في مرافعته القوية نصرة للتوحيد ضد من أشرك بالله: ﴿ **ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أنْ اعبدوا الله ربي وربكم** ﴾ [المائدة : ١١٧] . فيعلم الشاب المسلم أنَّ صدق اللهجة ، وإخلاص النية ، وكمال العبودية ، وتواضع الشخصية هو الأساس لعزة المؤمن ونبل إيمانه .

يقرأ المسلم في آيات القرآن الكريم من سيرة النبي محمد ﷺ زهده في الدنيا ، ورفضه أي مكسب مادي مقابل الرسالة وتحمل كل لأواء وضراء في سبيل الرسالة . يقول لهم في صرامة تامة :

﴿ **قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ◊ إنْ هو إلا ذكر للعالمين ◊ ولتعلمن نبأه بعد حين** ﴾ [ص : ٨٦ – ٨٨] ، ثقة وتفاؤلاً ودفاعاً عن الحق .

يقرأ المسلم قصة سحرة فرعون الذين جاءوا بهم لإبطال حجة سيدنا موسى بسحرهم العظيم . ويقرأ عن تمسك سيدنا موسى (عليه السلام) بالحق الذي جاءه وتثبيت الله له رغم تخوفه من فرعون وملأئه .

لكن حين يظهر الحق على يديه وتبدو الحجة واضحة للسحرة بما لا يمكنهم من الهروب من الحق إذ هم يعلنون إيمانهم بما جاء به موسى عليه السلام . قائلين لفرعون : ﴿ . . **لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي**

فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ◊ إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى ﴾ [طه : ٧٢ ، ٧٣].

هـ| العبودية لله وشمول مفهوم العبادة :

وإذا ترسخ الإيمان في قلب المؤمن أخلص عبوديته لله تعالى لأنه علم عِلم اليقين أنه ما من خالق غير الله يرزق من السماء والأرض . إنَّه يقرأ في القرآن الكريم الأمر الرباني بالعبادة في قوله سبحانه : ﴿ **ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل** ﴾ [الأنعام : ١٠٢] .

بل إنَّ الإنسان إنما خلق ليكون عابداً لله تعالى ، لا لأنَّ الله محتاج إلى عبادة الناس ، ولكن لأنَّ الناس محتاجون إلى نظام تشريعي وقيم خلقية يتعايشون بهما . فيما يقدم الإنسان من صدقات وتضحيات وقربات يقول الله تعالى فيها : ﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** ﴾ [الحج : ٣٧] .

والعبادة بمفهومها الشامل هي تقوى الله في كل شأن من شؤون الحياة فهو في أداء الشعائر يعبد بنية وإخلاص وحضور بال . وهو في معاملاته يراقب جانب الحق فلا يغش ولا يرابي ولا يحابي ولا يطفف في الكيل أو الوزن . . ولا يبخس الناس أشياءهم . وهو في تعامله الخلقي يلتزم الصدق والعدل والوفاء والنقاء ، يتجنب الخيانة والغدر واللدد في الخصومة . ويراعي حقوق الله الخالصة وحقوق العباد الماثلة ، فلنفسه عليه حق ، ولزوجه عليه حق ، وللوالدين عليه حقوق ، إضافة إلى حقوق الجار بالجنب والصاحب بالجنب .

في محيطه الاجتماعي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو للإصلاح ، يهتم بالشأن العام امتثالاً لقول الرسول الكريم : " من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم " ، ينصح للحاكم والمحكوم وتكون في عنقه بيعة وطاعة بهما ينتظم أمر الإدارة والحكم على منهج الإسلام . يسعى لطلب العلم إنْ كان متتلمذاً وينشر هذا العلم إنْ كان عالماً . يكسب عيشه بكده ولا يعتمد على الغير ما دام قادراً على الكسب . حتى بعد أداء صلاة الجمعة لا يتبطل بل يلتمس الرزق كما جاء في قوله سبحانه : ﴿ **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾ [الجمعة : ١٠] .

يعلم أنَّ الله لم يخلق الخلق إلا ليعبدوه كما جاء في الآية : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [الذاريات : ٥٦] . ولا يتم هذا المعنى إلا إذا التزم الواحد منهم منهج الآية الكريمة التي تنادي : ﴿ **قل إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنـــا أول المسلمين** ﴾ [الأنعام : ١٦٢ – ١٦٣] .

و| الإخلاص والنصح :

وإذ يعلم المؤمن أنه مأمور بتسخير حياته كلها لعبادة الله وفق منهجه التشريعي والخلقي والمعاشي يتحتم عليه مراعاة الإخلاص لله تعالى والنصح لأمة المسلمين وعامتهم . لأنه كما جاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال للصحابة : " الدين النصيحة " . فقالوا لمن يا رسول الله ؟ قال : " لله تعالى ، ولرسوله ، ولكتابه ، ولأئمة المسلمين وعامتهم " .

والتوجيه القرآني الواضح يقول للناس أجمعين : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ [البينة : ٥] .

نلاحظ من عبارة ﴿ **مخلصين له الدين** ﴾ شمول معاني الدين كله بدوائره الأربع :

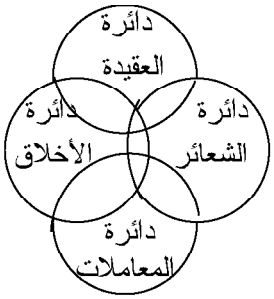

دائرة العقيدة
ودائرة الشعائر
ودائرة الأخلاق
ودائرة المعاملات

الإخلاص فيها كلها هو العبادة الحقة ، والنصح للناس بالتزامها هو الأمر المستدام في قوله ﷺ : " بلغوا عني ولو آية " . ومنهج النصح هو المنهج

الذي حددته الآية الكريمة : ﴿ **ادعوا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ [النحل : ١٢٥] .

إنَّ المطلوب مع إخلاص النية توخي الحكمة وهي بالقول اللين عند الإقتضاء كمـــا جاء في توجيه الحق عز وجل لموسى وهارون في محاجة فرعون :

﴿ **فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى** ﴾ [طه : ٢٠] . وهو بالقول الشديد القوي مع المعاندين كما جاء في قول الله تعالى : ﴿ **ولا تطع كل حلاف مهين ◊ هماز مشاء بنميم ◊ مناع للخير معتد أثيم ◊ عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ [القلم : ١٠ – ١٣] . فهذه صفات سيئة وهي تلازم الكافرين المعاندين لجأ إليها السياق القرآني إظهاراً لحكمة القول القوي عند الطلب حتى يسد الباب على المداهنة التي تتناقض مع النصح والإخلاص .

ز |التوازن بين المادية والروحية :

الإنسان مكون من جسد وروح ، وهذه حقيقة ثابتة بالمشاهدة . . الجسد بلا روح جيفة لا يتحمل بقاءها الناس ، والروح بلا جسد لا نرى لها وجوداً حيث تكون هائمة في عالم الأشباح . ومن هنا كانت للجسد مطالب كما أنَّ للروح مطالب . الجسد تدفعه الغرائز التي تحدثنا عنها في المأكل والمشرب والمسكن وسائر الضرورات والحاجات والتحسينات التي تحفظ له بقاءه وراحته، والروح أيضاً لها أشواقها ومطالبها في إشباع الوجدان بالعبادة والتبتل والزهد والارتواء من العواطف التي تحركها العظات وفنون التعبير الجميلة حتى تلتزم الحق وتسعى للخير وتعشق كل جميل ونبيل .

القرآن الكريم يفصل الحدود بين مطالب الروح ومطالب الجسد ومن ثم كانت الحدود بالمفهوم التشريعي حماية لهذا التوازن بين الحلال والحرام . إنَّ منهج القرآن الكريم يبين المادي المعترف به ، والروحي الذي لا يتجاوز إلى الرهبانية المبتدعة هو ميزان الإعتدال الخلقي الذي جاء في قوله تعالى الموضح لهذا التوازن : ﴿ **وابتغ فيما ءاتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إنَّ الله لا يحب المفسدين** ﴾ [القصص : ٧٧] . الممنوع إذن هو الفساد في الأرض . وما سماه

السياق القرآني " بالنصيب " هو مطلب الجسد هو زينة الحياة الدنيا . . فإذا تجاوز الإنسان فيها واعتدى كانت مذمومة ، وإذا اعتدل فيها وفق المنهج كانت مباحة . قال تعالى : ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ◊ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأنْ تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأنْ تقولوا على الله ما لا تعلمون** ﴾ [الأعراف : ٣٢ ، ٣٣] .

القرآن الكريم إذن يعترف بحقيقة المادي في الإنسان ويتيح له إشباعه ولكنه يحبذ الروحي منعاً للاندفاع من القمم إلى السفوح حيث السقوط المريع . هذا الضبط بعد الإقرار بالواقع جاء في قوله تعالى :

﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ◊ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** . . ﴾ الآية . [آل عمران : ١٤ ، ١٥] .

ح| العقلانية :

التوازن السلوكي عند المسلم قائم على العقل بداهة ، وعلى العلم أصالة. فما من أمر أمر الله تعالى به في الكتاب الكريم والسنة المطهرة إلا وكان متسقاً مع بداهة العقول . وما من نهي نهى الله عنه إلا وكان فيه الضرر المنظور أو الأذى المظنون . والآية السابقة أوضح برهان على ذلك ﴿ **قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن** ﴾ .

وعبارة ﴿ **إنْ كنتم تعقلون** ﴾ تتردد في القرآن الكريم ترداداً لا يمل أبداً لأنها دعوة إلى التأمل والتفكر ، إنها دعوة إلى إعمال النظر . وذلك من الإنصاف لأصحاب العقول . وهذا الطلب للمحاكمة العقلية لا يتجرأ عليه إلا صاحب الحجة البالغة والبرهان الساطع . فمادة (عَقَلَ) في القرآن الكريم وردت نحو خمسين مرة ، أما مادة (عَلِمَ) فقد وردت أكثر من سبعمائة مرة بتصريفاتها المختلفة . ألا يدل ذلك على احترام العقول واستخدامها لاستخراج العلم اليقيني الذي تبنى عليه كل الأعمال أو هكذا ينبغي أنْ يكون .

الخطاب العقلاني للناس كافة أوضح ما يكون في التذكير بالجوانب العقدية والأخلاقية . وفي هذا الميدان تتردد آيات القرآن الكريم تدعو إلى التفكر والنظر والسير في الأرض للإعتبار بعاقبة الكافرين . قال تعالى : ﴿ **والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ◊ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمَّر الله عليهم وللكافرين أمثالها** ﴾ [محمد : ٨ – ١٠] .

وبينت السورة نفسها أنَّ المنافقين والكافرين لا ينتفعون بما يرون أو يسمعون لأنهم لا يحكمون عقولهم . فإنْ سمعوا فسماع من ينعق بما لا يسمع ، أو من يسمع فلا يفهم ، وذلك ما أشارت إليه الآية الكريمة التالية : ﴿ **ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال ءانفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم** ﴾ [محمد : ١٦] .

وبالطبع فإنَّ الهوى لا يجتمع معه العقل بل يهوي به في مكان سحيق . العقل الواعي هو الذي يعلم أنه لا إله إلا الله . . وهو في مجال السلوك أوَّاب .. يرجع عن الخطأ بالإستغفار والتوبة . لأنه يقرأ آية العلم الكاشفة : ﴿ **والله يعلم متقلبكم ومثواكم** ﴾ [محمد : ١٩] . ينتفع بهذا التذكير المؤمنون أما المفسدون في الأرض المقطعون لأرحامهم ﴿ **أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم** ﴾ [محمد : ٢٣] ومن ثم ياتي السؤال الإستنكاري : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ [محمد : ٢٤] .

ط| الأصالة والمعاصرة :

أصالة المسلم نابعة من أنَّ له مرجعية يرجع إليها في كل شؤونه . الأخلاق عند المسلم ليست نسبية ولا عرضية ، إنها نابعة من مصدري الوحي والقرآن والسنة ، ومن التطبيق العملي في سلوك المصطفى المجتبى محمد ﷺ . فشمائله وسيرته كلها كتاب مفتوح لا خفاء فيها أو غموض ، حياة عايشها أصحـــابه فعشقوا القدوة وتمثلوا الأسوة حين استوعبوا قول ربهـــم عز وجل : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

أصالة المسلم تنبع من أنَّ له تصوراً واضحاً عن الكون وخالق الكون ، عن الحياة وغاياتها ، عن المعاش والمعاد . يعلم المسلم أنه لم يخلق عبثاً ، ولم يأت لهذه الحياة سُدى . يعلم الإجابة القاطعة على الأسئلة الخالدة : من أين ؟ وإلى أين ؟ ولم ؟ وكيف ؟ تلك الأسئلة التي حار كثير من الفلاسفة في الإجابة عنها لأنهم لم يهتدوا بالوحي الرباني . ﴿ **تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون** ﴾ [الجاثية : ٦] . ووفقاً لهذا التصور الواضح عن الحياة وغاياتها المشار إليها بقوله تعالى : ﴿ **هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون** ﴾ . تأتي مسؤولية المعرفة وما يترتب عليها في الآيتين التاليتين :

﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أنْ نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ◊ وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزي كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ [الجاثية : ٢١ ، ٢٢] .

هذا الطريق الواضح الذي لا يستوي فيه أهل الحسنات والذين اجترحوا السيئات طريق أصالة لا تقليد . المسلم لا يتبع ما ألفى عليه الآباء إلا إذا كان هو الحق . المسلم لا يقلد تقلبات " الموضات " السلوكية ، ولا " الموجات " الفكرية ، لأنه صاحب أصالة ، وحامل رسالة ، ومن هنا كان لا بد له من معرفة الواقع المحيط به ، والتفاعل معه حتى يتمكن من إيصال رسالته بأسلوب عصري مقبول وأخَّاذ . يتحدث بلسان قومه الذي يتضمن الثقافة المعاصرة والتراث ومحركات الوجدان من الأساليب المستحدثة ، لكن الحداثة عنده لا تعني إلغاء الذات ولا تدمير الموروثات . خاصة والمسلم يقرأ الخطاب الموجه للمؤمنين : ﴿ **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة** ﴾ [النحل : ٩٢] .

ي| الحسبة منهج الإصلاح :

القرآن الكريم كله دعوة للإصلاح ، إصلاح للفطرة حتى تستقيم على أصالتها ، تهذيب للغرائز حتى لا تطغى الحيوانية على الإنسانية ، تربية مستمرة بمنهج العبادة حتى لا يضرب بالران على القلوب ، دعوة متجددة للسلوك السوي حتى يكون الصراط المستقيم هو الطريق الذي لا تعرج فيه ولا التواء . .

ويسلكه جميع الناس برهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم . ولا يسع مؤمناً يقرأ القرآن الكريم ثم لا يكون داعية خير ، ناهيك عن أنْ يصلح نفسه فذاك أولى وأحرى كما جاء في الآية الكريمة : ﴿ **أولى لك فأولى ◊ ثم أولى لك فأولى ◊ أيحسب الإنسان أنْ يترك سُدى** ﴾ [القيامة : ٣٤ – ٣٦] .

المسلم في قيامه بدعوة الإصلاح يحتسب أجره عند الله تعالى . في قيامه هذا لا ينبغي أنْ يطلب جاهاً ولا مغنماً دنيوياً ، لا يطلب سمعة ولا رفقة لأنه دعى إلى الله بل لأنه إذا لم يكن ضمن من يسعى إلى الإصلاح قد تعمه مع الناس أجمعين غاشية من عذاب الله تعالى . خاصة وأنَّ دعاة الضلالة على أفواه السكك يدعون إلى باطلهم مستغلين ما في بعض النفوس من ضعف كما قال تعالى :

﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ◊ وما تسألهم عليه من أجر إنْ هو إلا ذكر للعالمين ◊ وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ◊ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ◊ أفأمنوا أنْ تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ◊ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ [يوسف ١٠٣ – ١٠٨] .

القضية الأساس في الدعوة للإصلاح هي التوحيد أو نفي الشرك بالله تعالى . القضية الأخرى الدعوة لعبادته وحده حتى لا يغضب ويسخط على من أذهب طيباته في حياته الدنيا فيأتي يوم القيامة فيقال له : ﴿ **اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** ﴾ [الأحقاف : ٢٠] . والفسق كما هو واضح من المعنى اللغوي هو الخروج عن الجادة ، هو التهاون بالفضيلة ، هو الانغماس في الرذيلة . ومن يكافح هذه النزعات إلا الدعاة الصالحون المحتسبون ﴿ **الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين** ﴾ [التوبة : ١١٢] .

المنهج واضح من حيث تشخيص الداء . إذ يقول الله تعالى : ﴿ **ما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون** ﴾ [التوبة : ١١٥] وواضح من حيث وصف الدواء الذي جاء في قوله تعالى : ﴿ **والعصر ◊ إنّ**

الإنسان لفي خسر ◊ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ◊ وتواصوا بالصبر ﴾ [العصر] .

أسئلة الاستيعاب :

أ/ ١. ما دور الأخلاق في حياة البشرية ؟
٢. بماذا يتميز الإنسان عن الحيوان ؟
٣. ما العوامل التي تجعل من المنهج التربوي منهجاً نافعاً ؟
٤. ما العلاقة بين الإيمان والأخلاق ؟ ومتى تكتمل القيم الأخلاقية في نفوس المؤمنين ؟
٥. اذكر ثمرات الإيمان الخلقية – مع الشرح والتمثيل لكل ثمرة .
٦. ما فائدة استشعار عظمة الله وكمال علمه وقدرته ؟
٧. هات الأدلة على دور الإيمان فيما يأتي :
أ . المسؤولية عن الأعمال ومراقبة النفس .
ب . الاستمساك بالحق والدفاع عنه .
ج . ترسيخ العبودية لله في نفس المؤمن .
٨. عرِّف العبادة . وما الفرق بين المفهوم الشامل والمفهوم الجزئي للعبادة ؟
٩. على ماذا يقوم التوازن السلوكي عند المسلم ؟
١٠. ما الأسس التي تقوم عليها أصالة المسلم ؟

ب/ ناقش هذه العبارات :
١. الفطرة السليمة تقود إلى الإيمان وفعل الخير .
٢. المسؤولية عن الأعمال مسؤولية فردية .
٣. ضرب اللـــه مثلاً في قولـــه : ﴿ **ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون . . .** ﴾ .
٤. الإنسان مكون من جسد وروح ولكل مطالبه .
٥. الأخلاق عند المسلم ليست مسألة عرضية ولا نسبية .
٦. قال الله تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾ وتشمل كلمة " مخلصين " عدة دوائر ومعاني .

جميع حقوق الطبع والتأليف ملك للمركز القومي للمناهج والبحث التربوي . ولا يحق لأي جهة، بأي وجه من الوجوه نقل جزء من هذا الكتاب أو إعادة طبعه أو التصرف في محتواه دون إذن كتابي من إدارة المركز القومي للمناهج والبحث التربوي.

رقم الإيداع: ٧٥٥/٢٠٠٨